obeikandl.com

حروب صقلية

هذه الترجمة الكاملة لرواية
(Siciliano Vespro Del Guerra La)

حروب صقلية **(صلاة الغروب)**

Amari Michele

مايكل أماري
ترجمة /عماد راشد
مراجعة / محمد السيد جوده
إشراف/ خالد طوبار
الإخراج الداخلى/ فاطمة عنان
الغلاف/هانيبال - هيبو

سلسلة من كل بلد كتاب - كتاب من إيطاليا
الطبعة الأولى/ القاهرة ٢٠١٣

رقم الإيداع:-٢٠١٣/ ٥٠٤٨
ISBN:978- 977- 5185- 34- 1

وكالة سفنكس
٧ شارع معروف الدور السابع
وسط البلد – القاهرة
ت/ف: ٠٠٢ ٠٢ ٢٥٧٩٢٨٦٥
www.sphinxagency.com
info@sphinxagency.com

جميع الحقوق محفوظة للناشر، ويحظر نشر أواقتباس هذا العمل أوأي جزء منه بأي وسيلة تصويرية أوإليكترونية أوميكانيكية بما فيه التسجيل الفوتوغرافي والتسجيل على أشرطة أوأقراص مقروءة أوأي وسيلة نشر أخرى بما فيها حفظ المعلومات دون إذن كتابي من الناشر، ومن يخالف ذلك يتعرض للمساءلة القانونية.

obeikandl.com

حروب صقلية

صلاة الغروب

مايكل أماري

ترجمة /عماد راشد

وكالة سفنكس

obeikandl.com

obeikandl.com

الخطباء الاوائل الذين تم إرسالهم لإقامة أول معاهدة سلام بين (جيمس وتشارلز) ، وصدق عليها (سيليتسن) الخامس، و (بونفيس) الثامن، لا يزال الضغط عليهم يشتد بشكل مستمر، ممارسات البلاط الملكى فى روما واراجون مع الطفل فريديريك .

لذك تم إرسال وفد جديد من المُحدثين للملك جيمس، وتم إستدعاء فريديرك للعرش !

محاولة الأب بونيفاس لمنع ذلك باءت بالفشل

(بونفياس هو سيد فرسان (إسبارتية الجيمساليم) على هذا الجانب من البحر (وهو رجل مشهور فى الجيش وخبير فى السياسة المدنية، ولكن منصب (بونيفاس) فى ذلك الأمر كان موضع شكٍ لدى مؤرخينا، وقد تم التعبير عنه بوضوح فى (دبلومة العاشر من أكتوبر. ١٢٩٤ لتجده موثق فى وثائق نابولى ب .)

فى معاهدة ١٢٩٢ كان الملك تشارلز والأب موفدين كخطباء للملك جيمس، مع ابن (بيتير) وتلميذ من تلاميذ (بروسيدا) الذين تم تعطيلهم عن العمل بسبب وفاة (البوب) فى ذلك الوقت، وكان الرد أن الصقليين ليسوا مجرد متفرجين، بل هُم شركاء معهم فى الحقوق السياسية، وكان من الممكن أن يولِّيهم الأمر لأنه كان فى الواقع مُقتنع أن أى معاهدة من جانبهم لن تكون إلا رسالة فارغة فاقدة القيمة .

لذلك- تلبية لمشاعر الأمة - أوفد (جيلبرت كروليلس) فارساً كاتلونياً والذى هبط (ماسينا) فى الثانى من أبريل (١٢٩٣) مما أثار انزعاج صقلية كلها باعتباره نذير شؤمٍ .

إنتشرت شائعات مُبهمة حول السلام مع فرنسا والملك تشارلز والرجوع للكنيسة مرةً أخرى، لكن تلك

التصريحات الغامضة تم تفسيرها – تماماً - بعد تجريد الأسطول من سلاحه، وإقالة قائد الجيوش دون أن يترتب على ذلك أى تخفيض فى الضرائب، وقبل كل ذلك: فرقٌ من الأخوة (منصب كنسى فى الكنيسة الكاثوليكية) التى لم تتحقق منهم السلطات بشكل كاف، حيث بسطِهم لنفوذهم فى أنحاء الجزيرة- التجسس على الأسرار، نشر الأساطير والخرافات- سعياً منهم للوصول لضمائر وقلوب الناس وكسب ثقة النبلاء والعامة على حدٍ سواء.
تجلت إرادة الأمة بشكل معلن فى البرلمان فور وصول جلبرت، فالقليل وافق على إقامة السلام، أما العد الأكبر، والأكثر حكمة ندد بفكرة السلام من الأساس وقد وصفوها بالجائرة، لذلك تقرر إرسال ثلاثة سفراء للتأكد من النوايا الحقيقية للملك، وتمثيلاً لصقلية كلها تم إختيار (ميسيهيز، فريدريك روسو، و باندولف دى فالكونى) من الفرسان، و (روجر جيرميا) من الفقهاء، وثلاثة من بالريمو هُم (جون من كالتاجيروني، هيو تالاش، و جوليلمو توماس).

فى بداية الربيع ينطلق الجميع الى باليرمو من كافة انحاء صقلية ،الجدير بالذكر ان كلا من المدنين والكنسيين والمندوبين من المدن ومعهم المواطنون الخواص والعامة بأعدادهم الغير مسبوقة ليمثلوا القوانين الجديدة التى تشير الى الاستقلال اثناء حفل تتويج فريدريك ، وفى عيد الفصح تكون شوارع العاصمة وأروقة المعمدة بالكنائس مغطاة بنبات الاس العطرى وتكون القصور محاطة بشتى انواع الزينة الوهمية من ملابس وذهب وفضة تمنح المدينة اضاءه اشبه بنور الصباح وأثناء الاحتفال بصلاة الغروب تكون الكاتدرائية مضاءة بأنواع لاتحصى من المشاعل الشمعية ،وطبقا ل"

سبيسيال" كانت بحجم الاعمدة ، كانت اصوات الابواق والطبول كما لو انها ممثلة بشعار النصر على سحر السلام ، قوة الايقاع ونعومة الالحان والاغانى المبهجة للجمهور الذى قضى ليلته مبتهجا .وفى الصباح الباكر فى الخامس والعشرين من مارس عام ١٢٦٢ كان فريدريك ممسحا ومتوجا فى الكاتدرائية ملكا لصقلية حيث تم توصيله الى القصر وسط تصفيق من الحشد على صهوة الجواد بثيابه الملكية وتاجا على رأسه حاملا كرة بيمينه ، وتم منحه شرف الفروسية لما يقارب من ثلاثمائة عام من سلالة الشبان النبلاء ابداع النبلاء الاوربيون ، منح الاقطاعيات والمناصبفالسيد البارز روجر لوريا قد منح لقب الادميرال الاعلى ، وكونراد لانسيا اصبح المستشار الاعلى لغرفة جون اوف بروسيدا وجعل بلاسكو الجونا شقيق اورلاند دى بونسيا الشهير بهروبه من الجندية ووليام كارتيجليانو وكثير من المحاربين وزعماء الجيش الموثوق بهم، ثم اتبعت الاحتفالات بألعاب شعبية تلائم العصر لتقوى الامة حتى تصوب نحو الهدف لتحقيق اعمال بطولية فى الفروسية والمبارزة فى القصر حيث تفتح الطاولة للقادمين حيث تستمر هذه الاحتفالات لأسبوعين كان هذا فى الوقت الذى ربما كان بداية توهج للتهليل مع روح التفاؤل للشخص الذى تنبأ بأفول المشروع الذى تبناه فريدريك كشعر للأبرشية مخاطبا به تابعه المخلص يوجين ديجلى امبيور الذى اجابه فى نفس الموضع وعلى ذات السجع وتوضح قصيدتاه تتمتعان بالشجاعة والجراءة التى كان يكتسبها الملك الشاب يوما بعد يوم، كان صدقه اما امة صقلية وأمنياته بالعون فى المغامراتالاسبانية وشكوكه حول الملك ارجون ، تذبذبه

حول مصالح الاسرة التى تميل الى مساندةأخيه وتهديدات عدوه التى قادته الى طرق متعارضة.

كان فريدريك شخص متحدى على استعداد ليخلع نفسه من الحكم ، سيظهر اوجون للتحلى ببعض الايمان بالشجاعة على القدرة و ذكاء العاهل الجديد وكلا الموقعان حتى وان لم يكن يستحق الموهبة الشعرية ذات قيمة لتاريخ التصوير الواقعى وعقل فريدريك وموقفه السياسى .

كان دستور البلدة مماثلا فى شكله لتلك الفترة ، فى حين جدد بيتر وجيمس قوانين الحكمة لكل نورمندى قد اعاد تشكيل او اساء استخدام او حدث الفكرة الرئيسية ، لكن فريدريك قد استشير او اجبر على مسايرة العصر ، وذهب الى تطوير الحقوق السياسية الخاصة بالأمة بعيد عن اى حدود وضعها نورمان و سابينا حتى اذا بقيت الاسماء دون تغير فان المؤسسات مع ذلك تبقى فى تحسن وستمررها صقلية دون عناء الى فاسبر كتمهيد للدستور ،وقد وعد فريدريك وليس هذا على سبيل السخرية بأنه يراقب العدل والحرية كما يتمتع بها العظماء من ملوك الارض. معصية جيمس و خطواته المائعة التى اتخذها هو نفسه تجاه البابا بعد تعهده للصقليين والتى قادته الى الحلف بشرفه على احكام الرب الرهيبة بأنه سيقاتل بكل ما اوتى من قوة حتى يحافظ على دولة صقلية الحاضرة التى لاتغتر بإخضاع المستقبل ولا باى دافع اخر قد يعيقه عن الدفاع عنها ، وانه لن يتقدم الى المحكمة فى روما طلبا للغفران من هذه الاقسام حول هذه الممارسات الغير عادلة وكضمانة لهذه فقد اخذ على نفسه شرط صارم، وانه لا كنيسة روما ولا اى شخص حاكم سيتدخل يوما ما للسلام او

للحرب الا بواسطة الامة . وبنفس الاسلوب فقد جزء السلطة التشريعية وفق الممثلين . وامر انه فى عيد القديسين كل عام وفى البرلمان العام الذى يتكون من المحاكم والنبلاء و النقابات الخاصة لابد وان تجتمع معا لإمداد على نحو موحد مع الملك جنبا الى جنب مع الادارات والحكومة وان الملك لابد وان يكون مقيد شأنه شأن الافراد العاديين بالقوانين التى يصدرها هو او البرلمان . وقد اعطى للخطاب الذى يصدره القضاة والدوائر الرسمية التهم التى كانت توجه بواسطة النقابات للغرامات المفروضة من قبل البرلمان . وقد كان البرمان بأكمله يتضمن المدن التى يتم انتخابها سنويا ، ماذا سنفعل هذه الايام ؟! قالها فى محكمة بيير العليا

المكونة من اثنا عشر نبيلا صقليلا ، كرسي القضاء كان ضمن ثلاثة محاكم ليس بها استئناف وكانت مستقلة عن كل الحكام الاخرين لاخذ اختصاصات الاحوال الشخصية من النبلاء ان هذا الامتياز الهام منح منذ ايام نورمان وأعيد احياؤه وقد سيطر على هذه السلطة البرلمان .

وقد اكد فريديرك على الحرية والحق الدستورى والامتيازات الممنوحة من سابوينا واسلافه من الاراجون، على ان تنظر القضايا المشكوك فيها على افضل تقدير، ولم يفعل القانون المدنى دون اعادة تشكيل فى قضايا الخيانة العظمى والتى تعتمد بشكل كبير على المؤسسات السياسية وطبقا لطبيعة الحكومة وطبيعة الشخصيات المتزنى الهادئة او المتهورين او الشخصيات القاسية الساعية للأخذ بالثأر، ولذا كان قرار التهمة هو التنازل من الاحوال الشخصية للأفراد لتصبح منوطة بالعاهل.

وقد اصبح الاختيار مرخصا على الجرائم سواء كانت تخضع للقانون العام للامبراطور فريدريك او للقانون الليبرالى المحلى لبرشلونة، وأخيرا فقد سن الملك قانون لمصادرة الممتلكات المحكوم بحقه فى قضايا الخيانة العظمى ، وستتلقى الزوجه عقار بدلا من المهر الذى تم نص عليه فى القانون المدنى فقرة حمايتها هى وبناتها الذى اصبح تواقا للخروج حتى يمحو كل اثر للحزب وقد منع بصرامة لقب خائن، ثائر او فريكانو والتى كانت تستخدم هذه الايام للإشارة الى التوافق التام بين راى الشعب وروح الحكومة مثل كتاب القوانين المحليه لفريدريك . وفى المحتوى الثانى بضع تشكيلات لإساءة استخدام الادارة للعدالة لانه ولأجل هذا فقد ساهم جيمس باسهاب فقد كان التشريع يستحق حيث ان القرارات منصفة وتنتدب اخذ الاختصاص فى القضايا الجنائية فى كل الجزيرة (عدا مسيسنا وباليرمو حيث كانت الاختصاصات ممنوحة لقضاة خاصة) ذا لابد ان يكون الصقليين نبلاء واغنياء ليدفعوا الى الخزينة ويتم تغيرها كل عام ، بالاضافى الى وجود مايمكن ان نسميه لوائح بوليسية ضمن مانجده فى دستور حماية المواطن فى المناطق الملكية ،وتشريع اخر سيجده المواطن فى الشوارع دون اى ضوء بعد الدقة الثالثة سيتم اعتباره مكتسبا بالاحتيال لكمية رهيبة من الذهب . لقد تمت اضافة مواد اضافية لتقسيم الادارة المدنية بواسطة سن تشريع لتوحيد هذه الاثقال من الخطوات ليس على كل المملكة بل على الاقل فى قطاع من صقلية حال تقسمت أعنى من شرق سلساو الى غربها والتى كانت تسمى فى السابق تومولو اوف سيراكوس و كوينتال اوف مسينا كإشارة الى باليرمو ، لكم ابتعد الصقليين عن هذه الايام حيث كانت فكرة الاقتصاد السياسى متقدمة،ربما تم

جمعهم من قوانين مترجمة فى الكنائس حول البيع او الهبة من خلال عقود طويلة الامد خلال اثنا عشر شهر سواء تملك المزارع هذه الارض بالارث ام بطريقة اخرى ولذا فان اهمال الدولة بهذه الحيازات سمى وقفا ربما لن يؤثر فى صناعة الدولة . ولذا فان الوقف الكنسى للكهان كان يخضع بالمثل كاى مواطن عادى لرسوم عامة وكانت الضرائب تناهز تماما مايدفعه عامة السكان من ، وقد بقى هذا الامر من ايام جيمس بخصوص لوائح الدخل، كما سن تشريع اخر بأن يكون جميع موظفى خزينة الدولة من الصقليين المؤهلين لانصراف من مكاتبهم شخصيا وكان الوقت والطريقة ملائمان لتقديم اية حسابات حول اداراتهم .

وفى الكتاب الثالث توجه الاهتمام الى منحى اخر وهو النظام الاقطاعى ، فقد تعهد فريدريك نفسه بمنح اقطاعة مضى عليها الزمن الى التاج كما كافأ النبلاء باستثنائهم من قانون الامبراطور فريدريك وفعليا من كافة قوانين الاقطاع عن طريق السماح بنقل الملكية والاقاطاعية الى حالات اخرى غير مهمة ، وقد اكد الى حد بعيد على تشريعات جيمس فيما يختص بالنجاح الاضافى والمحدود المدى للخدمة العسكرية وعلى تحسين احوال جنود البحرية والأسطول وبهذا تحظى الامة بالحق فى الحرب والسلام وهو تشريع اساسى وأكثر سهولة وسرعة للإدارة العدلية و الامن العام وامتياز للزراعة والصناعة اذا اخذنا بعين الاعتبار الوقت دون التقليل من امتداح مكتسبات القانون فيما يختص بتحويل ملكية الاقطاعيات بغض النظر عن المؤيدين والمعارضين لزيادة حرية الممتلكات ، وقد اقسم فريدريك على ولائه بالوفاء لهذه القوانين التى اكدها رسميا فى الفصل السابق. وقريبا وعلى نحو مماثل اكد على ثلاثة امتيازات منحها جيمس

للكاتالون بخصوص التجارة فى صقلية تمتد الى كل الاسبان ضمن المناطق الخاضعة لحكم اخيه وأيضا الممنوحة لمواطنين خاصة فى برشلونة وبهذا اصبح هناك توازن ملحوظ بين جيمس وفريدريك فكلاهما وجد نفسه خاضعا لضغط الدوائر فى صقلية وكلاهما املا فى الانتقال من المصلحة الشخصية الى الاراجون الذى كان خاضعا لمساعدة مرفوضة من الملك

وانتقل فريدريك بافكاره حول الحرب فقد عقد البرلمان المرة الاخيرة فى باليرمو حيث جلس النبلاء على يمين ويسار العرش فيما كانت النقابة العامة بالمقابل ، حيث خطب الملك كلمته فى الفاظ متواضعة يرجع الى الرب كل القوى التى حاز عليها ، وبدأ بقوله ان العدو قد استرد شجاعته ويحاصر روكا امبيريلا فى كالباريا وانهم لابد وان يطاردوه فى كل ركن من الارض وبعد مرور عدة ايام سيعيد شرك الحرب الى صقلية السلام القوى ، فقد كانت فى مخيلته رؤيتهم وهم يهرعون الى المعركة عائدين بالنصر ليبلل مرة اخرى خصمه بالدماء ، واحدثت كلمته اثارة فى عقول مستمعيه الذين لم ينتظروا حتى يكمل كلمته ودون سابق انذار او لياقة هتف الجميع بصوت واحد " حرب على العدو" حرب من اجل حريتنا وتحول الهدوء الى تهليل وصفق الحشد بحماس ملتهب تشجعيا للجيش كانوا مفعمون بالحيوية لم تتعبهم اربعون عاما من الحروب

اخذ الملك حصانه الى ميسينا التى حررها بسعادة مثلما فعل فى بوليزى نيكوسيا راندازو وفى كل المدن التى عبرها وخصوصا فى ميسينا بخاصة وقت المبارزة فى باليرمو بالقوة والشجاعة وعلى مسافة ما من مدينة سوفرجين قابله موكب لرجل نبيل يحمل رايات بحرية

مثلثة بداخلها تعبير مبتهج وقرنى ايل يتكون من رجل قانون وعقد ضمن هذا تشريفات محترمة لاشخاص مهذبون الرجل يكسوه حرير ومحاط بخيول ترتدى اثواب ذهبية ورجال دين يتلون ترانيم مقدسة وتحتشد جماعة من العقيلات فى مظهر يتسم بالترف والفخامة بالقرب من المدينة

دخل فريدريك امدينة من الشوارع الضيقة يغطى نفسه بالزهور للتخفى اسفل قبة ، يولد الكانوبى نبيلا ويتقدم على زعماء والذى نادى بالتمجيد والهتاف وسط المتلقيين من المرافقين والحشد حتى الرضع على اذرع امهاتهم ، قالها سبيسال بطريقة تنم عن الاستحسان . كانت امه واخته واللتان احبتاه بعطف تتجولان فى القصر للمرة الاولى منذ تنصيبه ملكا وقد اكد على الامتيازات الممنوحة للمواطن فى مسينا فى التجارة كاستيراد وتصدير كافة المؤن عبر صقلية والتى كانت فى هذه الايام تحت نظام تحريمى كان عظيما جدا ومنحهم اياه الامبراطور فريدريك فى العام الاخير من القرن العشرين.

صدق بونيفاتشى الثامن على المعاهدة رسميا فى الحادى والعشرين من يونيو كما سمح رسميا بزواج خايمى وبلانش ، جدد الملك تشارلز عهده بمنح الكنيسة استرداد صقلية اثناء الاحتفال بمهرجان القديس جون وسط اقامة شعائر التنصيب والسلام وسيطرد كل من يشكك فيه باى شكوك جديدة بعقوبات اكثر صرامة

فى السابع والعشرين اوصى راهب من الرهبان بعد ما غادر انسيا وبروسيدا صقلية ،امرا بتأكيد الطاعة للملكة كونستانس لارداة البابا ،اذ ارسل رئيس الاساقفة الجديد من ميستنا الى فريدريكو تفويضا لانهاء كل شئ وتسليم الجزيرة لرعاية الكنيسة ، كما ارسل فى الوقت نفسه كتابا بخط يده الى كاترين دى كورتيناى بالتنسيق مع الملك تشارلز يحثها فيه ان تفكر مليا بقلبها وعقلها فى الزواج من خطيبها فريدريكو الشجاع وان تصغى الى المحاميين من رئاسة دير سان جيرمانو وألاسقفيات الاخرى بخصوص هذا الغرض الذى ينم عن رعاية البابا لهذا الامر ، والذى نص على عودتها من رحلتها الى ايطاليا الى احضان زوجها على وجه السرعة كما شملت الاوامر ان يعمل فيليب العادل كوسيط وان يعلم فريدريك بدقة هذه الاجراءات من اجل اقناعه بمزيد من الطاعة والسلام .

وان يبحث عن الادميرال لإقناعه بتبنى نظام جديد للأمور. الثروة و السلطة والغطرسة والتى قد ارتفعت بسبب الامتيازات الممنوحة من ملوك اراجون فى صقلية وفالنسيا والتى قد اكتسبها لنفسه بالسلب والنهب والفدية والتجارة والمقايضة والمجد الذى اكتسبه بالسلاح والخوف الذى اكتسبه بطبيعته ذات الشكوك الكثيرة والتى جعلته بين اعتى الرجال الذين يملكون السلطة والنفوذ لإنقاذ او تدمير صقلية فى هذه الازمة ، ولهذا تم التفاوض معه اولا شخصيا من خلال بونيفاس كالامندارنو الذى منحه البابا جزء من الكنسية جزيرة جيربا والتى قد تم الحصول عليها بأسلحة صقلية والتى يتمنى ان تصبح امارة مسيحية جديدة او عشا للقراصنة فى بلاد الشام حيث سيتم تقديمها الى الادميرال

ومحاربيه من الاسطول الصقلى والذين سيمنحون انفسهم له .

هكذا عامل لوريا ممتلكاته فى اسبانيا وكذا الحال بالنسبة لسيادة جيربا وتجمع القوى الذى قد تحتاجه صقلية فى حالة المقاومة ، ومن جهة اخرى عبر حيازته لصقلية على شرف اسمه و فقد تعب من السلام اذ انه شريك لشعب شجاع رافقه لمدة اثنى عشر عاما من النهب والصراع والانتصار فى كل شئ فهو طموح لا يعرف له لقب يتطلع الى السلطة السيادية فى صقلية وهو الداعم الرئيسى لفريدريك . اسمع الاتى ايها الادميرال فى الواقع هناك عروض اقل عظمة فى حالة السلام لكن فى حالة كسرها والتخلص منها بشكل جيد وسيلقى ذلك بالكثير الى فريدريك وصقلية .

حظ صقلية يرتعد على حافة من الدمار بسبب تخلى الملك والأدميرال وجميع الشخصيات من النبلاء أذ تم اعادة ممارستها من الحماس الشعبى لكن تم حفظها اما عن طريق تأثير فيليب او بمحض الصدفة التى تبناها الشباب لرفض كاترين دى كورتيناى التحالف مع فريدريك وإرسال الرد فى كلمة الى البابا والى يلزم اميرة الاقليم بعدم الزواج من الامير دون الارض واستمرت بعنادها فى هذا القرار رغم الجهود التى بذلها البابا وقد ادرك فريدريكو انهم قد يحتالون عليه ولذا فقد كرس نفسه وروحه الى افاق جديدة اكثر صلابة وقابلة للتحقيق فى الوقت الذى تشير فيه الاخبار القادمة من صقلية من المعاهدة وكان عليه اعادة ايقاظ مشاعر الجميع عام ١٩٢٩ ، فى الوقت الذى زاد فيه الغضب وقرب حدوث الخطر ، ومن هنا فقد سعى لامتلاك جزء من التاج علاوة على ذلك فقد قيدت حركة الاجانب الذين

يدينون تحت قناع بالولاء لخايمى وخيانة للبلاد التى دعموها ،عندما علم فريدريكو بنوايا شعب صقلية ورغبتهم المتهورة فى التخلى عن اسطورة الملك الذى تشرها فريدريكو للاستيلاء على التاج ، من اجل زيادة نفوذهم واختيار رئيس واحد فقط وكان تصرف بدافع من الضمير والولاء راماندو الامانو ، ومن بين ذلك لوحظت اسماء قادمة من بروسيدا مثل ماثيو دى تيرمينى ومانفريد كيارامونتى وغيرها ممن مارسو الحيل الفاشلة التى ادت بهم الى المكوث فى قلاعهم وهددت البلاد بحرب اهلية .

وقد ازالت الملكة كونستانس هذا الخطر بالاقتراح الداعى الى الخطباء والتى تم ارسلها الى كاتالونيا للتأكد من نوايا خايمى ، وقد استدعت البرلمان الذى انتخب من كاتالدو روسو وبيسالا سانتورو و تالاش اجون وفى الوقت نفسه فريدريكو للتآمر ولكنهم اجتمعوا دون جدوا فقد ادركت الحيلة واصبحت تعمل علنا فى البرلمان الى يضم مجموعة من الوطنين على وعد بكشف المعاهدات التى ابرمها خايمى مع اعدائهم وقد غادر هؤلاء الذين اطلقوا على انفسهم مواليين وسط سخط شعبى عالمى والاحتفاظ بنائب للملك مع العمل مع قوة اكبر للشروع فى نشرها على الجزيرة لزيادة التأثير والتعزيز للحزب عن طريق اصلاحات مناسبة وإدارة يقظة من العدل والتجمعات للصالح والخير .

وعندما وصلت خطبة شروك السلام من كاتالونيا الى صقلية والتى صدق عليها المبعوث كورتيس مندول الملك تشارلز والمندوب الباباوى والذين كانو فى

طريقهم مع العرس الى بربيتان و بيرلادا وخايمى للوفاء لجيرونا وبرترام فيلا من اجل الالتزام وخوفا من الحرب

سار فى زهة مجموعة من النبلاء الذين تبعوا القطار الملكى ، حيث جاءوا من روما للابتهاج بدعوة من بلانش " الملكة المقدسة " فى التاسع والعشرين من تشرين الاول

ابتهج الآن في زهوة من النبلاء الذين اتبعوا في القطار من الملكى ، وفي العديد من الناس الذين جاءوا، والصبر عن الغفران من الحروم من روما، والابتهاج ، والدعوة بلانش "ملكة للسلام المقدسة" كانت في بيرترام فيلا، في تسع ٢٠ من تشرين الأول عندما اقترب القطار الذى كاد يقترب و تطلعات المبعوثين من صقلية تجاه الملك خايمى للابتهاج مع النبلاء فى المملكة ، وبعد استماعه الى مشكلات البرلمان الصقلى ، اعترف الملك دون تردد بالمعاهدات مع كاتالدو روسو ذاكرا كافة المشكلات التى يمر بها قائلا : هوذا جميع حزن جميع المتعبين لايماثل حزنى " وبعد مقطوعة من الرثاء من الكتاب المقدس قال انه سيصحب اصدقائه فى صقلية للسفر لكسر مظاهر اليأس والحزن البادية عليهم و بكى خايمى بصوت عال قائلا : "لم يسمع بهذه القسوة .. ايتخلى الملك عن الرعايا المخلصين لتلتهمهم اعدائهم ؟" ولكن بعد ان حدث هذا السلوك واصل الملك رباطة جأشه وقال بفخر محتجا فى جلسة علنية : " هذه صقلية قد تبرأت وتخلت عنه .. واصبح لقبها الملك خايمى ولى العهد ... انها برأت نفسها من كل شئ القسم والولاء والاعتماد على نفسها بأنها ستكون حرة تجاه اى فعل من افعال الحكومة " وقد اضطر الملك لقبول هذا الاحتجاج وكذا فعل السفراء وقبل ان يغادر خايمى اتته الجرأة

ليقول لهم بكل فخر:" انه ووالدته وشقيقته من ابناء صقلية " واضاف فريدريكو ": انا لا اتكلم انه هو الفارس ويعرف جيدا ماالذى يجب عمله كا تعلمون جميعا ".

واجه فريدريكو توتره بالطقس الرائع فى صقلية الذى وضح لدى تأخر عودتهم بعد ان شرع السفراء بياسالا و سانتورو فى رحلة الوطن الى دمر على ساحل بروفانس واعتقل خايمى هناك فى كاتالونيا مع زميله المواطن فى الثلاثين من اكتوبر وقبل المندوب اعادة المملكة الى حضن الكنيسة

وأعلن الملك بعد ذلك إلى تجمع كورتيس أراغون انتهاء صراع صقلية العظمي وفي نفس اليوم أعلن تشارلز الثاني العفو عن جميع الجرائم المرتكبة، ونبذ جميع الممتلكات العائدة لنفسه أو أتباعه والتى احتلت خلال الحرب مع خايمي ، والدته، فريدريكو، بيتر، وبارونات كل ما لديهم .في اليوم التالي خايمي ،الجوء إلى أبناء تشارلز الثلاثة التي قضاها مع الرهائن الآخرين، تلقى عروسه، واحتفل بزواجه في الاول من نوفمبر

في حين كانت في صقلية القلق الاعظم والكبير ، وكان اول ماحدث قبل عودة السفراء ان كسر فريدريكو مسيرته عبر فال دى مازارا داعيا الى لقاء فى باليرمو بهدف اسقاط جميع التهم عن البارونات والفرسان بالاضافة الى الفاعليات النقابية فى المدن ، وقد نظر فى اعلان التنازل عن الجزيرة الامر الذى لم يعد مشكوكا فيه من اجل احلال السلام والرد على السفراء .

حينئذ كاد يدخلها فعلا بهدف انقاذ المظاهر الا انه ارجئ حتى الحادى عشر من ديسمبر الى ان يعود البرلمان الى مبادئه الاولى للثورة من خلال اضفاء الاجماع على صيغة نهائية للسلطة العليا بخصوص فريدريك ولكن انطلاقا من الاحترام لرغبة عالمية الامة فقد قدم فقط لقب الملك صاحب الجزيرة .

وعين رسميا التصويت ولذا فقد استدعى الجمعية العمومية فى كاتالونيا فى النصف من شهر يناير حيث يجب ان يتم تمثيل المدن والبلديات ليس فقط من خلال السكان ذو الثروة الملحوظة والحكمة او النفوذ مع تفويض كامل للاتفاق على قانون السلطة السيادية الاعلى الممنوحة لفريدريك احتجاجا على قدسية القضية

وتثني على الله نفسه وإلى أبناء صقلية، قبلت مقاليد الحكم، و رهن نفسه للدفاع عنهم بالروح و الجوهر. في البداية انتحل بلقب أمير صقلية، وفي اليوم التالي أعلن حالما ان الاستخبارات من الخارج والمداولات الأخيرة، وتوسل مجلس البلدية إلى البدأ دون تأخير في انتخاب النواب الى البرلمان في كاتانيا.

بعد هذا التعبير بالإجماع للرأي القومي، قد أضعف بسهولة النزاع الحزبي للنبلاء. واصل .روجر لوريا و باليزى فينجورا و كثير من النبلاء البحث عن راموندو المانو ، الذي كان قد احتمي في قلعة كالتانيسيتا، وصرح في البداية لتقديم دليل على ميلهالي اقامة حفل استقبال ودية لضمان لتخلي وتنازل جيمس امام جميع احزابه.

استقبلت اوامر جيمس بعد فترة وجيزة باستدعاء جميع الكتالونين وأراغون من جزيرة صقلية، وتمنع التنازل عن الحصون التي كانت تنفذ باسم الملك بواسطة راموندو المانو ، فاليراجوت بيرينجر، بالاسلوب التالي : الضباط، أي المتقدمين امام البوابات، طالبا ثلاث مرات، بصوت عال، اذا كان يريد أي احد الاستيلاء علي الحصن باسم الكنيسة المقدسة روما .لم يظهر أي احد للرد و تراجعوا عن مواقعهم العسكرية، وتركوا البوابات مفتوحة والمفاتيح في الاقفال، وعلى الفور قامت المجالس البلدية بالاستلاء علي الحيازة منهم باسم فريدريك .هذه، وغيرها من فرسان الإسبانية، عادوا إلى بلدهم .وظل العديد في صقلية لملاحقة ثروات فريدريك، رئيس ارجون ديلي امبيورى و بلاسكو الجانو الذين هجروا الاجتكاع الرسمي لجيمس بعد تخليه. و توقعت أسبانيا بعض مغامرات الامراء علي الرغم من ان جيمس لم يمنعهم من التخلي عن اسلحتهم المرخص لهم بها طبقا لقانون مملكته. وبالتالي، قام بلاسكو بتشجيع رفقاءه، مذكرهم أن أمتهم تتباهي بأعظم الحريات التي يحكمها الملك ولا يطاع إرادة الأمير، ولكن يتبعوا ما تمليه العدالة والعقل. و علاوة على ذلك، أنهم فسروا ارادة بيتر والاخري المعبرة عن ألفونسو كدليل على أن جيمس قد يستقيل لقبه من الكنيسة لقبه لمملكة صقلية، ولكن ليس ذلك من آخر، وأن فريدريك له الحق الكامل الاستيلاء على الملكية. مع هذه الحجج فانهم نجحوا و لكن بصعوبة في اقامة مظهر للشرعية من خلال السيادة التي في حد ذاتها الأكثر شرعية؛ كما أنهم لم يلاحظوا أن الكونستانس وحده له الحق في أن نتقل اليه الحكم عن طريق الوراثة، وفي الواقع ليس من حق بيترأو جيمس

الصعود الي العرش، علي اختلاف ما يفعله فريدريك الان من خلال انتخاب الشعب.

إن ختم صقلية المستوف الشروط القانونية أضاف الي ختمها علي الرغم من ذلك فان محكمة روما ، نابولي، فرنسا و أراغون الجميع كان ضدها. في الثامن عشر من من يناير ١٢٩٦ أقيم في كاتدرائية كاتانيا تم جمع عدد هائل من ممثلي الامة معا حيث أن العديد من أمراء الاراغون و الكاتالون أملوا الكثير من الثروة في صقلية عن بلادهم. و قد قام روجر روليا بالتحدث أولا ثم تبعه فينشونيا باليزا بالحديث و الذي تميز بالعبقرية و البلاغة ثم تبعوا بأمثالهم والتي كانت مطابقة لتصريح الملك فريدريك، و أصدر مرسوما بأن يتم الاحتفال بالتتويج في باليرمو. وكان الثاني من ذلك الاسم الذي حكم في صقلية ولكنه أخذ لقب فريدريك الثالث لكونه الابن الثالث لبيتر أو ملوك الأراغون لصقلية أو ربما يرجع ذلك الي خطأ دبلوماسي، و انه من المتوقع أن لقب فريدريك الثاني ينتمي الي فريدريك من سيوبيا،الامبراطور الثاني، و لكنه الاسم لملك الاول لصقلية.

عندما أعلم بونيفاس بالخطوات الاولي التي اتخذها برلمان باليرمو و لعدم كونه في وضع يسمح له باستخدام القوة، فانه لم يترك أي محاولة لحيلة غير مجربة. في الثاني من يناير كتب الي فريدريكو يذكره بمفاوضات العام السابق، و قلقه الذي سببه له كلا من العروس والاقليم، و بالرغم من رفض كاثربن للتحالف فقد حثت علي اعطاء مسافة قبل تجدد التوسلات وبالتالي تتمكن من اسحضاره و مناشدته بكل خلاف قوي يمكن ان يخترعه لكي يكف عن المطالبة بالعرش. أرسل تذكير للملكلة كونستانس لنفس السبب وفي نفس اليوم وجه

مذكرة " الي البلاطمة و ابناء صقلية" صيغ فيها البنود الاكثر استرضاءا مصرحا كيف ستتسعي كنيسة روما الان لمداوتها من احزانها لكي تواصل الخير العام و ستحكمها بشكل استقلالي عن طريق وسائل رئيسية ، مضيفا ان ابناء صقلية يمكن ان يختاروا من الاخوة في الكلية المقدسة والتي تكون اقرب اكثر لاذهانهم والتي تمكن البابا من السيطرة عليهم. و اتهم اسقف أورجل بتلك الكتابات الخطية، وقد قام بونيفاس كالامندارنو خلال الاربع سنوات الماضية بمقاومة أوروبا في جميع الاتجاهات بسبب ما يدعي بمفاوضات من اجل السلام. اعتمدوا علي الدعم من فصائل الالمانو و بروسيدا لعدم ادراكهم حتي الان بتشتيتها، وبتلك الامال وصل كالامندارنو الي صقلية قبل او بعد برلمان كاتنبا بفترة وجيزة.

فى بداية الربيع ينطلق الجميع إلى باليرمو من كافة أنحاء صقلية، والجدير بالذكر أن كلاً من المدنين والكنسيين والمندوبين عن المدن ومعهم المواطنون الخواص والعوام بأعدادهم الغير مسبوقة ليمثلوا القوانين الجديدة التى تشير إلى الاستقلال أثناء حفل تتويج فريدريك، وفى عيد الفصح تكون شوارع العاصمة وأروقة المعمدة بالكنائس مغطاة بنبات الآس العطرى، وتكون القصور محاطة بشتى أنواع الزينة الوهمية من ملابس وذهب وفضة تمنح المدينة إضاءة أشبه بنور الصباح، وأثناء الاحتفال بصلاة الغروب تكون الكاتدرائية مضاءة بأنواع لاتحصى من المشاعل الشمعية ،وطبقا لسبيسيال: كانت بحجم الأعمدة، وكانت أصوات الأبواق والطبول كما لو أنها ممثلة بشعار النصر على سحر السلام.

فقوة الإيقاع ونعومة الألحان والأغانى المبهجة للجمهور الذى قضى ليلته مبتهجا، وفى الصباح الباكر فى الخامس والعشرين من مارس عام(١٢٦٢)كان فريدريك منصبا ومتوجا فى الكاتدرائية ملكاً لصقلية، حيث تم توصيله إلى القصر وسط تصفيق من الحشد وهو على صهوة الجواد بثيابه الملكية، وتاجٍ على رأسه حاملاً بيمينه، وتم منحه شرف الفروسية لما يقارب من ثلاثمائة عام من سلالة الشبان النبلاء، إبداع النبلاء الأوربيين ، فقد منح الإقطاعيات والمناصب، فالسيد البارز (روجر لوريا) قد مُنح لقب الأدميرال الأعلى، و(كونراد لانسيا) أصبح المستشار الأعلى لغرفة جون أوف بروسيدا وجعل (بلاسكو الجونا) شقيق أورلاند دى بونسيا الشهير بهروبه من الجندية، ووليام كارتيجليانو، وكثير من المحاربين وزعماء الجيش الموثوق بهم، ثم أتبعت الاحتفالات بألعاب شعبية تلائم العصر، لتقوى الأمة حتى تصوب نحو الهدف لتحقيق أعمال بطولية فى الفروسية والمبارزة فى القصر، حيث تفتح الطاولة للقادمين، وحيث تستمر هذه الاحتفالات لأسبوعين.

كان ذلك فى الوقت الذى ربما كان بداية توهجٍ للتهليل مع روح التفاؤل للشخص الذى تنبأ بأفول المشروع الذى تبناه فريدريك كشعر للأبرشية مخاطباً به تابعه المخلص (يوجين ديجلى أمبيور) الذى أجابه فى نفس الموضع وعلى ذات السجع، وتوضح قصيدتاه اللتان تتمتعان بالشجاعة والجرأة التى كان يكتسبها الملك الشاب يوما بعد يوم، كان صدقه أمام أمة صقلية وأمنياته بالعون فى المغامرات الإسبانية، وشكوكه حول الملك أرجون، وتذبذبه حول مصالح الأسرة التى تميل إلى مساندةأخيه وتهديدات عدوه التى قادته إلى طرق متعارضة.

كان فريدريك شخص يهوى التحدى، وهو على استعداد أن يخلع نفسه من الحكم، سيظهر أرجون للتحلى ببعض الإيمان وبالشجاعة على القدرة و ذكاء العاهل الجديد، وكلا الموقعان -حتى وإن لم يكن يستحق الموهبة الشعرية ذات القيمة لتاريخ التصوير الواقعى، وعقل فريدريك وموقفه السياسى .

كان دستور البلدة مماثلاً فى شكله لتلك الفترة، فى حين جدد بيتر وجيمس قوانين الحكمة لكل (نورمندى) أعاد تشكيل أو أساء استخدام أو تحدث عن الفكرة الرئيسية .

لكن فريدريك قد أشيرعليه أو أجبرعلى مسايرة العصر، وذهب إلى تطوير الحقوق السياسية الخاصة بالأمة بعيداً عن أى حدود وضعها نورمان و سابينا، حتى اذا بقيت الأسماء دون تغير فإن المؤسسات مع ذلك تبقى فى تحسن، وستمررها صقلية دون عناء إلى (فاسبر) كتمهيدٍ للدستور، وقد وعد فريدريك - ليس ذلك على سبيل السخرية - بأنه سوف يراقب العدل والحرية كما يتمتع بها العظماء من ملوك الأرض.

إلا أن معصية جيمس و خطواته المائعة التى اتخذها هو نفسه تجاه البابا بعد تعهده للصقليين والتى قادته إلى القسم بشرفه على أحكام الرب الرهيبة بأنه سيقاتل بكل ما أوتى من قوة حتى يحافظ على دولة صقلية الحاضرة التى لاتغتر بإخضاع المستقبل، ولا بأى دافع آخر قد يعيقه عن الدفاع عنها، وأنه لن يتقدم إلى المحكمة فى روما طلباً للغفران من هذه الأقسام حول هذه الممارسات الغير عادلة، وكضمانة لهذه فقد أخذ على نفسه شرطاً صارماً، وأنه لا كنيسة روما، ولا أى شخص حاكم سيتدخل يوماً ما للسلام أو للحرب إلا بواسطة الأمة .

وبنفس الأسلوب: فقد جزَّء السلطة التشريعية وفق الممثلين، وأمر أنه فى عيد القديسين كل عام، وفى البرلمان العام "الذى يتكون من المحاكم والنبلاء و النقابات الخاصة" لابد وأن تجتمع معاً لإمداد - على نحو موحد مع الملك جنبا إلى جنب مع الإدارات والحكومة، وأن الملك لابد وأن يكون مقيداً شأنه شأن الأفراد العاديين - بالقوانين التى يصدرها هو أو البرلمان، وقد أعطى للخطاب الذى يصدره القضاة والدوائر الرسمية التهم التى كانت توجه بواسطة النقابات للغرامات المفروضة من قبل البرلمان، وقد كان البرلمان بأكمله يتضمن المدن التى يتم انتخابها سنويا،:" ماذا سنفعل هذه الايام ؟!" قالها فى محكمة بيير العليا "المكونة من اثنى عشر نبيلاً صقلياً.

كرسيُ القضاء كان ضمن ثلاث محاكم ليس بها استئناف، وكانت مستقلة عن كل الحكام الآخرين : لأخذ اختصاصات الأحوال الشخصية من النبلاء لكنَّ ذلك الامتياز الهام مُنح منذ أيام نورمان، وأعيد إحياؤه، وقد سيطر البرلمان على تلك السلطة.

وقد أكد فريدريك على الحرية والحق الدستورى والامتيازات الممنوحة من (سابوينا) وأسلافه من الاراجون، على أن تُنظر القضايا المشكوك فيها على أفضل تقدير، ولم يُفعِّل القانون المدنى دون إعادة تشكيل فى قضايا الخيانة العظمى والتى تعتمد بشكل كبير على المؤسسات السياسية، وطبقا لطبيعة الحكومة، وطبيعة الشخصيات المتزنة الهادئة أو المتهورين أو الشخصيات القاسية الساعية للأخذ بالثأر، ولذا كان قرار التهمة هو التنازل من الأحوال الشخصية للأفراد لتصبح منوطة بالعاهل.

وقد أصبح الاختيار مرخصا على الجرائم سواء كانت تخضع للقانون العام للإمبراطور فريدريك أو للقانون الليبرالى المحلى لبرشلونة، وأخيراً فقد سنَّ الملك قانوناً لمصادرة الممتلكات المحكوم بحقه فى قضايا الخيانة العظمى، وستتلقى الزوجة عقاراً بدلاً من المهر الذى تم النص عليه فى القانون المدنى، بفقرة حمايتها هى وبناتها الذى أصبح تواقاً للخروج حتى يمحو كل أثر للحزب، وقد منع بصرامة لقب خائن، ثائر أو (فريكانو) والتى كانت تستخدم هذه الأيام للإشارة إلى التوافق التام بين رأى الشعب، وروح الحكومة مثل كتاب القوانين المحليه لفريدريك .

وفى المحتوى الثانى بضع تشكيلات لإساءة استخدام الإدارة للعدالة، ولأنه لأجل هذا فقد ساهم جيمس بإسهاب، فقد كان التشريع يستحق حيث أن القرارات منصفة، وتنتدب أخذ الاختصاص فى القضايا الجنائية فى كل الجزيرة عدا (مسيسنا وباليرمو حيث كانت الاختصاصات ممنوحة لقضاة خاصة) لذا لابد وأن يكون الصقليون نبلاءاً وأغنياءاً ليدفعوا إلى الخزينة، ويتم تغيرها كل عام، بالإضافة إلى وجود مايمكن أن نسميه لوائح بوليسية ضمن مانجده فى دستور حماية المواطن فى المناطق الملكية، وتشريع آخر سيجده المواطن فى الشوارع دون أى ضوء بعد الدقة الثالثة سيتم اعتباره مكتسبا بالاحتيال لكمية رهيبة من الذهب، لقد تمت إضافة مواداً أخرى لتقسيم الإدارة المدنية بواسطة سن تشريع لتوحيد هذه الأثقال من الخطوات ليس على كل المملكة بل على الأقل فى قطاع من صقلية حال انقسمت - أعنى من شرق سلساو إلى غربها- والتى كانت تسمى فى السابق (تومولو اوف سيراكوس و كوينتال أوف مسينا) كإشارة إلى باليرمو.

لكم ابتعد الصقليين عن هذه الأيام حيث كانت فكرة الاقتصاد السياسى متقدمة، ربما تم جمعها من قوانين مترجمة فى الكنائس حول البيع أو الهبة من خلال عقود طويلة الأمد خلال اثنى عشر شهراً سواء تملك المزارع هذه الأرض بالإرث، أم بطريقة أخرى، ولذا فإن إهمال الدولة بهذه الحيازات سمى وقفاً ربما لن يؤثر فى صناعة الدولة، ولذا فإن الوقف الكنسى للكهان كان يخضع بالمثل كأى مواطن عادى لرسوم عامة وكانت الضرائب تناهز تماما مايدفعه عامة السكان من، وقد بقى هذا الأمر من أيام جيمس بخصوص لوائح الدخل، كما سن تشريع آخر بأن يكون جميع موظفى خزينة الدولة من الصقليين المؤهلين لانصراف من مكاتبهم شخصياً وكان الوقت والطريقة ملائمان لتقديم أية حسابات حول إداراتهم .

وفى الكتاب الثالث توجَّه الاهتمام إلى منحى آخر وهو النظام الاقطاعى، فقد تعهد فريدريك نفسه بمنح إقطاعية مضى عليها الزمن إلى التاج كما كافأ النبلاء باستثنائهم من قانون الإمبراطور فريدريك، وفعلياً من كافة قوانين الإقطاع عن طريق السماح بنقل الملكية والإقاطاعية إلى حالات أخرى غير مهمة، وقد أكد إلى حدٍ بعيد على تشريعات جيمس فيما يختص بالنجاح الإضافى والمحدود المدى للخدمة العسكرية، وعلى تحسين أحوال جنود البحرية والأسطول، وبهذا تحظى الأمة بالحق فى الحرب والسلام، وهو تشريع أساسى وأكثر سهولة وسرعة للإدارة العدلية و الأمن العام، وامتياز للزراعة والصناعة إذا اخذنا بعين الاعتبار الوقت دون التقليل من امتداح مكتسبات القانون فيما يختص بتحويل ملكية الإقطاعيات بغض النظر عن المؤيدين والمعارضين لزيادة حرية الممتلكات، وقد أقسم فريدريك على ولائه

بالوفاء لهذه القوانين التى أكدها رسمياً فى الفصل السابق، وقريباً وعلى نحو مماثل أكد على ثلاثة امتيازات منحها جيمس للكاتالونيين بخصوص التجارة فى صقلية تمتد إلى كل الإسبان ضمن المناطق الخاضعة لحكم أخيه وأيضا الممنوحة لمواطنين خاصة فى برشلونة وبهذا أصبح هناك توازن ملحوظ بين جيمس وفريدريك، فكلاهما وجد نفسه خاضعاً لضغط الدوائر فى صقلية وكلاهما أملاً فى الانتقال من المصلحة الشخصية إلى الأراجون الذى كان خاضعاً لمساعدة مرفوضة من الملك.

وانتقل فريدريك بأفكاره حول الحرب، فقد عقد البرلمان المرة الأخيرة فى باليرمو، حيث جلس النبلاء على يمين ويسار العرش فيما كانت النقابة العامة بالمقابل، حيث خطب الملك كلمته فى ألفاظ متواضعة يرجع إلى الرب كل القوى التى حاز عليها، وبدأ بقوله أن العدو قد استرد شجاعته ويحاصر روكا أمبيريلا فى كالباريا، وأنهم لابد وأن يطاردوه فى كل ركن من الأرض، وبعد مرور عدة أيام سيعيد شرك الحرب لصقلية السلام القوى، فقد كانت فى مخيلته رؤيتهم وهم يُهرعون إلى المعركة عائدين بالنصر ليخضب -مرة أخرى- خصمه بالدماء، وأحدثت كلمته إثارة فى عقول مستمعيه الذين لم ينتظروا حتى يكمل كلمته ودون سابق إنذار، أو لياقة هتف الجميع بصوت واحد " حرب على العدو" حرب من أجل حريتنا وتحول الهدوء إلى تهليل، وصفق الحشد بحماس ملتهب تشجعياً للجيش، فقد كانوا مفعمين بالحيوية ولم ترهقهم أربعون عاماً من الحروب.

أخذ الملك حصانه إلى ميسينا التى حررها بسعادة مثلما فعل فى بوليزى نيكوسيا راندازو، وفى كل المدن التى عبرها وخصوصا فى ميسينا بخاصة وقت المبارزة فى

باليرمو بالقوة والشجاعة، وعلى مسافة ما من مدينة (سوفرجين) قابله موكبٌ لرجلٍ نبيل يحمل راياتٍ بحرية مثلثة عليها تعبير مبتهج، وقرنى أيل، ذلك الموكب يتكون من رجل قانون، وقد عُقدت ضمن هذا: تشريفات محترمة لأشخاص مهذبون، الرجل يكسوه حرير ومحاط بخيول ترتدى أثواب ذهبية، ورجال دين يتلون ترانيم مقدسة، وتحتشد جماعة من العقيلات فى مظهر يتسم بالترف والفخامة بالقرب من المدينة.

دخل فريدريك المدينة من الشوارع الضيقة يغطى نفسه بالزهور للتخفى أسفل قبة،:" يولد الكانوبى نبيلاً ويتقدم على الزعماء، والذى نادى بالتمجيد والهتاف وسط المتلقيين من المرافقين والحشد حتى الرضع على أذرع أمهاتهم" قالها (سبيسال) بطريقة تنم عن الاستحسان، وكانت أمه وأخته واللتان أحبتاه بعطف تتجولان فى القصر للمرة الأولى منذ تنصيبه ملكاً وقد أكد على الامتيازات الممنوحة للمواطن فى (مسينا) فى التجارة كاستيراد وتصدير كافة المؤن عبر صقلية، والتى كانت فى هذه الأيام تحت نظام تحريمى عظيم جدا، ومنحهم إياه الامبراطور فريدريك فى العام الأخير من القرن العشرين.

صدَّق بونيفاتشى الثامن على المعاهدة رسمياً فى الحادى والعشرين من يونيو، كما سمح رسمياً بزواج (خايمى وبلانش).

جدد الملك تشارلز عهده بمنح الكنيسة استرداد صقلية أثناء الاحتفال بمهرجان القديس جون وسط إقامة شعائر التنصيب والسلام، وسيطرد كل من يُشكَك فيه بأية شكوك جديدة بعقوبات أكثر صرامة.

فى السابع والعشرين من نفس الشهر أوصى راهبٌ من الرهبان بعد ما غادر (أنسيا وبروسيدا) صقلية أمراً بتأكيد الطاعة للملكة كونستانس لإرادة البابا، إذ أرسل رئيس الأساقفة الجديد من (ميستنا) إلى فريدريكو تفويضاً لإنهاء كل شئ، وتسليم الجزيرة لرعاية الكنيسة، كما أرسل فى الوقت نفسه كتاباً بخط يده إلى (كاترين دى كورتيناى) بالتنسيق مع الملك تشارلز يحثها فيه أن تفكر ملياً بقلبها وعقلها فى الزواج من خطيبها فريدريكو الشجاع، وأن تصغى إلى المحاميين من رئاسة دير (سان جيرمانو) والأسقفيات الأخرى بخصوص ذلك الغرض الذى ينم عن رعاية البابا لهذا الأمر ، والذى نص على عودتها من رحلتها إلى إيطاليا، وإلى أحضان زوجها على وجه السرعة كما شملت الأوامر: أن يعمل فيليب العادل كوسيط وأن يعلم فريدريك بدقة هذه الإجراءات من أجل إقناعه بمزيد من الطاعة والسلام .

وأن يبحث عن الأدميرال لإقناعه بتبنى نظام جديد للأمور (الثروة و السلطة والغطرسة) والتى قد ارتفعت بسبب الامتيازات الممنوحة من ملوك أراجون فى صقلية وفالنسيا، والتى قد اكتسبها لنفسه بالسلب والنهب والفدية والتجارة والمقايضة، والمجد الذى اكتسبه بالسلاح، والخوف الذى اكتسبه بطبيعته ذات الشكوك الكثيرة، والتى جعلته بين أعتى الرجال الذين يملكون السلطة والنفوذ لإنقاذ أو تدمير صقلية فى هذه الازمة، ولهذا تم التفاوض معه أولاً - شخصياً - من خلال (بونيفاس كالامندارنو) الذى منحه البابا جزءاً من الكنسية بجزيرة (جيربا) والتى قد تم الحصول عليها بأسلحةٍ صقليةٍ، والتى يتمنى أن تصبح إمارة مسيحية جديدة أو وكراً للقراصنة فى بلاد الشام، حيث سيتم

تقديمها إلى الأدميرال ومحاربيه من الأسطول الصقلى والذين سيمنحون أنفسهم له .

هكذا عامل لوريا ممتلكاته فى إسبانيا وكذا الحال بالنسبة لسيادة (جيربا) وتجمع القوى الذى قد تحتاجه صقلية فى حالة المقاومة، ومن جهة أخرى عبر حيازته لصقلية على شرف اسمه، فقد تعب من السلام إذ أنه شريكٌ لشعبٍ شجاع رافقه لمدة اثنى عشر عاماً من النهب والصراع والانتصار فى كل شئ، فهو طموح لا يعرف له لقب يتطلع إلى السلطة السيادية فى صقلية، وهو الداعم الرئيسى لفريدريك .

:"اسمع الآتى أيها الأدميرال: فى الواقع هناك عروض أقل عظمة فى حالة السلام، لكن فى حالة كسرها والتخلص منها بشكل جيد وسيلقى ذلك بالكثير إلى فريدريك وصقلية .

حظ صقلية يرتعد على حافة من الدمار بسبب تخلى الملك والأدميرال وجميع الشخصيات من النبلاء، إذا تم إعادة ممارساتها من الحماس الشعبى، لكن تم حفظها إما عن طريق تأثير فيليب، أو بمحض الصدفة التى تبناها الشباب لرفض (كاترين دى كورتيناى) التحالف مع فريدريك، وإرسال الرد فى كلمة إلى البابا والذى يلزم أميرة الإقليم بعدم الزواج من الأمير دون الأرض، واستمرت بعنادها فى هذا القرار رغم الجهود التى بذلها البابا، وقد أدرك فريدريكو أنهم قد يحتالون عليه، ولذا فقد كرس نفسه وروحه إلى آفاق جديدة أكثر صلابة، وقابلةٍ للتحقيق فى الوقت الذى تشير فيه الأخبار القادمة من صقلية من المعاهدة وكان عليه إعادة إيقاظ مشاعر

الجميع عام(١٩٢٩) فى الوقت الذى زاد فيه الغضب وقرب حدوث الخطر.

ومن هنا فقد سعى لامتلاك جزء من التاج علاوة على ذلك فقد قيدت حركة الأجانب الذين يدينون - تحت قناع - بالولاء (لخايمى) وخيانة للبلاد التى دعموها، وعندما علم فريدريكو بنوايا شعب صقلية ورغبتهم المتهورة فى التخلى عن أسطورة الملك الذى تشرها فريدريكو للإستيلاء على التاج ، من أجل زيادة نفوذهم، واختيار رئيس واحد فقط ، وكان تصرفاً بدافع من الضمير والولاء لراماندو الامانو، ومن بين ذلك لُوحظت أسماء قادمة من (بروسيدا) مثل (ماثيو دى تيرمينى ومانفريد كيارامونتى) وغيرها ممن مارسو الحيل الفاشلة التى أدت بهم إلى المكوث فى قلاعهم وهددت البلاد بحرب أهلية .

وقد أزالت الملكة كونستانس هذا الخطر بالاقتراح الداعى إلى الخطباء، والتى تم إرسالها إلى كاتالونيا للتأكد من نوايا خايمى، وقد استدعت البرلمان الذى انتُخب من (كاتالدو روسو، وبيسالا سانتورو، و تالاش أجون) وفى الوقت نفسه فريدريكو للتآمر، ولكنهم اجتمعوا دون جدوى، فقد أدركت الحيلة وأصبحت تعمل علناً فى البرلمان الذى يضم مجموعة من الوطنين على وعد بكشف المعاهدات التى أبرمها خايمى مع أعدائهم، وقد غادر هؤلاء الذين أطلقوا على أنفسهم مواليين -وسط سخط شعبى عالمى والاحتفاظ بنائب للملك، مع العمل مع قوة أكبر- للشروع فى نشرها على الجزيرة لزيادة التأثير والتعزيز للحزب عن طريق إصلاحات مناسبة، وإدارة يقظة من العدل والتجمعات للصالح والخير .

وعندما وصلت خطبة شروك السلام من كاتالونيا إلى صقلية والتى صدَّق عليها المبعوث (كورتيس مندول) للملك تشارلز، والمندوب الباباوى والذين كانو فى طريقهم مع العرس إلى (بربيتان و بيرلادا وخايمى) للوفاء لجيرونا وبرترام فيلا من أجل الالتزام، وخوفاً من الحرب: سار فى زهوٍ مجموعة من النبلاء الذين تبعوا القطار الملكى، حيث جاؤوا من روما للابتهاج بدعوة من بلانش " الملكة المقدسة " فى التاسع والعشرين من تشرين الأول.

ابتهج الآن في زهوٍ النبلاء الذين اتبعوا القطارالملكى، وفي العديد من الناس الذين جاؤوا، والصبر عن الغفران من المحرمات فى روما، والابتهاج، والدعوة من بلانش "ملكة السلام المقدسة" كانت في (بيرترام فيلا) في التاسع والعشرين من تشرين الأول عندما اقترب القطار الذى كاد أن يقترب و تطلعات المبعوثين من صقلية تجاه الملك خايمى للابتهاج مع النبلاء فى المملكة، وبعد استماعه إلى مشكلات البرلمان الصقلى: اعترف الملك دون تردد بالمعاهدات مع (كاتالدو روسو) ذاكراً كافة المشكلات التى يمر بها قائلا :" هوذا حزن جميع الحزانى وتعب جميع المتعبين لايماثل حزنى " وبعد مقطوعة من الرثاء مقتبسة من الكتاب المقدس قال:" أنه سيصحب أصدقائه فى صقلية للسفر لكسر مظاهر اليأس والحزن البادية عليهم، و بكى خايمى بصوت عالٍ قائلاً : "لم يسمع بهذه القسوة :" أيتخلى الملك عن الرعايا المخلصين لتلتهمهم أعدائهم ؟" ولكن بعد أن حدث هذا السلوك واصل الملك رباطة جأشه، وقال بفخر محتجاً فى جلسة علنية : " هذه صقلية قد تبرأت وتخلت عنه ... وأصبح لقبها الملك خايمى ولى العهد ... أنها برَّأت نفسها من كل شئ : القسم، والولاء،

والاعتماد على نفسها بأنها ستكون حرة تجاه أى فعل من أفعال الحكومة " وقد اضطر الملك لقبول هذا الاحتجاج، وكذا فعل السفراء، وقبل أن يغادر خايمى أتته الجرأة ليقول لهم بكل فخر:" أنه ووالدته وشقيقته من أبناء صقلية " وأضاف فريدريكو ": أنا لا اتكلم أنه هو الفارس ويعرف جيدا ماالذى يجب عمله كا تعلمون جميعا ."

واجه فريدريكو توتره بالطقس الرائع فى صقلية الذى وضح عند تأخرعودتهم بعد أن شرع السفراء (بياسالا و سانتورو) فى رحلة الوطن إلى دمر على ساحل (بروفانس) واعتقل خايمى هناك فى كاتالونيا مع زميله المواطن فى الثلاثين من أكتوبر، وقبل المندوب إعادة المملكة إلى حضن الكنيسة.

وأعلن الملك بعد ذلك إلى تجمع كورتيس أراغون: انتهاء صراع صقلية العظمي، وفي نفس اليوم أعلن تشارلز الثاني العفو عن جميع الجرائم المرتكبة، ونبذ جميع الممتلكات العائدة لنفسه أو أتباعه والتى احتلت خلال الحرب مع خايمي، ووالدته، ,فريدريكو، وبيتر، وبارونات كل ما لديهم .في اليوم التالي خايمي،اللجوء إلى أبناء تشارلز الثلاثة التي قضاها مع الرهائن الآخرين، تلقى عروسه، واحتفل بزواجه في الأول من نوفمبر.

في حين كان في صقلية القلق الأعظم والكبير، وكان أول ماحدث قبل عودة السفراء أن كسر فريدريكو مسيرته عبر (فال دى مازارا) داعياً إلى لقاء فى باليرمو بهدف إسقاط جميع التهم عن البارونات والفرسان، بالاضافة إلى الفاعليات النقابية فى المدن، وقد نظر فى إعلان

التنازل عن الجزيرة، الأمر الذى لم يعد مشكوكاً فيه من أجل احلال السلام والرد على السفراء .

حينئذ كاد يدخلها فعلا بهدف إنقاذ المظاهر إلا أنه أرجئ حتى الحادى عشر من ديسمبر إلى أن يعود البرلمان إلى مبادئه الأولى للثورة من خلال إضفاء الإجماع على صيغة نهائية للسلطة العليا بخصوص فريدريك، ولكن انطلاقا من الاحترام لرغبة عالمية الأمة، فقد قدَّم –فقط- لقب الملك صاحب الجزيرة .

وعين رسميا التصويت ولذا فقد استدعى الجمعية العمومية فى كاتالونيا فى النصف من شهر يناير، حيث يجب أن يتم تمثيل المدن والبلديات ليس فقط من خلال السكان ذوو الثروة الملحوظة والحكمة أو النفوذ، مع تفويض كامل للاتفاق على قانون السلطة السيادية الأعلى الممنوحة لفريدريك احتجاجا على قدسية القضية.

وتثني على الله نفسه وإلى أبناء صقلية، قبلت مقاليد الحكم، و رهن نفسه للدفاع عنهم بالروح و كل غالى، ففي البداية انتحل لقب أمير صقلية، وفي اليوم التالي أعلن حالماً أن الاستخبارات من الخارج والمداولات الأخيرة، وتوسل مجلس البلدية إلى البدء دون تأخير في انتخاب النواب إلى البرلمان في كاتانيا.

بعد هذا التعبير بالإجماع للرأي القومي قد أضعف – بسهولة- النزاع الحزبي للنبلاء، وواصل (روجر لوريا و باليزى فينجورا) و كثير من النبلاء البحث عن (راموندو المانو) الذي كان قد احتمي في قلعة كالتانيسيتا، وصرح في البداية لتقديم دليل على ميلها إلي إقامة حفل استقبال ودية لضمان تخلي وتنازل جيمس أمام جميع أحزابه.

استقبلت أوامر جيمس بعد فترة وجيزة باستدعاء جميع الكتالونين وأراغون من جزيرة صقلية، وتمنع التنازل عن الحصون التي كانت تنفذ باسم الملك بواسطة راموندو المانو، فاليراجوت بيرينجر، بالأسلوب التالي : الضباط، أي المتقدمين أمام البوابات، طالباً ثلاث مرات، بصوت عالٍ، إذا كان يريد أي أحد الاستيلاء علي الحصن باسم الكنيسة المقدسة بروما، ولم يظهر أي أحد للرد و تراجعوا عن مواقعهم العسكرية، وتركوا البوابات مفتوحة والمفاتيح في الأقفال، وعلى الفور قامت المجالس البلدية بالاستيلاء علي الحيازة منهم باسم فريدريك هذه، وغيرها من فرسان الإسبانية، عادوا إلى بلدهم، وظل العديد في صقلية لملاحقة ثروات فريدريك، رئيس أرجون (ديلي امبيورى و بلاسكو الجانو) الذين هجروا الاجتماع الرسمي لجيمس بعد تخليه، و توقعت إسبانيا بعض مغامرات الأمراء علي الرغم من أن جيمس لم يمنعهم من التخلي عن أسلحتهم المرخص لهم بها طبقا لقانون مملكته، وبالتالي، قام بلاسكو بتشجيع رفقائه، مذكراً إياهم أن أمتهم تتباهي بأعظم الحريات التي يحكمها الملك ولا تطاع إرادة الأمير، ولكن يتبعوا ما تمليه العدالة والعقل، وعلاوة على ذلك: أنهم فسروا إرادة بيتر والأخري المعبرة عن ألفونسو كدليل على أن جيمس قد يستقيل لقبه من الكنيسة ولقبه لمملكة صقلية، ولكن ليس ذلك من آخر، وأن فريدريك له الحق الكامل فى الاستيلاء على الملكية، مع هذه الحجج فإنهم نجحوا، ولكن بصعوبة في إقامة مظهر للشرعية من خلال السيادة التي هى في حد ذاتها الأكثر شرعية، كما أنهم لم يلحظوا أن الكونستانس وحده له الحق في أن ينتقل إليه الحكم عن طريق الوراثة، وفي الواقع ليس من حق

بيترأو جيمس الصعود إلي العرش، علي اختلاف ما يفعله فريدريك الآن من خلال انتخاب الشعب له.

إن ختم صقلية المستوف للشروط القانونية أضاف إلي ختمها علي الرغم من ذلك فإن محكمة روما، نابولي، فرنسا، وأراغون الجميع كان ضدها.

و في الثامن عشر من يناير(١٢٩٦) في كاتدرائية كاتانيا تم جمع عدد هائل من ممثلي الأمة معاً حيث أن العديد من أمراء الاراغون و الكاتالون أملوا الكثير من الثروة في صقلية عن بلادهم، و قد قام روجر روليا بالتحدث أولاً ثم تبعه فينشونيا باليزا بالحديث، و الذي تميز بالعبقرية و البلاغة ثم تبعوا بأمثالهم والتي كانت مطابقة لتصريح الملك فريدريك، و أصدر مرسوما بأن يتم الاحتفال بالتتويج في باليرمو، وكان الثاني من ذلك الاسم الذي حكم في صقلية ولكنه أخذ لقب فريدريك الثالث لكونه الإبن الثالث لبيتر أو ملوك الأراغون لصقلية، أو ربما يرجع ذلك إلى خطأ دبلوماسي، و أنه من المتوقع أن لقب فريدريك الثاني ينتمي إلي فريدريك من (سيوبيا) الامبراطور الثاني، و لكنه الاسم للملك الأول لصقلية.

عندما أعْلم (بونيفاس) بالخطوات الأولي التي اتخذها برلمان باليرمو، و لعدم كونه في وضع يسمح له باستخدام القوة، فإنه لم يترك أية محاولة لحيلة غير مجربة.

و في الثاني من يناير كتب إلي فريدريكو يذكره بمفاوضات العام السابق، و قلقه الذي سببه له كلا العروسين والإقليم، و بالرغم من رفض كاثرين للتحالف فقد حثَّت علي إعطاء مسافة قبل تجدد التوسلات،

وبالتالي تتمكن من اسحضاره و مناشدته بكل خلاف قوي يمكن أن يخترعه لكي يكف عن المطالبة بالعرش، فقد أرسل تذكيراً للملكة كونستانس لنفس السبب وفي نفس اليوم وجَّه مذكرةً " الي البلاطمة و أبناء صقلية" صاغ فيها البنود الأكثر استرضاءاً مصرحاً فيها كيف ستتسعي كنيسة روما الآن لمداوتها من أحزانها لكي تواصل الخير العام، وستحكمها بشكل استقلالي عن طريق وسائل رئيسية، مضيفاً أن أبناء صقلية يمكن أن يختاروا من الأخوة في الكلية المقدسة والتي تكون أقرب لاذهانهم أكثر، والتي تمكَّن البابا من السيطرة عليهم، و اتهم أسقفاً أو رجلاً بتلك الكتابات الخطية، وقد قام بونيفاس كالامندارنو خلال الأربع سنوات الماضية بمقاومة أوروبا في جميع الاتجاهات بسبب ما يُدعي بمفاوضات من أجل السلام، واعتمدوا علي الدعم من فصائل الألمانو و بروسيدا لعدم إدراكهم حتي الآن بتشتيتها، وبتلك الآمال وصل كالامندارنو إلي صقلية قبل أو بعد برلمان (كاتنبا) بفترة وجيزة.

للمؤرخين،حريصةعلى تسليط عارعلى الصقليين ،في الظرف الذي كان بالكاد أقل هزيمة أشرف من النصر،تمثل ثروات صقلية حيث فقدت تماما،كوسيلة للدفاع جرفت،والقهر لامفر منه ، ولكن إذا كان جيمس أراد ذلك فانهم قد يعطونها له للسماح لها بالهرب من فريدريك حتى تتواطؤ معه ، على جانب اخر فان الوارد التصريحات بشكل غير صحيح تثبته الاحداث المتلاحقة بشكل كاف.

وكان انتصارجيمس بطعم العاروالندم نتيجة للخسائر فى أرواح أتباعه خلال فتح برشلونة، وأصبحت شاهدة على أعداد هائلة من القتلى على حد سواء من النبلاء

والمحافظين، وقال صائحاً أن هذا اليوم التعس لم يكن ليعزى هذا النصر، وعند ذهابه إلى صقلية وجد طوابيراً طويلة من السجناء الموجودين قبله، فطأطأ رأسه عندما سأله رجل مسن واقف وسط الحشود ممن كتب (سبيسيال) عنهم وهو من الذين تلقوا إهاناتٍ من رعاياه لأنه تخلى عن قضيتهم وقال صائحاً :" نحن لانطلب منك استعادة الدم الذى سال من قبل للحفاظ على العرش، ولكن اسمحوا للأمة الكاتالونية بالفخر لحرياتها والسماح لها برد الجميل من خلال قوارب الصقلي التى كادت تبتلعها العاصفة فى خليج ليون، وسواء استُخدمت هذه التعبيرات لهذه المناسبة أو بواسطة مؤرخ لتمثيل الشعور العام للدولة فإنها قد أزعجت أذهان الفريق الكتالونى، وفى الواقع فقد انخفضت تكاليف الحملة الصقلية بمشاركة جيمس، وكان ذلك هو مكسب (انجو) من زيادة الأموال ليس بغرض التسلح، ولكن بهدف دفع الرواتب، مع فقر (تشارلز) وغدر (بونيفاس)، ومع ذلك مُنعت الثروات عنه عندما اعتقد بأن مشاركة جيمس فى النضال أبعد من إمكانية الانسحاب أو الرجوع للخلف، الأمر الذى يصعب معه الاختراق، ولذا سعى فى تخليص نفسه من الشِرك مثله مثل الملك أرجون الذى عبر لجلب المرتزقة المجتمعين فى (نيكوترا) فى الإقطاعية بالمملكة فى نابولى ونقلهم عبر صقلية بعد أن تجمَّع الضيوف مع روبرت وفيليب، وأعلن لهما صراحةً بأنه قد وُفى له بوعد البابا وسحق القوى الصقلية، وأن اجتماع روبرت مع الأدميرال غير الرسمى الآن مع الجيش فى (انجفين) يحرز تقدماً بشأن إنهاء الشراكة بشكل ناجح، ولكنه كان مضطراً بحكم الضرورة للعودة إلى كاتالونيا وربما كان هذا لعدم إغضاب روبرت الذى كان يطمح بمجد أرجون من دبلوماسية فى الحرب وتنفيذ تبادل الأسرى فى بلده

صقلية مثل العام السابق، ولذا مذ غادر روبرت مع فيليب أمير (تورونتو) مع احتلاله للكثير من المعاقل مثل شراع ساليرنو، وعبثاً حاول الملك تشارلز إقناعه بالبقاء واعداً إياه بحياة رغدة، ومنحه امتيازات تجارية وكانت هذه هى مصطلحات التجار الكاتالونية الأكثر إغراءاً إلا أنها كانت غير مرنة بالنسبة لأراجون، حيث اجتماعاته بطريقة غير رسمية بحليفه، وكان عليه أن يفصل نفسه عنه.

وعندما ذهب جيمس إلى نابولى استقبله الملك ببرود، ولكن لفترة قصيرة حتى عودته إلى إسبانيا غير راضي عن نفسه والآخرين فى هذا، ولذا فقد شن هجوماً حاداً على أصدقاء جدد كان عليه التخلى عنهم، ولم يكن فريدريك الصقلى مستثنى من هذا الهجوم ولذا تابع أراجون نجاحاته -التى من وجهة نظره قد ألحقت أذى بالبلاد- حينما تذكر الماضى ومعاناة الآخرين، وفى الواقع فقد كان يتساءل كيف يمكن أن ينسب إلى مثل هذه الصفقات الانتصار فى المعارك التى انتهت بعد إراقة الكثير من الدم الصقلى مثل الّذى أريق فى أورلاندو دى كابو .

وفي الوقت نفسه كان على فريدريك من أجل استعادة الكرامة والحصافة أن يتعافى تفكيره أولاً، وتسارع نفسه إلى مكان العمل، ودراسة كل التوسلات والالتماسات للعودة إلى المعركة والاستعداد للموت فى سبيل النصر، وإعادة النظر فى هزيمة صقلية، لكنه سرعان ما أعطى الإذن للأشداء، وعقد العزم على النضال للحفاظ على تاجه وعندما ذهب إلى مسينا، ووجدها غارقة فى الحزن والخوف ومليئة بالبكاء

والرثاء نتيجة الهزيمة والأخبار المغلوطة والشائعات حول سقوط الملك فى المعركة، أدرك أنه لايوجد سوى رجل واحد يستطيع انتشال البلاد من الدمار الذى لحق بها، وبالتالى وعند اجتماعه غير الرسمى بفريدريك الذى تلطخت يداه بألواح الطباعة والقطع الأثرية، تغير حزن الشعب إلى ابتهاج وتناسى هذه الأشياء على أمل الخلاص وأمل الحشود حوله بفارغ الصبر، حيث يعلن أيموسولى أن خساراتهم كانت من أجل لاشيء!

لطالما حفظ كافة العطاءات والبضائع فى سبيل الدفاع عن صقلية، حينها أجاب (فريدريكبنبل): " تُنظم جميع شؤون هذا العالم وفقا لإرادة الله، أما الحياة البشرية فهى متقلبة الازدهار، وليس أمراً عجيبا أنه -وبعد سبعة عشر عاما من النصر- مُنى بهزيمة واحدة " ، ولذا لايمكن أن ينظر على ذلك بأنها حملة فقدان بوجود الرجال والسلاح والمال، ولكن السماح بثبوت ذلك سيحول الحظ لمصلحتهم.

اذ لم يحدث أن احتلت صقلية عندما كان أبناؤها ملتفين حولها، ولذا كتب على الفور إلى باليرمو، وكذا مدن أخرى بخصوص الاستمرار على قدم المساواة، وأن الهزيمة ناجمة عن الاختلاف بشأن ألواح الطباعة فيما بينهم، وأن مقدار الخسارة قد أتاح للعدو الهجوم، الأمر الذى جعله يعدهم بالمبادرة بالدفاع عن كل نقطة مهددة، حيث يكمن النجاح فى إصلاح الضرر الناجم عن الصدمة الكبيرة بشأن حصول فريريدك على ما كان يستطيع الحصول عليه سابقا من خلال وقوفه فى موقف دفاعى يجعل العدو يعانى من الانتشار فى البلاد المفتوحة، فى حين تمت حراسة الأماكن المحصنة، ولذا دفع بنفسه مع فرقة المختار (جيوفانى كاسترو) فى

(واينا) القديمة وهى مدينة كبيرة وقوية الأمر الذى منحه موقف القائد فى وسط الجزيرة .

فتقسيم الجزيرة مضمون دون التمييز لنسب معين، وبعد ذلك استثمر (نيكولو وداميانو باليزى ، الأخوة و فينسنجيورا) فى المدينة وحتى القلعة من مسينا ووضعها فى وظائف أخرى ذات أهمية قصوى، كما طرح الملك نيته للاستعداد لتوجيه مسيرته إلى الداخل فى حالة الدفاع ومن ثم اتخاذ منصب فى (جيوفانيكاسترو و انجيفنز) من ناحية أخرى استعداد لمتابعة فوز جيمس وخلال ثلاثةأسابيع كان قداستعاد كابري،ايشيا،وبروسيدا،من خلال نشرشائعات عن الاستعدادات الحربية والتأمر مع المذكورين، و(بيتر يالفاكوس) من ايشيا المعروف بشجاعته، كما أدلى بروتونتينو من ايشيا (أوكما ينبغي لنا أن نقول الآن نائبأميرال،) فيالمرتبةالثانيةبعدلوريافيقيادةالأسطول ترشيح الاوامر للملك ومنح الاقطاعات فى صقلية ولم يمض وقت طويل الا وقد تم قبول جنود فى صقلية التى وجدوها أكثرعدلامكافأة ، وفيما يتعلق بصقلية الذي لم يكن ينظرإليها- ثم في ضوء إيشيا - إدراك أن الحكام إلى جانب جشع الحكومة، وهذه الأفعال هى التى دمرت تشارلز الأول والامتيازات القديمة للجزيرة التى كانت واحدة من أهم الأسباب، وهذه أفعال تشارلز الأول التى دمرت الامتيازات القديمة للجزيرة فكانت واحدة من الأسباب القوية التي كان ينظرإليها،وشرع مرة أخرى لجعل المحاكمة مناسبة، الأمر الذي سبق البعثة في من (١٢٨٤) بواسطة تشارلز أنجو المتعجرف، وبالتالي: وفى (٢٤ يوليو ١٢٩٩.) مع القليل من الائتمان ليس لنفسه ولنصيحته من مرة واحدة، وإلى تقسيم توحيد الممالك التي أنشئت روبرت دائما لنائب العام من

الجزيرة، الممتدة على نطاق واسع مع السلطة في جميع المسائل الإدارة المدنية، جنبا إلى جنب مع قوة الحياة والموت وفق الشهادة، وقال أنه قد يحمل في الجزيرة تماثيل كاملة للشخص المالك جنبا إلى جنب مع وثائق في هذاالشأن، هونفسه الجهد المبذول إلى أقصى درجة ممكنة لإرسال قوات إلى صقلية، والأحكام حتى الآن، وأنه سيكون هو من يحرس طويلة أنه يمكن استخلاص أيٍ من الامدادات من الجزيرة.

وكان التقدم الذي أحرزهروبرت الاول في الواقع بطيئ،ولكن للأميرال،والإقطاعيين في السابق من هذا الجانب هذه --- كاستيجليون،روسيلا،وقدمت نفسها --- بلاكى،وفرانكافيلا قد يقتدى بهم،ولكن ان كان مخشع من قبل القلعة،التي عقدها دورياكونراد. ولكن عندما تتقدم الداخلية من الشمال سعا للوصول إلى الساحل الشرقي فى راندوزو المدينة الأكثر أهمية،بعد ميسينا،فيديمون فال،كان أول من تبين له أن الهزيمة في كابودي أورلاندولم يكفي لقهرصقلية . الا انه تعرضه للاعتداء من قبل روبرت،الذي كان قد احتل سابقا البلادالمحيطة،أدلى رئيس مواطنين ضده في لقاءات كثيرة،وخاصةفي واحدةعنيد جداودموية في ينبوعر وكارو؛حيث بعض من اشجع من الفرنسيين بعدأن سقط،أمر دوق تراجع،وبعدأيام قليلة،بناءعلى مشورة من لورياروجر،رفع الحصار،من أجل الحصول على الأحكام تجاه البلد،تحديث جيشه في بعض الاحيان يحتاج من قبل الاحتلال بلا منازع ادرينو ،مكان اللقوة صغيرة،وسرعان ماشرع انك امبضد القلعة المجهزة تجهيزا جيدا من بترنو. والتى اقيمت من قبل ماليت االقديمة مانفريدتشامبرلين العظمى للمملكة ،الاكثرية في كل من بيتسوبيا ،والأمراءمن أراغون،ولكن المدنين

غيرالمستخدمين يواجهون المصاعب؛سواء من الخوف،أوالتعب من الحصار او الاستسلام في اليوم الثاني. وكان هذاالجيش من إنقاذ روبرت لعدم وجودأحكام،واضطر في غضون بضعةأيام للمغادرة،أوالوقوع في أيدي فريدريك. ولكن أسوأ مازال تأثير المثال المعطى الآن؛بالنسبة للرجال هي متعودعلى يل عن جبن الآخرين،وفي نفس الوقت لاستخدامها كذريعة لتخليه عن واجبه التي قدتكلف غاليا. ارتدى ماليتا من السنوات القليلة المتبقية من حياته في بلد العدو،وساعد في العار والفقرالمدقع،ولكن ليس لديها في العالم مكافآت ولاعقوبات كافية لسدادخيرا أو شرا كثيرا ماينطوي على أمة كاملة من أعمال رجل واحد. وضعت رسائل من هذا الخائن بوسيرى ، فى مكان قوة كبيرة تابعة له،في أ يدي العدو. للاميرال،وأخ ذمعه فرقة من الجيش،وجونكالارو ،لاندولاين جون،ليلى توماس،والسجناءالذي اتخذ في أورلاند وديكابو، مكانة متقدمةضد فيتسني،والتي حصل عليها كالارو بواسطة حيازة غير امينة وعليه ان يظهر نفسه للمواطنين في خضم دفاعهم القوي،وكان في استقبال بفرحبهاعلى حساب من له شهرة عالية،ويعمل بنفوذه الجائر في التسبب في طرح بوابات مفتوحة للأميرال. استغرق هذا الأخيرعندئذ عاد إلى بالاجونيا بعد أن قواته المتحدة لتلك روبرت،انتقلوا إلى الهجوم كيارامونتي،ورفض الشروط التي طالبت بها الناس،الذين بعد مناوشات قليلة ، اعتبرها عدم قدرتهم على الدفاع عن أنفسهم، قسرا ملك المدينة،والأولى التي،في حروب صلاةالغروب،والعدو قد غزا بقوة السلاح.

أعطى بالتالي فإنهاهنا دورة مجانية عن وحشية المزاج فوضع الرجال على السيف،محطما الحجارة على

الرضع،وتمزيق أجساد النساء الحوامل،وبعد كل هذا العنف والقسوة،وتجميع قوات من البؤساء الإناث ،البقايا الوحيدة لسكان كيارامونتي،فإنهار فعتلهم عليها مثل المدن المجاورة. وكانت قوات انجفين وحدهاهى التى تقوم بمثل هذه الأعمال الانتقامية،كما كانت قبل كل شيء في هذه الاعمال من نهب. قدجمعت كل مايلتقط من بعده ممن سولتير الى فيتسني حاملا الخزي اليهم،مثل القطاع الاخر من الغزاة الاجانب من كيارامونتي حيث استغرق الجيش اتجاه كاتانيا،ونزلوا في كروما لعنب من،ولكن بعد ثلاثةأيام عسكر بشكل غيرمتوقع،واثقين أكثر لدسيسة من الى القوة ضد مدينة قويةجدا،بقيادة الجونا بلاسكو. لإعطاءالوقت لعمل الخيانة وصورها أنهااعتداء،حيث كانوا في ا لبداية من قبل صد براعة منجوفينش و ديليابريتى ،والنقيب من المدينة،وفي اليومالتالياعترف بهذه المعاهدة ثم التقيا بعدذلك ولكن بعد أننزلوا الساحة واجراء فحص دقيق؛لكاسيراندو وليام وباليرمو اباتى معسرب حوالى الستين من الخيل،انفجر كالصاعقة اثناء الهجوم، ورموا أنفسهم تجاه المدينة،معززة مع كل تأثير بأسمائهم وشجاعتهم واستغلال الأخيرة. في الدوق دون جدوى،من جانب سهل سانجورجيو، وأميرال من ذلك من ينبوع فيكو،ضغط الحصار والاعتداءات التي يقودها، أوالشروط التي عرضت، والمواطنين من ساحة ردت بأن قلوبهم منذ زمن طويل متهيئة؛ التي من شأنها أن تموت،إذا اقتضى الأمر،ولكن الاستسلام أبدا. جعلواصالح هم الكلمات من قبل الدفاع النشطة،بحيث روبرت،بعد فقدان الكثير من أتباعه، رفع الحصار، تنفيس غضبه بعزل البلادالمحيطة، وإخراج قواته على بترنو.

وعلى مسافة من المدينة كان فى استقبال الملك موكب متألق بالألوية والرايات مثلثة الشكل، والملابس الفاخرة

اللامعة، وقد تكوَّن ذلك الموكب من رجال القانون الذين يتمتعون بأرفع المقامات بين أعلى المثقفين، والنبلاء يرتدون الحرير، ويعتلون الخيول التي كانت سروجها مصنوعة من قماش مذهَّب، وكان رجال الدين يتلون الترنيمات. وعلى مسافة أقرب من المدينة كانت حشود الخادمات والوصيفات مصطفات بشكل فاخر، وتتزينَّ بالأحجار الكريمة وتتعطرنَّ بعطور الشرق.

دخل فريدريك المدينة من خلال الشوارع المزينة بالصور والتي تتناثر بها الزهور، تحت قبة يحملها النبلاء، ويسبقها المنادون الذين يعلنون مجده وسط هتافات الاستجابة من الحراس والشعب، حتى الرضّع في أحضان أمهاتهم كانوا يقولون سبيسيال ويشاركون في التصفيق، وبعد النزول من على ظهر الجواد عند القصر: قامت والدته وشقيقته اللتان تحباه بحنان بمناداته بالملك أكد لمواطني مسينا على شرف التجارة في مجال استيراد وتصدير المؤن في جميع أنحاء صقلية، وهو ما كان عملا جليلا في تلك الأيام في ظل النظم التحريمية، والذي منحهم إياه الإمبراطور فريدريك في العام الأخير من القرن الثاني عشر. ١

١(وثيقة مُنحت في ميسينا في الخامس عشر من مايو ١٢٩٦، ونشرت)

قام (لوريا) بمساعدة نشاط المواطنين العام بتجهيز الأسطول من أجل حملة رائعة. ولم يمض وقت طويل على اعتلاء الملك الذى كان يخوض حرباً لأول مرة حتى حطت نسور (شوابيا) على حقل أبيض بأسلحة أراجون، وعبرت المضيق بقوة كبيرة ورحبت بهم هتافات عظيمة في (ريجيو) فهذه المدينة وبعض المدن الأخرى في (كالابريا) أبقت على ولائها لصقلية، على الرغم من

فرمانات جيمس، ومع ذلك: فُقد عدد أكبر، وهو الأمر الذى لم يستطع (بلاسكوألاجونا) الشجاع التغلّب عليه نظراً إلى عدم كفاية قواته، على الرغم من أنه أبقى العدو في حالة تأهب، ومواصلته حصار سكويلاسي.

كانت هذه المدينة إذن هى التى قاد فريدريك مسيرته إليها بعد جمع قواته في ريجيو. وعند رؤيته الأولى لموقع سكويلاسي، تساءل إذا كان لديه أية مؤن من المياه بجانب تلك المستمدة من النهرين عند سفح التل، وعندما أجيب بالسلب، أرسل إلى بحارة الأسطول، وركّز الجنود على طول منحدر حاد والذى ينحدر من المدينة إلى النهر ويحتل كافة الطرق المحيطة، لذا هرع المواطنون الذين يحترقون من العطش وينظرون من القمة إلى الأسفل تجاه مياه النهر الصافية، والتي تم منعهم من الوصول إليها بيأس لقتال قواتنا، ولكنهم هُزموا وأُرجعوا إلى المدينة من قِبل ماثيو دي تيرميني، وعندما رأوا أنه لا مفر أمامهم إلا الموت عطشاً، سلّموا أنفسهم إلى فريدريك، وعندما ترك سكويلاسى توقّف للحظة بالقرب من روشيلا للنظر في خطة عملياته ضد الكونت بطرس روفو الذى حصّن نفسه فى (كاتانزارو)، وجعل المقاطعة بأكملها تخضع له.

وهنا :كشف الخلاف البغيض عن نفسه بين قادة صقلية: (روجر لوريا) ذو الثروة العظيمة والشهرة والفخر كان يميل أكثر لكي يكون السند الأساسي والوحيد للنظام الملكي الجديد، وبينما تأسره خدع جيمس والعدو الذي نسب شرفاً كبيراً لنفسه ولجون بروسيدا وكافة الأجانب الآخرين الذين كان لهم دورهم في الثورة الصقلية.

كان دافع فريدريك متأصلاً في قلب الأدميرال منذ فترة طويلة جداً إذ أنه -على وجه الحصر- كان يحكم نفسه ويحكم مملكة صقلية.

لهذه الأسباب بالذات: شعر البارونات الأخرون والذين لا يقلون شجاعة في الحرب بغيرة عميقة من الأميرال، وقد لاقوا أيضاً قبولاً أكثر من قِبل فريديريك، وسنحت الفرصة بسرعة للتعبير عن تلك المشاعر.

رغب الملك في شن هجوم على (كاتانزارو) وهو يدرك جيداً أن إخضاعها سيؤدي إلى إخضاع كل ما يحيط بالدولة، وفي المقابل: مثّلها لوريا - الذي ينتمي بصلة قرابة للكونت – على أنها موطنا لقوة كبيرة، وبالتالي سيكون من الأفضل تخطيها واحتلال المدن الأضعف، وترك كاتانزارو تضعفها المجاعة، وفي خضم ذلك الصراع بين الآراء، لم يجرؤ القادة الآخرون على المعارضة، والآخر لوريا في المجلس لئلا يربكهم بتوبيخه إياهم في حالة وقوع كارثة، ولكنهم لم يكونوا يرغبون في السماح لقراره بالمرور دون احتجاج، وأعربت إيماءاتهم المميزة وتمتماتهم أكثر من الكلمات. أدرك فريدريك تلميحاتهم، وأعطى -بحزم- الأوامر للزحف إلى كاتانزارو، وطلب من الأميرال إعداد آلات الحرب من أجل الحصار، وقد أطاع لوريا الأمر في صمت.

وبعد إقامة مخيم أمام القلعة، رأى فريدريك أنه من المستحسن مهاجمة الجانب الذي ارتفعت منه التحصينات من السهل، وبينما هو متلهف لسد المصرف بالألواح الخشبية والعيدان الطويلة، قاد بنفسه الحشود –بشغف- نحو الغابة المجاورة، وبيده أمسك بالفأس، وفي غضون ساعات قليلة تم الانتهاء من العمل، وتم جمع كتلٍ ضخمة

من الخشب، والاتجاه بها نحو الخندق، وطوال الليل دوت الأبواق في هذا الجانب وعليه، في حين ظل المحاصرون مستعدين للقتال بسبب الخوف، كان الصقليون قد نفد صبرهم لنهب البلدة التي وعدهم إياها الملك، ولم تلبث الإشارة أن أُعطيت عند بزوغ الفجر فسُوى المصرف بالأرض فى لحظة، وبدأ البحارة -بنشاط كبير- تسلُّق الجدران، ولكن تم القبض عليهم من قِبل أمر طارئ، خاطب الكونت المهدد بهلاك قريب الأميرال الذى اختلط كعادته مع المقاتلين، وعرض الاستسلام بشروط مضحياً بنفسه من أجل دماء القرابة التى تتدفق في عروقهم، وأشار إليه الأميرال سراً حتى لايسمعهما الجنود، ودعا إلى وقف القتال أولاً من خلال صوت البوق ثم بشخصه. فكان يأمر ويهدد وهو يندفع بفرسه جيئةً وذهاباً أسفل الجدران، وبالنسبة للمحاصرين الذين كانوا يرون النصر _بالفعل- في متناول أيديهم لم يمكنهم التخلي عنه.

سارع لوريا بعد ذلك للملك الذى صدَّه في البداية، ولكن الأميرال لم يكن ليصيبه الإحباط، وبإقناعه البارونات الآخرين بالانضمام إليه: أقنع فريدريك فى النهاية، على الرغم من أن سخط الجيش كله من منح الشروط، و ألزم الكونت نفسه بعهد تحرير (كاتانزارو) وجميع المدن التى اعتمدت عليها إذا لم يتلقَ العون من نابولي خلال أربعين يوما، وتسليم الرهائن لتحقيق الشروط المتفق عليها.

شملت الهدنة (تيرا جيوردانا) بأكملها باستثناء (سانسفيرينا) التى حافظت على دفاعها المستميت بسبب رئيس الأساقفة (لوسيقفيرو) بنفسه والذى -وفقا لسبيسيال- خاطر بروحه من أجل جماعته، ولم يمنح السماء رقاقا مقدساً وخمراً صوفياً، بل منحها أجساماً

ودماءاً بشرية، وقد أقام فريدريك مخيماً بسبب الاستدراجات في المنطقة أسفل (كوترون) التي شملها الأميرال فى نفس الشروط مع كاتانزارو، واحتفظ معه باثني عشر

١ نيكولاس سبيسيال، الكتاب الثالث الفصل السادس. تلك الاتفاقات التي أبرمها قادة الحصون - حينما اعتبروا ملوكهم غير قادرين على مساعدتهم - لم تكن نادرة في تلك الحرب.

قادساً، وأرسل الأميرال مع بقية الأسطول، وثلاثمائة جواد إلى سجون (باسيليكاتا) لمساعدة الإمبراطور (روكا) الذى أزعجه الكونت (جون مونتفروت) بشدة.

وهنا نزل لوريا بجرأته المعتادة من على ظهر السفينة واقترب من معسكر العدو. وانضم بعد ذلك لقواته وقوات أخيه (أرنالدو بونسيو) ملك (سانت أوفيميا) السابق والذي كان يحارب فى تلك الأجزاء على جانب صقلية، وبالاتفاق معه زود القلعة بمؤنٍ ذات ليلة من خلال هجوم مفاجئ على المحاصرين بواسطة أكياس من الحبوب تم تثبيتها على مؤخرة الخيول وأكتاف جنود المشاة، وبسبب ذلك التراجع: قام الأميرال بهجوم آخر على (بوليكورو) بالقرب من مدخل (أكرى) حيث استولى على المؤن مضيف (مونتفورت) ومائة من الخيول التي كانت هناك تحت الحراسة، ولكانت عودته ستحمل الكثير من الفرح لو لم يثر ظرفاً عارضً ألهب السخط المكبوت والمتصاعد فى صدره وصدر الملك

١ لقد كان القائد العام لتشارلز الثاني كما أظهرت العديد من الوثائق في الأرشيفات الملكية بنابلس في ١٢٩١-١٢٩٣.

وأثناء الهدنة: قام مواطنو (كوترون) بعد أن تقاتلوا ذات يوم مع الجنود الفرنسيين
فى الموقع العسكرى بإرسال طلب العون من ذلك القسم من المعسكر الصقلى، حيث نصب بحارة الأقدسة الوحشيين خيامهم، وعندما كانوا يستولون -على عجل- على أية أسلحة تقع في متناول أيديهم، هُرعوا إلى المدينة وجددوا الصراع، فتراجع الفرنسيون إلى القلعة والتى كانت ذات قوة كبيرة بحكم موقعها، ودخلوا معهم وظلوا يقتلون وينهبون بلا رحمة، وفي الوقت نفسه: انتشرت الشائعات عبر المعسكر وأيقظت فريدريك من نوم الظهيرة فأمسك بصولجان السلطة، وقفز وهو غير مسلّح
على ظهر جواده واندفع نحو القلعة، فوجد البوابات قد تم انتزاعها عنوة ووجد رجاله يهرعون بغنائمهم، وعندما كان يوبخهم بسخط على نقضهم للعهد: تردد فى عدم قتل أبطأ من يفرون أمامه بيده.

وقد أمر بعد ذلك بإرجاع ما تم نهبه فعوَّض من الصناديق الملكية الحديدية كل ما كان لا يمكن استرداده، وأعطى اثنين من السجناء الفرنسيين مقابل كل واحد من الذين لقوا حتفهم في المعركة، ولكن على الرغم من أنه اعتذر عن خرق الهدنة فإنه لم يستطع استرداد القلعة.

أمر القائد الفرنسى بطرس بالإبحار مع أتباعه وكافة ممتلكاتهم بصحبة رسائل موجَّهة إلى الأميرال لإبلاغه بما حدث، وتكليفه بإرسال (ريجيبال) ومعه أسرى الحرب لملك نابولي، فلا توجد تعويضات أخرى يمكن تقديمها.

ولكن الأميرال عندما علم بما حدث، تعجَّب -بسخط- قائلا

:"إنه أنا... إنه أنا من تسبب فى كل هذا!"، وأسرع إلى المخيم وتعارض مع فريدريك بعبارات متعجرفة متذكّرا أفعاله وإيمانه الخالص حتى فى الحروب ضد البرابرة والملحدين، ويشبه فعلته هذه بأنها ستكون وصمة عارٍ في شرفه لا يمكن محوها، وختم قائلا: "لن أكون ثانية... لن أكون ثانية لعبة لهؤلاء الذين يهمسون بالمشورة الغادرة والخائنة فى أذن الملك، ومن قلعة (كاستيجليون) سوف أنظر إلى الأيدى المقبوضة، وإلى حالة الحرب، وسيأتي الوقت الذى يرتعش فيه هؤلاء الأوغاد - الذين يشوهون سمعتي في البلاط الملكي - عند قدوم الخطر".

أجاب فريدريك- الذي كان يكبح جماح سخطه بصعوبة بابتسامة ازدراء- قائلا: "لأنه لم يكن يحتاج إلى تلخيص الخدمات المعروفة بالفعل، والتي دُفع من أجلها أكثر مما تستحق، لأن شروط استسلام (كوترون) تم تحديدها باسم الملك، وبالتالي يخصه التعويض عن نقض العهد وهو ما بذل كل ما فى وسعه لتحقيقه، ولكن تلك العجرفة لن يطيقها، ربما يترك الأميرال الجيش باختياره" واعتلى ظهر جواده وتركه.

توسّط (كونراد لانسيا) صديق فريدريك الموثوق به وصهر الأميرال: لتسوية الخلاف، وقد نجح على الأقل فى الحفاظ على المظاهر الخارجية، وفي تلك المرة أرضى كل من الملك ولوريا نفسيهما من خلال صب استيائهما البالغ على العدو والذي اعتمل في صدرهما.١

كان تطور أسلحتنا فى البر الرئيسى سريعا وناجحاً، فعند استلام رسالة كونت كاتانزارو قرر الملك تشارلز -الذي كانت خزانته مستنزفة- بعد تشاور طويل إرسال إمدادات إلى مدن (أبوليا) البحرية بدون الصراع لتحمّل نفقات

معونات عديمة الجدوى إلى سكان (كالابريا) بحيث أنه بعد مرور الأربعين يوماً المنصوص عليها:

١ نيكولاس سبيسيال، الكتاب الثالث، الفصلين الثامن والتاسع.

سقطت مقاطعة كاتانزارو و تيرا جيوردانا في أيدي فريدريك، وفي هذه الأثناء أجبر الملك والجيش ولوريا: الأسطول- بعد الالتقاء فى وقت واحد مصادفة بكونت مونتفورت- على رفع الحصار عن الإمبراطور روكا، وبعدها قام الملك بمواصلة تقدمه المظَّفر من خلال شعب كالابريا، وقد أُجبر رئيس أساقفة (سانسيفيرينا) الشرس على الوصول إلى تفاهم، واحتل مدينة (روسانو) المُقصاةُ بقوة وملحقاتها المعتمدة عليها، وذلك عقب إضاعة البلدة المحيطة بأكملها، وشجَّعه النجاح الذى هدد المقاطعات العليا.

هاجم الأميرال لدى عبوره خليج (تارانتو) تيرا أوترانتو، وبالتقدم نحو الداخل قدر المستطاع نحو (ليس) فاجأها بهجوم ليلي واستولى عليها، ثم عاد لسفنه وقدَّم نفسه أمام أوترانتو التى استولى عليها دون صعوبة، ولم يحاول المواطنون المترددون الدفاع عن أنفسهم كما لم يسووا الخلاف، وباعتبار الميناء فسيحاً: فقد دعَّمه بالجدران والأبراج، وترك هناك ثلاثة أقدسة وموقعاً عسكرياً مكوّناً من الرجال المنتقين بعناية، ١ وبعد ذلك: حاول القيام بهجوم خاطف على بريندیزي.

وعلى الرغم من كونه متحسباً هناك لوجود ستمائة جواد فرنسي أنزل لوريا رجاله من على ظهور الخيل، وحصَّن نفسه في (لاروسيا) خلف الأوتاد والحبال كعادته وبدأ الإدخار لحين الحاجة، وذات يوم قاد بنفسه مجموعة من

الخيول قدر المستطاع إلى جسر (بريندیزی) وعبر جنود المشاة الذين يتبعوه النهرَ بحثاً عن الظل والمياه الصافية في بقعة أدرك الأميرال بسرعة أنها مواتية كمكمن، وعندئذ هُرع خلفهم على متن (بلفرى) وناداهم للعودة، وعلى نحو مفاجئ: اتجه سربٌ من الخيول الفرنسية من مكمنٍ بأقصى سرعة نحو الجسر، فأدار (روجر) بلفريه ووصل إلى الجسر بصعوبة ونادى جواده، وبسرعة لاهثة أعطى الأوامر لجنوده بالصعود حيث أن الدفاع عن الجسر يعتمد على سلامة رجاله، فقورنت جماعة صغيرة ومبعثرة بمصفوفة قوية من العدو، وبالفعل تقدّم القائد جودفري جوينفيل يرافقه محارب آخر نبيل في مهمته بلا تردد لما وراء القوس المركزى، وكان الجميع سيضيعون لو لم يقف (بيريجرين) من باتي ووليام بالوتا- وهما فارسان صقليان- وحدهما وبدون مساعدة من أحد على الجسر، وقد احتفظا بموقعيهما في مواجهة القائدين الفرنسيين ثم في مواجهة السرب الكامل الذى جاء متقدماً للأمام عبر الممر الضيق، وبينما تغمرهما الدماء من رأسيهما حتى أقدامهما بالإضافة إلى الجروح فى كل مكان، دافعا عن الجسر حتى جاء الأميرال بقواته وهو يصرخ "لوريا، الطريق إلى النجاة!". أصبح النضال الآن متسما بالتهور. كتب سيبسيال أن الدروع قد ارتعدت أسفل ضربات السيوف والهراوات، وواجه أبطال الأمتين بعضهما البعض وجها لوجه بشجاعة.

صادف أن الأميرال وجوينفيل إلتقيا في المعركة، ورفع هذا الأخير هراوته كي يضرب بها، ولكن أثناء قيامه بذلك، وجَّه روجر له ضربة بمقدمة سيفه بين درعه وخوذته، وبينما يتلهف الفارس الفرنسي للانتقام غرس مهمازه في جانب جواده أسفل بطنه، ولكنه اندفع إلى أحضان الموت، فوحش الأسطول وثب إلى الأمام

وسقط هو وجواده من فوق الجسر، وعلى الرغم من ذلك فلم ينتهى ذلك الصراع الذى طالت مدته بشراسة وبعناد حتى أتى رجال القوس والنشّاب الصقليين مطلقين سهامهم على جموع العدو الغفيرة المحشودة على الجسر، فأضعفوهم وأخلّوا بنظامهم وأجبروهم على الفرار، قُتل الكثير منهم بعدما غرقوا فى طين النهر أو أُسروا، ولكن لم يقم لوريا بمتابعة الهاربين، فقواته عانت من الفقد والإرهاق بمقدار أقل قليلا من العدو وذلك بسبب عدم تساوى القوات، ولم تكن هناك أية ميزة أخرى أُحرزت من هذا النصر.١ ولكن بسالة بيريجرين من باتي ووليام بالوتا والتي تنبعث من تشابه الظروف والإنجازات الأخرى المجيدة في التاريخ القديم والحديث على حد سواء تستحق التذكّر. لقد أعطاها سبيسيال مكانا في تاريخ صقلية، ولكن منذ ذلك الحين تم نسيانها من قِبل معظم المؤرخين، وبالتالى: يصح أن كل شيء في هذا العالم حتى المجد نفسه، يعتمد على أهواء القدر، ومع ذلك لازال ذلك يبدو لىَ إهمالا أكثر خطورة، فأثناء تسجيل هذه الأحداث، لفت عدد قليل من الكتّاب -بالإضافة إلى هؤلاء الغامضين- الانتباه إلى حقيقة سياسية هامة وهى أنه عندما قامت الحرب بين مملكتى صقلية ونابولي: كانت الأولى هي المنتصرة بشكل عام رغم أنها ذات مساحة أصغر بكثير.

١(نيكولاس سبيسيال، الكتاب الثالث، الفصلين الخامس والسادس عشر.)

وفي صيف(١٢٩٦) لم تدافع فقط عن حدودها بنجاح ولكن غزت بلد العدو بأكملها من ناحية ريجيو حتى كاب روسيتو، ١، وأغارت على تيرا أوترانتو، وكان

يمكن أن تحمل أسلحتها وتتقدّم أكثر نحو الداخل لو لم تتدخل مصالح قوى أوروبية أخرى.

عندما رأى البابا بونيفاس أن فريدريك لا يقبل آراءه: اتحد بشكل وثيق مع جيمس من أجل الاستفادة منه ضد شقيقه، وفي الحادي والعشرين من يناير لعام(١٢٩٦)، وأصبح ملك أراجون الذي أُعطي لقب (غونفالونييري الرنان) بالإضافة إلى الأميرال والقائد العام للكنيسة في خدمته من أجل النضال في الأرض المقدسة – وهو ما كان ظاهريا فقط، أو أي مكان آخر – وهو الهدف الحقيقي ضد جميع أعداء الكنيسة أو المتمردين عليها، وذلك من خلال ستين قادسا قام هو بتسليحهم وتحمَّل البابا نفقاتهم. حصد جيمس نصف الغنائم وتم تنصيبه على كورسيكا وسيردينيا، أمّا بقية الفتوحات فعادت للكنيسة، أو

الحوليات الكُنسية الصقلية الفصل الخامس والخمسين

لملوكهم المسيحيين السابقين.١ ، وبعد فترة وجيزة ألحَّ بونيفاس عليه كي يأتي إلى روما كما وعده.٢، وبما أنه مُحفّزا من قِبل فريدريك الذي كان في ذلك الوقت يستميل قاطني باليرمو بالتآمر مع منافي توسكان ولومبارد وحتى البيت الروماني في كولونا الذي كان مستعدا بالفعل للمساعدة في التمرد ضد البابا، واصل -في احتفالات صعود المسيح- توجيه ضرباته الروحية، ولكن بدرجة أشد، فألغى تتويج ملك صقلية وعزله هو ورعاياه وحلفاءهم، وحدد -على سبيل التوبة- يوم القديس بطرس كيوم جدد فيه لعناته.٣، وفي الوقت نفسه أمطر بصكوك غفرانه على كافة من حملوا السلاح ضد صقلية، وساعد تشارلز في الأعشار الكنسية في مملكة نابولي و بروفانس.٤، فرغب ذلك الأخير -على الرغم من تغييراته

الأخيرة- في تجربة الحرب مرة أخرى أو استخدامها كذريعة لابتزاز المال

١- رينالد، الحوليات الكنسية، ١٢٩٧، § § ١٩-٢٤، يقتبس تلك النشرة البابوية الخاصة بالعام السابق. جيو فيلاني، الكتاب الثامن، الفصل ١٨.
٢- رينالد، ١٢٩٦، § ١١، ملخص الخامس من فبراير.
٣- النشرة البابوية في لونيج، الوثيقة الإيطالية. نابولي وصقلية، رقم ٦٥.
رينالد، ١٢٩٦، § § ١٣-١٥. ممارسات فريدريك مع عائلة كولونا الملكية تم تسجيلها بشكل موبخ من قِبل بونيفاس في بيانه ضد تلك العائلة. رينالد، ١٢٩٧، § § ٢٧، ٢٨.

٤- رينالد، ١٢٩٦، § § ١٣,١٥.

من رعاياه، فاستدعى برلماناً عاماً للاجتماع به في فوجيا في العشرين من سبتمبر، معلناً حملة جديدة ضد صقلية، وأمر الإقطاعيين إمّا بأن يحملوا الأسلحة وإمّا أن يزودوه بمبلغ معادل من المال، وبالمثل: استعد جيمس للحرب، ولكن حجَّمه الاعتبار للمظاهر والاضطرابات التي حدثت في بلده بسبب حروب مورسيا وقشتالة،١ فقام بأول محاولة لنصح فريدريك من جديد.

وقبيل انتهاء الصيف وأثناء قيام فريدريك بمواصلة الحرب في كالابريا، وصل رسول من ملك أراجون بطرس كوربيليس من الرهبان الواعظين إلى معسكره، وباستخدام كلمات مصالحة داعية للسلام، وبالاختتام بخطر عدم تردد جيمس باعتباره الآن القائد العام للسُدة الرسولية، بين مطالباته ومطالبات من هم من نفس سلالته، ولكن بأمر من البابا سيطعن بسيفه حتى صدر

أمه وأحشاء أبنائه، وبالتالى: نبّه فريدريك إلى ضرورة تأمُّل وضعه الحقيقي، وطالب لهذا الغرض بإجراء مقابلة معه في إيشيا، ولكن فريدريك لم يتزعزع عن موقفه، وأعلن الرسالة أمام باروناته، وعندما رآهم

١ زوريتا، حوليات الكتاب الأراجوني، الكتاب الخامس، الفصلين العشرون والحادي والعشرون.

تعتريهم الحيرة، شجّعهم بنفسه بكلمات النبل والشجاعة.

أُحيل الأمر إلى البرلمان العام وفقاً لشروط الدستور الجديد، وأيضا لأنه كان يأمل في العثور هناك على مزيد من الشخصيات الشجاعة، وعليه: ترك بلاسكو ألاجونا ليقوم مقامه في كالابريا مع قوة كافية، وعاد على عجل إلى ميسينا، وحدد مكان ويوم اجتماع البرلمان، ودعا لوريا والأسطول.١ وهذا الأخير، إمّا بسبب أنه سخط على الأسباب التي ذكرناها كانت لاتزال توغل صدره، وإمّا بسبب اعتباره أن حظ فريدريك بائسا، كان قد استمع إلى إغراءات العدو في تيرا أوترانتو.

بارثولوميو ماشوزيز من فالنسيا، والذي بعثه جيمس إليه في أغسطس بذريعة طلب استسلام إقطاعية جيراس في كالابريا منه، ربما يكون قد توصل إلى اتفاق قد غادرا معه.

لقد كان هناك شك في أن البذور الأولى لخيانته قد زرعت وقت ارتقاء فريدريك العرش عندما غادر بارونات أراجون - الذين ظلوا مخلصين لجيمس - جزيرة صقلية. وفي هذه الأثناء أرسل ملك أراجون

١ نيكولاس سبيسيال، الكتاب الثالث، الفصلين الثاني والرابع عشر.

رسلاً آخرين إلى والدته، وإلى فريدريك نفسه، وإلى باليرمو وميسينا والمدن الرئيسية الأخرى في الجزيرة، ١ بحيث أن الأميرال الذى كان قد عاد على الفور إلى ميسينا

وتباحث مع الراهب الإسباني الذي كان ينتظر نتائج المداولات: كان يأمل في إقناع البرلمان الذي ستنعقد جلسته عما قريب بالاستماع إلى مقترحات التفاوض، واجتمع البارونات وكبار الموظفين في المدينة في منتصف شهر أكتوبر في ميدان بيازا العام، وبذل جهدا صريحا لكسبهم والحصول على أنصار عن طريق الاستخدام المسرف للوعود والتهديدات، ولكن فينسيجويرا باليزي وماثيو دي تيرميني اجتهدا بحماسة على الصعيد الآخر، فأمضيا الليلة التي سبقت اللقاء في التعجيل هنا وهناك، مناشدين الجميع تجنب معاناة رحيل فريدريك، وبالتالي كانت المنافسة شديدة في البرلمان.

أُعلن هدف تلك الهيئة، وتمتع الجميع بالحرية في التصويت على ما يبدو لهم أنه الأفضل، وقد مالت الأغلبية إلى رفض الاقتراح بسبب حبهم لفريدريك،

١ نيكولاس سبيسيال، الكتاب الثالث، الفصل السابع عشر. زوريتا، حوليات أراجون، الكتاب الخامس. الفصلين الحادي والثامن عشرين.

أو لمصالحهم الخاصة، خوفا من تأثير جيمس عليه، وعندما نهض لوريا لمخاطبتهم والدموع في عينيه كما لو كان يرثي صقلية: نبههم بألا يخدعون أنفسهم، فقوات جيمس وتشارلز المتحدة لن يقووا على مقاومتها، وسيستردون كالابريا في لمح

البصر، وسيحملون المجاعة إلى صقلية، بالسيف، وبالنار، وسيتسببون في أن تدفع الجزيرة ثمن عنادها الأعمى بتيارات جارفة من الدماء، وأضاف قائلا "من ناحية أخرى:" ما الضرر الذي يمكن أن ينجم عن رحلة فريدريك؟ ربما تدفعه مودة ملك أراجون للميل نحو قضيتنا، وإذا كان ينبغي له أن يكون عدواً لنا، فكّروا كم من قاطني كاتالونيا وأراجون سيتم القضاء عليهم، ربما يحملون السلاح في الواقع من أجل من يشاؤون، ولكنهم سيكونون خونة إذا حاربوا ضد راية أراجون".

وقد نشأ قدر كبير من الالتباس نتيجة هذا الخطاب، حتى أنصار لوريا خجلوا من التزامهم بالكلمات، على الرغم من أنهم خفضوا رؤوسهم بإجماع، أمّا البقية فقد عارضته بصوت عالٍ، لذا: بعد منافسة طويلة لم يقرر شيء.

ولكن في اليوم التالي مُحيَ كل شك من قِبل الملك الذى نهض بنفسه لمخاطبة الجميع، فقال:" لن أكرر، فالكلمات قد قيلت بالفعل، والتي لم تكن سوى أنها كثيرة للغاية، ففى رأيي هو أن أية محاولة للتفاوض سوف تؤدى - فقط- إلى زيادة العداء بين جيمس وقائد أعدائك وبيني، أنا من وهبت نفسي قلبا وقالبا إلى صقلية.

بين صقلية وخصومها لا يمكن التوصّل إلى تسوية، فإمّا أن تكون حرة كما هي اليوم، أو أن تسحقها العبودية بشكل أكثر قسوة من الذي عرفته من قبل.

هذا هو السؤال الذي عليكم تداوله، وليست رحلة ملككم إلى إيشيا، أمّا بالنسبة لك يا روجر- الذي يتحدث ببنود غامضة من قوانين وأعراف أراجون- تذكّر أننى أيضا ملك في صقلية حيث جيمس فى أى مكان آخر، وأنه إذا

شن حرباً ظالمة ضدى، فالخونة سيكونون فقط من يخونون قضيتي، أمّا بالنسبة للمخاطر التي وصفتها بأنها رهيبة جداً، ودع بسالتك القديمة بأن تزدهر من جديد في قلبك، وتذكّر أن الله يقف بنفسه ضد الظالمين والمختالين" هذا الخطاب البطولي تُوِّج بقرار من البرلمان بحظر الاتحاد مع جيمس، وقد أعلنها فريدريك لرئيس الهيئة وطرده١ ، وبدأ بعنف الإعداد للدفاع عن صقلية.

يجب ألا نغفل الإشارة إلى القرارات الأخرى لذلك البرلمان الذى عُقد في ميدان بيازا العام، والذى لم ينزعج كثيرا من مسألة بالغة الأهمية السياسية كهذه، ولكن حقيقة إمكانه تداول تشريعات كثيرة، كما لو كان هناك سلام جذرى، أهملت وسط القوانين الرئيسية لبرلمان باليرمو واقتراحها من خلال التجربة الأخيرة أو من قِبل التطور الحديث للقوة المدنية، وكان العنصر المحلي- في الواقع- مُفضلا جدا من جانب الأرستقراطيين فيما يتعلق بمنح دليل واضح لأكثرية الحزب الشعبي، ونية فريدريك لتأسيس سلطته عليه بدلا من البارونات المتمردين والحزبيين، بالإضافة إلى إعطاء سبب للاعتقاد بأن العديد من النبلاء انتسبوا إلى الحزب الشعبي كما هي العادة في كثير من الأحيان، وهو ما حقق انتصارا في ذلك البرلمان لصالح الحرب، وأيَّد علّة فريدريك والثورة.

أعطت تلك القوانين بدون شك دليلا على الحضارة العظيمة لذلك العصر.

صدر مرسوم بأن آمرى القلعة لا ينبغي لهم التدخل في شؤون المقاطعات المجاورة
(١ نيكولاس سبيسيال، الكتاب الثالث، الفصلين السابع والثامن عشر.)

ولا أن يتدخل النبلاء في انتخاب قضاة وحدات التقسيم الإدارى، وأنه لا ينبغي للإقطاعيين ادعاء حقهم في أى ضريبة على مرور الماشية ذات القرون، أوأن يفرضوا رسوماً كما يحلو لهم بالنسبة للمؤن، كما لا ينبغي نتيجة كونهم إقطاعيين أن يحتالوا على مدى المزارع الخاضعة لقانون إيجار الأراضى، ولا على الإيجارات الجديدة الصارمة المفروضة على الإقطاعيات التي مُنحت مؤخرا من النطاق الملكي، فنقل ملكية الإقطاعيات خارج حدود القانون الذي سُنَّ مؤخراً كان محظوراً، وألزم البارونات بالإقامة في صقلية، أو العودة إلى هناك بعد فترة قصيرة من الغياب، وصدر مرسوم يقضي بأن الملك وحده هو فقط من يمكنه إعطاء التصريح بزواج بناته من أبناء أعداء الدولة،١ وكان هناك تشريعات أخرى لحماية الضعيف ضد القوى، سعت لوضع حدود جديدة للانتهاكات عميقة الجذور التى يمارسها المسؤولون ضد ممتلكات الأفراد الخاصة،٢ ف كل وحدة من وحدات التقسيم الإداري تم إنشاء محكمة مؤلفة من ثلاثة مواطنين، ملتزمين بقسم يندد بكل فعل غاشم من قِبل المنصفين أو غيرهم من المسؤولين، وكذلك كل من :

١ استسلام ملك صقلية - تشريعات برلمان ميدان بيازا، الفصول. ٣٧، ٤٠، ٤٢-٤٤، ٤٩، ٥٠ ـ ٥٢، ٥٤، ٥٧.

٢ المرجع نفسه، الفصول. ٣٦، ٣٨، ٣٩، ٤٦-٤٨، ٥٨.

انتهاك الأمن الشخصي، وكانت تلك من خلال القسم الذى التزموا به وسُمىَ بالعهد.١

أُعلن استيراد وتصدير النبيذ، والمؤن الأخرى حرا، وكان القبض على الأشخاص والاستيلاء على الأسّرة وتدمير المنازل بسبب التهرب من دفع الضرائب التي تم

الإعفاء منها.٢ كما جدد حظر استخدام الألقاب الجديرة بالازدراء الخاصة بالغويلفيين والفيراريين، وبالنسبة لهؤلاء غير المتعلمين بأي إثم، ولكن يشتبه فقط في اعتناق مثل هذه الآراء السياسية، تم إعلان مقدرتهم على تولي مناصب.٢ ولا يجدر بنا أن نهمل ملاحظة المشاعر المعتدلة والليبرالية التي تكشف عنها العديد من اللوائح المتعلقة بالعبيد الشرقيين واليونانيين والذين وجدتهم الحملات المقرصنة في أواخر الحرب عديدين في صقلية: الأنظمة تميل إلى تحويل الأوائل إلى الدين المسيحي، والآخرين إلى المذاهب الأرثوذكسية، وإلى صيانة الآداب العامة، ولكن كان يحظر على المسيحيين أن يكون لهم أية علاقة باليهود، ومُنع هؤلاء الآخرون من تولي المناصب أو ممار

١ استسلام ملك صقلية - تشريعات برلمان ميدان بيازا، الفصل الخامس والأربعين.
٢ المرجع نفسه، الفصول ٤١، ٥٥، ٥٦

٣ المرجع نفسه الفصل ٥٣ المجلد الثالث

مهنة الطب.١ ، كانت عقوبة الإعدام يعاقب بها المفسدين والمشعوذين والعرافين والسحرة، الذين- من حيث لغة التشريع- ينشرون أخطاءاً مدنسة ويخدعون الناس بمغالطات ملحدة٢، وهكذا: لم يلجأ مُشرعينا القدامى إلى الممارسة الشائعة والبشعة من خلال الحرق على المحك، ولم يظهروا أى معتقد في استحضار الأرواح، ولكن سعوا فقط لمعاقبة الغش والاضطرابات المدنية، ولنفس السبب حُرّمت ألعاب الحظ، ويجب التمييز بعناية بين هذه الألعاب وألعاب المهارة، في حين أن الرياضة الحربية والممارسات العسكرية كانت محمودة للغاية، وبالنسبة إلى الحماس الدينى والأخلاقى الذى أبدته تلك المراسيم،

أضيف تشريع موجّه بصفة خاصة ضد اغتصاب الممتلكات الكُنسية، وآخر يحظر توريد الأسلحة والحديد والأعمال الخشبية إلى البلدان الكافرة، ولكن يتم دفع ضريبة وفقاً للأوقات وذلك من خلال ترك محكمة روما قوة إدخال الإصلاحات، وليست فقط تلك هي القوانين التي يمكن أن يُرى فيها تذبذب الحد الفاصل بين قوة الملك وقوة

١ استسلام ملك صقلية - تشريعات برلمان ميدان بيازا، الفصول ٥٩-٧٥.

٢ المرجع نفسه، الفصل ٧٦

٣ المرجع نفسه الفصول ٧٧-٨٤.

البابا.١

يجوز لنا هنا التنويه باهتمام إلى تشريعات برلمان (بيازا) والتي تحتوى على عدد أكبر من اللوائح الجزائية مقارنة بأيٍ من سابقاتها الخاصة بفريدريك أو جيمس باستثناء أن آلام الإعدام الصادرة ضد المفسدين والمشعوذين في معظمها مالية أو محرمة، أمّا تلك العقوبات الخاصة بالسجن المؤقت فهي نادرة، وبالنسبة لممارسة الألعاب المحظورة في مكان واحد أضيف الجَلْد، واحتفظ الملك لنفسه بحق المعاقبة لبعض الانتهاكات الرسمية بناءاً على تقديره الخاص، وتنظيم طبيعة السجن المذكورة أعلاه وفقاً للظروف الفردية. ٢ ، لذلك يتسنى لنا أن نعلن بأمان أن نظام الحكومة الجزائي كان متساهلا وربما يكون نزيها.

بما أن إيشيا كانت لا تزال في قبضة الصقليين، فكانت تلك الفترة مسرحا لصراع باسل بين بطرس سالفاكوزكيا

وخمسة أقدسة وتسعة سفن ضخمة مليئة بالرجال المسلحين، والتي تم إرسالها لإعادة غزو الجزيرة الصغيرة من قِبل شعب نابولي الذى كان يخجل من الضريبة التي كانت تُفرض هناك على الخمور التي يتم نقلها داخل وخارج

١ استسلام ملك صقلية - تشريعات برلمان ميدان بيازا، الفصول ٨٢، ٨٣، ٨٥

٢ المرجع نفسه، الفصل

الخليج، وباستهتارهم بعدم المساواة في العدد بدأ الصقليون الهجوم وانتصروا، استطاع كل قادس الاستيلاء على سفينة بينما هربت الأربعة سفن المتبقية، ونتيجة كذب تشارلز في هذه الأثناء، أدت طبيعته الدمثة المعتادة إلى موت قائدهم١ ، وأسرع إلى روما كما لو كان يائساً من نصيب الحرب كى يكرر توسلاته لبونيفاس، فحثَّ هذا الأخير مرة أخرى على مجيء ملك أراجون، ومنحه الأعشار الكنسية لأراجون من أجل التسلّح.٢ وبينما يجهّز جيمس استعداداته في فبراير(١٢٩٧) باعتبارها المشاركة الأخيرة التي أرسلت إليه من قِبل أسقف فالنسيا وويليام من نامونتاجودا لأخيه - مرة أخرى- من أجل الالحاح على عقد مؤتمر في إيشيا، ولكن الأخير عندما قال أنه سيحيل الأمر إلى البرلمان: أجابوا بحجة معاكسة أنه، في تلك الحالة سيطيع جيمس وفريقه والبابا.

رد فريدريك بأنه لا ينبغي عليه -على هذا الاساس- أن يُلقى بالاً لشقيقه، وألا يعتبر شعبي كاتالانيا وأراجون أعداءً، وأنه يجب عليه أن يمتثل

١ نيكولاس سبيسيال، الكتاب الثالث، الفصل ١٨. يجب أن تكون هذه المعركة في إيشيا قد وقعت بين ١٥ سبتمبر و٢٠ أكتوبر ١٢٩٦، فلدينا وثيقتين لتشارلز الثاني بهذا التاريخ؛ إحداهما من بريندیزي والأخرى من روما. ويؤكد سبيسيال أن الملك كان في نابولي عندما عادت الأربعة سفن.
٢ رينالد، الحوليات الكنسية، ١٢٩٧، موجز الثلاثين من سبتمبر ١٢٩٦.

للبلاط، وفي هذا الشأن غادر السفراء الإسبانيين في استياء، وأرسل فريدريك آخرين إلى إسبانيا، ولكن لم يتم الوصول إلى نتيجة أفضل، فالشعب وكذلك الملك فضّلوا السلام مع فرنسا، وربما أيضا فضّلوا مساندة البابا.١

مر فصل الشتاء وسط تلك المفاوضات غير المثمرة، وفي نهاية مارس(١٢٩٧)وُجد جيمس في إيطاليا ولكن من دون أسطول، فقد كان يأمل في تأمين قيمة أكبر وأكثر رسوخا لإعلان الحرب على أخيه، وحصل على ذلك من البابا بونيفاس الذي منحه على الفور نشرة باباوية باعتلاء عرش كورسيكا وساردينيا ١ ، واحتفظ لنفسه فقط بحق التراجع عن ذلك في غضون اثني عشر شهراً إذا تبين أن ذلك ضرورى لتسهيل

المفاوضات الصقلية٣ التي تفترض بوضوح فكرة التبادل مع فريدريك، وعلى الرغم من ذلك: اعتلى جيمس عرش الجزيرتين على حد سواء، وأقسم بالولاء إلى الكنيسة ١ (زوريتا، حوليات أراجون، الكتاب الخامس، الفصل الخامس والعشرون.)
٢(زوريتا، المرجع نفسه، الفصل الثامن والعشرون. رينالد، الحوليات الكُنسية، ١٢٩٧، ص ٢-١٦، حيث أن النشرة البابوية مؤرخة في ٤ أبريل ١٢٩٧. انظر أيضا جيوفاني فيلاني، الكتاب الثامن، الفصل الثامن عشر. نيكولاس سبيسيال، الكتاب الثالث، الفصل الثاني عشر.)
٣(رينالد، المرجع نفسه. § ١٧.)
٤ (وثيقة الثامن من يونيو ١٢٩٧، نشرها تيستا، فيتا دي فريدريك، الوثيقة السابعة.)

وحصل على وعد من البابا أنه خلال غيابه عن إسبانيا، تكون مملكته تحت حماية الكرسي الرسولي (الفاتيكان) وأن أساقفة إليريدا وسرقسطة كممثلين للبابا ينبغي أن يوكّل إليهما إدارتها، وينبغي عليهما حثُّ الناس على المشاركة في الحرب ضد صقلية. وسرعان ما حصل على مَدّ لفترة استرداد مايوركا لعمه جيمس٢، وخطب شقيقته يولاندا لروبرت، الوريث المفترض لعرش نابولي، وتحالف بشكل وثيق مع تشارلز الثاني للحد من نفوذ صقلية، ولكنه حتى لم يُعد قواته، في حين أنه تآمر بشكل فعّال مع لوريا من خلال الرسل.

أمّا هذا الأخير: فقد عزم على الانفصال عن فريدريك لأنه لا يمكنه أن يسيطر عليه وتصرّف بشكر أكثر وأكثر صراحة وجرأة، وذات يوم حينما كان الملك يمتطي جواده مع كونراد لانسيا على طول الشاطئ بين موصلى وميسينا، دخل بجواده بينهما وأراهما رسائل من جيمس

تدعوه لاجتماع، ووعد بأن يبذل أقصى ما في وسعه لصالح
فريدريك ثم يعود -وبتشجيع من كونراد- إمّا باحتقار وإمّا

١ (رينالد، الحوليات الكُنسية ١٢٩٧، § ١٨.) ٢ (المرجع نفسه. § ٢٥.)

وعيا منه بالخطر، ثم أعطاه الإذن بالمغادرة، وعلاوة على ذلك: منحه، قادسين حتى يتقدم بهما إلى كالابريا لتقديم الإمدادات للمعاقل التابعة له والمهددة الآن من جديد بسبب مخاطر الحرب، ولكن عندما عاد الأميرال إلى ميسينا عازما على بدء رحلته إلى روما، بدأ الملك الشاب - بإيعاز من أحد حاشيته- بالنظر بعين الاستياء إلى تعاملات لوريا مع العدو، وكذلك إلى القوات والأسلحة والمؤن التي جمعها في حصونه، وعندما أصبح مشكوكاً فيه بسبب هذه التأملات، قام فريدريك - بروح متغطرسة و وقليل من التقدير- بتبني أسوأ سلوك ممكن، فلم يتصالح ولم يقمع تابعه القوى، ولكن استفزه وتمسك بالذريعة التى رغب الأميرال - بفارغ الصبر- أن يحرر نفسه منها وهي كراهية الخيانة، ونجح بشكل جيد فى نظر معاصريه لدرجة أن بعض المؤرخين تناقلوا شخصيته بشكل لا تشوبه شائبة للأجيال القادمة، وفي وسط بلاطه، عندما تقدَّم الأميرال وفقاً للعرف :لتقبيل يد الملك، سحبها فريدريك بسخط، وعندما اعتدل لوريا للاستفسار عن دافع مثل تلك الإهانة، خاطبه بخشونة سائلاً إياه "لما تتآمر مع أعدائي؟" وأصبح أكثر انفعالا كلّما مضى في حديثه، وانتهى بأن أمره بعدم مغادرة القاعة، وتلا ذلك صمتٌ مشؤوم، ولم تُرفع يد قبالة الأميرال الذي لم يجرؤ على المغادرة بعد أن أُخِذ على حين غرة بغضب الملك، ولكن وقف بمعزل ينتفض

بسخط. وعلى الرغم من ذلك تقدّم (فينسيجيورا باليزي ومانفريد شيارامونت) اللذان يكرهان روجر بلا شك ولكن من ناحية أخرى لا يقبلون الحادثة السابقة لنبيل ذى نفوذ، والتي سحقت دون تدخل من القانون، إلى الأمام ليشفعا له بلطف، وأثبتا فيما بعد أنهما الأكثر ضررا لبلدهما، وبعد أن خففت إقناعاتهما من انفعال الملك قَبِل أن يقبلهما ككفلاء للأميرال، وانتهت الليلة بالفعل عندما كان هذا الأخير يقاسي للخروج من القصر حرا بدون جروح.

سارع -بفرح- إلى منزله ودعا العديد من الأصدقاء الذين اجتمعوا لتهنئته بعودته من كالابريا، واحتسوا الخمر معه، وبينما كان يتم تقديم العشاء، سارع بالأسفل إلى درج سري واعتلى ظهر حصانه مع ثلاثة من أكثر أتباعه إخلاصا وانطلق بأقصى سرعة نحو (كاستيجليون) ووصل إلى هناك في الثالثة صباحا، وكان ذلك فعلا حسنا منه، ففريدريك كان قد أثير غضبه من جديد بالفعل من قِبل أعداء الأميرال وأرسل يستدعيه.

هذا التأرجح المتهور أزعج صقلية بأكملها، فذهب العديد من أنصار لوريا بالأسلحة من أجل الانضمام إليه عازمين على مقاسمته نصيبه في حين قام باستخدام أقوى رسالة لتحصين معاقل نوفارا، تريبي، فيكارا، كاستيجليوني، آسي، فرانكافيلا، وغيرها من الأماكن التي يمتلك فيها إقطاعيات، وحافظ على سلوك باعث على الفخر والتهديد، وعندما ذهب إلي كافلاه لإغوائه للعودة إلى ولائه وإعطائه الأمان باسم الملك، وإمّا بسبب شعوره أنه واقع في الخطأ، وإمّا بسبب شعوره البالغ بالعجرفة

:رفض بالعديد من الحجج الجديرة ظاهريا بالتصديق،

وفي آخر المطاف: دفع من ماله الخاص مبلغا هائلا من الكفالة، وهو ما اعتقد أنه يعفيه من ما يربطه بالشرف،

وعلى الرغم من ذلك لم يعلن الحرب ضد الملك، ولم يلتمس السلام، وبعد هذا التصرّف المتهوّر الأول لم يجرؤ فريدريك على مهاجمته خشية توريط نفسه في حرب أهلية والعدو خلفه، ومع ذلك كان التأجيل بالكاد أقل خطرا.١

خلص من هذه المعضلة بواسطة الملكة (كونستانس) والتي منعت براعتها وتأثيرها من انفصال جون من بروسيدا منذ عامين، فالملكة، التي استُدعيت إلى روما من قِبل
ابنها الأكبر لتوصيل (يولاندا) لعريسها، تغلّبت على ترددها لترك فريدريك على أمل أنها قد تستطيع الوصول إلى مصالحة بين الأعداء، والوصول إلى

١ نيكولاس سبيسيال، الكتاب الثالث، الفصلين ١٨ و ١٩. مما يدعو للأسف أن هذا المؤرخ لا يعطي التاريخ المحدد لرحلة الأميرال. ففي الثاني من إبريل ١٢٩٧، جعله جيمس الأميرال السامي لمدى الحياة، وفي السادس من الشهر نفسه منح البابا بونيفاس إقطاعة للوريا، وبالتالي أعاد "صالح الكرسي الرسولي والوصايا" لقلعة وبلدة آسي، التي تنتمي لسلطان الكنيسة أو أسقف كاتانيا، والذي يحكمها في الوقت الحاضر. (تيستا، فيتا دي فريدريك الثاني، وثيقة ١٠.) ويتضح الآن هو أنه إذا كانت هذه الامتيازات قد منحت قبل هروب روجر، فلم يكن يتردد بين فريدريك والعدو، ولكن يخفي خيانته؛ ويمكننا أن نستنتج أنه إذا كان فريدريك قد أخطأ، فذلك يكمن فقط في اجتنابه. في كلتا الحالتين، فاسم لوريا وكذلك اسم بروسيدا الذي سبقه في دروب الخيانة يجب

أن يُدانا من قبل حكم التاريخ المحايد. فكلاهما تخلى عن فريدريك وصقلية على اعتبار أنهما لا يستطيعان مقاومة القوات المتحدة التابعة لمنتصف أوروبا بنجاح. أمّا لوريا، الذي كان سيتغاضى عن الخطر لو ترك فريدريك نفسه تقاسي من حكم لوريا عليه، ترك نفسه لإغراءات المصالح حينما تُبَط طموحه المفرط.

السلام كي ترضى ضميرها من خلال الدخول -من جديد- في أحضان الكنيسة. وبتواضع مثالي: طلبت الإذن من فريدريك لتبدأ رحلتها، وتحت إدعاء طلب الحراسة وباقتدار لها وللملك، أخذت الأميرال معها والذى كان على وشك إعلان الحرب، وكان جون بروسيدا- على قدم المساواة- إن لم يكن أكثر عرضة إلى الشك، أمّا لوريا: فبعد أن حصل على جواز المرور من فريدريك حتى وقت المغادرة وقبل ترك معاقله، أمر كل أقدسته بالالتزام بإخلاص لولائهم، وحينما يأتي ابن أخيه (جون لوريا) إلى كاستيجليون يجب عليهم طاعته أياً كان مصيرهم، أمّا الملكة والأميرة فبعد أن فارقا فريدريك بحزن كبير ورافقهما مطران فالنسيا والنبيلين الذاهبان إلى المنفى بشكل يعرّض للخطر، أبحرا مع أربعة أقدسة من ميلاتسو وشرعا في اتجاه روما، عندما وصلوا إلى البحر المفتوح، تحدث بعض ممن كانوا على متن الأقدسة معاً، وتصرف بعض منهم على طبيعته وكل منهم يأمل الخير بشكل أو بآخر في الأحداث القادمة. يقول سبيسيال أن كونستانس وحدها كانت لا تتحرك على مؤخرة السفينة وتحدق بعيون دامعة في جبال صقلية التي

تتلاشى بسرعة عن أنظارها، وفكرت في جيمس وفريدريك والكوارث التي كانت وشيكة، وتم الاحتفال بالزواج في روما على الرغم من صلوات كونستانس بشأن الحرب قد حسمت أخيرا، غادر جيمس لكاتالونيا ليعد الأسطو وعاد لوريا، للغرض نفسه بشكل ودي، ولكونه أميرال الملك تشارلز إلى تلك الموانئ في مملكة نابولي التى ظلت ترتعد لمجرد ذكر اسمه لمدة خمسة عشر عاما، ومع ذلك –أولا- جعله جيمس في منصب الأميرال لمدى الحياة في جميع الأراضي الخاضعة للسيادة مع سلطة واسعة وراتب كبير ومجال غير محدود للسلب والنهب، تم الاتفاق على الزواج بين ابنته (بياتريس وجيمس) نجل (اكسرسيا) وهو أمير من السلالة الملكية في أراجون، وقد منحه البابا على سبيل الإقطاعية بلدة وقلعة (آسي) في صقلية، والتي ستؤخذ من أسقف كاتانيا، واستقبله وكذلك جون بروسيدا في أحضان الكنيسة.١ أعيد إلى هذا الأخير أيضا ممتلكاته في مملكة

١ نيكولاس سبيسيال، الكتاب الثالث، الفصول ٢٠-٢٢. الحوليات الكُنسية الصقلية
الفصل ٥٦. زوريتا، حوليات أراجون، الكتاب الخامس، الفصل السادس والعشرين & إلخ. جيوفاني فيلاني، الكتاب الثامن، الفصل ١٨. مونتانير، الفصل ١٨٥.

نابولي وذلك وفقا للاتفاق الأول المبرم بين جيمس وتشارلز.١

وبالتالي : فإن هذين المنتمين إلى نابولي، والتي كانت أسماؤهم مشهورة للغاية أثناء ثورة القائمين بالصلاة المسائية، تركا صقلية معا كأعداء، وربطهما عن كثب

تماثل المصير والطموح، الأولى كانا أولا رفقاء في المنفى، ثم ربطتهما الآمال ودعم السلالة الحاكمة الجديدة في صقلية، وأخيرا الخيانة.

لوريا الذي تربّى وهو طفل في بلاط بطرس أراجون، كان رجلٌ ذو تطلعات بلا حدود وموهبة عسكرية كبيرة، جنرال مشهور وأول أميرال في عصره، ولكنه متحجر القلب ومتعطش للدماء، جشع، متعجرف ونهم إلى السلب، وقد استعاد التفوق البحري لصقلية وعلّم الصقليين فن النصر، وكان ذلك أقوى دعم للدولة الوليدة.

انقلب بمجرد أن أصلح له منافسين في السلطة، سواءا كانوا حاسدين أو محسودين فمن الصعب التحديد، وكان تخليه عن فريدريك عندما بدا مستقبله على حافة الخراب وصمة عار إضافية لشرفه، وقد أخذ معه

obeikandl.com

١ يمكن العثور على وثائق كثيرة في الأرشيفات الملكية لنابولي تتعلق بممتلكات جون بروسيدا واستراجعها من قِبل حكومة أنجيفين بعد تحوله أو خيانته.

سيادة البحار، ولكن ليس كل مجده السابق، لأنه إذا كان قد انتصر في بعض الأحيان على رفاقه السابقين، هُزم فى أحيان أخرى من آخرين، وما كاد السلام في كالتابيلوتا يُنهي المشهد الدموي، والذي قام فيه الآن من ناحية والآن من ناحية أخرى بدور واضح حتى مات من المرض في فالنسيا كما لو أن روحه التدميرية ليس لديها مزيد من العمل لتقوم به، واستقرت عظامه التي كان يوجهها منذ فترة طويلة، في قبر عند سفح قبر الملك بطرس.١

كان جون بروسيدا بكل التقديرات أقل منه، ولكن اسمه في يومنا هذا انتشر على نطاق أوسع بكثير بسبب شهرته المتقلبة، من وزير بارع ونافذ البصيرة لملك أراجون، حوّله التقليد التاريخي الفاسد إلى محرر شعب مضطهد، ووضعه في مستوى بروتوس وتيموليون، وأرجع إليه وحده ما كان في الواقع نتيجة عواطف ومعاناة الأمة الصقلية

١ كوينتانس، سيرة & آخرون المجلد الأول ص.١٧٠ يقول أن هذا القبر لازال يمكن رؤيته في دير القديس كروتش الذي ينتمي إلى ترتيب القديس برنارد في كاتالونيا، وينسخ النقوش البسيطة التي لازالت محفوظة عليه والتي وفقا لها توفي لوريا في ١٧ يناير ١٣٠٥. المرجع نفسه، المجلد الثاني، ص. ١٢٥، نشر التدابير الوصائية للأميرال فيما يتعلق بقبره.

بأكملها، والمزايا التي امتلكها: الحصافة، الجرأة، حضور

البديهة والخبرة في شؤون الدولة، كما أضيفت الفضائل الوطنية التي لم يكن يمتلكها والتي - على العكس- تم انتهاكها، أولا عن طريق التآمر مع العدو، ثم التأمر علناً ضد الثورة الصقلية والتي استعاد فريدريك روحها، وقد توفي بشكل غامض في روما في بداية عام(١٢٩٩) قبل أن يتعافى، كما لو كان ذلك ثمناً لعاره ورأفة العدو به وجميع ممتلكاته السابقة في مملكة نابولي.١

وبين كل ذلك سواء الأمراء أو التابعين الذين- بسبب الطموح وليس الجرائم غير المشرفة- ارتقوا إلى مرتبة التميّز، وفي تلك الفترة في صقلية وقفت الملكة كونستانس شامخة لنقاء شهرتها وجمال شخصها وشخصيتها، وكان مُنعما عليها بأنبل صفات المرأة والأم والإنسانة المسيحية.

١ بوسكيمي في سيرة جيوفاني من بروسيدا، الوثيقة ٨، في نهاية العمل نشر وثيقة تفيد بأن قلعة بروسيدا مُنحت لنجل توماس الثاني، فرانسيس، الكبير، وأهمل تتويجه بالطريقة المعتادة التي تنص على العام واليوم من تاريخ وفاة والده.

ألقت وفاة مانفريد بظلالها على زهرة سنوات عمرها، وعلى الرغم من أنها شهدت بعد ذلك تحرير صقلية ومعاقبة مبيد مجلس شوابيا، كان عليها أن تخشى في كل لحظة على حياة أولئك الأعزاء عليها، أن تبكي على وفاة اثنين من أبنائها، وعلى عداء اثنين آخرين، كما لم يمكنها أن ترى بكثير من الارتياح زواج ابنتها بعضو في مجلس أنجو الممقوت، فقد ولدت وتلقت تعليمها في باليرمو١ ، وعادت إلى صقلية بسبب ظروف ملحوظة

جدا، وتحكمت في ذلك بلطف أثناء غياب بطرس، وأملت عدد قليل من القوانين والتي لم يتم الحفاظ عليها من أجلنا، كانت لطيفة ومحبة لكل رعاياها بما في ذلك (ماكالدا) الذي لا يطاق فقد أثبت خلوها من الطموح من خلال استقالتها من العرش - والتي تمتلك وحدها حق اعتلائه بالوراثة - أولاً لزوجها، وبعد ذلك لأبنائها. ولم ينبثق هذا الاعتدال من موطن ضعف في الشخصية أو الطاقة، ففي أوقات الخطر الوشيكة دافعت باقتدار عن صقلية، وأنقذت فريدريك بحكمة مرتين من العصبة

١ انظر السلطات المزعومة من قِبل آل انفيج، باليرمو نوبيل، الجزء الثالث، ١٢٦٠ – ١٢٦٢.

المعادية لمصالح الأمة، استقر ضميرها بعد أن منحها البابا البركة، وعندما شارفت اضطرابات صقلية على الانتهاء عام(١٣٠٢) أنهت أيامها في برشلونة، حيث شغلت نفسها في شيخوختها بإنشاء الأديرة وغيرها من الأعمال الصالحة التي أملتها عليها تقواها، ولكن ربما خلال مدة حياتها المثالية وغير السعيدة، لم تعان أبدا أكثر من معاناتها خلال الفترة التي توقفت عندها – للحظة- خلال سردي عندما - بدون أي أمل في المصالحة - رأت جيمس فريدريك يحتشدان بالأسلحة ضد بعضهما البعض.١

١ هذه الأفكار التي دارت برأس الملكة كونستانس استمدت أساسا من سبيسيال، الكتاب الثالث، الفصلين ٢٠ ، ٢١. في أعمال فريدريك الثاني (استسلام ملك صقلية) أكدت أفكار الملكة كونستانس وسط امتيازات أخرى وآخرون! عن وفاة الملكة كونستانس، انظر مونتانير، الفصل ١٨٥.

تمرد إقطاعيوا الأميرال في صقلية – والذي تم التخلي عليه – وهزمه الصقليون قبل كاتنزارو استعدادات جيمس وفريدريك – الأول ينزل من سفنه على الساحل الشمالي للجزيرة ويتقدم لحصار سيراكوس – مآثر أسلحة حرب العصابات التي اندلعت في صقلية، جون لوريا يُهزم ويؤسَر في مضاق ميسينا يتم رفع حصار سيراكوس – جيمس يعود إلى نابولي ثم إلى كاتالونيا، غزوه الجديد على صقلية – البرلمان في صقلية – هزيمة الأسطول الصقلي من قِبل الأسطول الكاتالوني في كابو أورلاندو – صيف(١٢٩٧) حتى الرابع يوليو(١٢٩٩).

بدأ لوريا خدمته لسيده الجديد من خلال محاولة الخيانة الجديدة لسيده القديم، وقد خاطر بمحاولة الوصول إلى صقلية بسفينة شراعية سريعة واحدة، ومع ذلك لم يتخذ تدابيره بحذر كافٍ، فتلقى فريدريك معلومات عنهم عن طريق جواسيسه، ولكونه متلهفا للانتقام من الأميرال: قام بتسليح سفينتين كى يتربص له فى جزر ليبارى، هرب روجر، وذلك بفضل حذره اليقظ والهروب السريع لدى اكتشاف السفن الصقلية التي من شأنها إمّا أن تلحق بقائدها السابق، وإمّا لا، ولكن التحقق من ذلك كان كافيا للإطاحة بخططه، وعند سماع ذلك جون لوريا ابن شقيق الأميرال والذي قام بتربيته مثل ابنه، على الرغم من ولائه الكبير لفريدريك، غادر –فجأة- البلاط لرفع مستوى الحرب في كاستيجليون، وحاول عبثاً الاستيلاء على راندازو حيث سلَّح الشعب نفسه ضد أنصاره،١ ونهبوا وسلبوا قرية (ماسكالي) المجاورة، ولكن كانوا غير قادرين على الإضرار بأيٍ من الملك، أو البلد حال عدم الحضور الشخصي للوريا.

أعلنه فريدريك على الفور عدوا للدولة، وفرض حصاراً على القلاع الإقطاعية التابعة للأميرال، وأقام بنفسه مخيما في (كاستيجليون) وهو أهم ما في الأمر، لأن به وليام بالوتا - بطل معركة جسر (بريندیزي وتوماس من لينتيني) والعديد من المحاربين المشهورين، وأقارب أو أتباع الأميرال الذين أغلقوا أنفسهم مع جون لوريا. لم يستمر الحصار لفترة كبيرة من الوقت،

١ كافأ فريدريك اخلاص راندازو من خلال وثيقة الخامس عشر من يونيو ١٢٩٩ والتي تمنح بعض الإعفاءات من رسوم الجمارك بحرا وبرا. - تيستا، المرجع نفسه، الوثيقة ١٧.

ولكن تمت إراقة الكثير من الدماء خلال صيف عام(١٢٩٧) حتى تعرضت القلعة لهجوم من ثلاثة جوانب، وهزتها قذائف المحركات، وعندما انتابه اليأس من مساعدة ما وراء البحر، استسلم جون شريطة الإبقاء على حياته وممتلكاته، وعبر إلى كالابريا مع إيلاريا زوجته، ابنة الكونت مانفريد ماليتا بالإضافة إلى روجر لوريا نجل الأميرال، وكافة حلفائه، وقد أسلمت فرانكافيلا نفسها بالفعل إلى شعب ميسينا الذي كان قد تقدّم نحوها قلعة (آسي) القائمة بقوة على صخرة يغسلها موج البحر، حاولت الدفاع عن نفسها ضد هجمات قوات كاتانيا لكن فريدريك بعد أن أتى إلى هناك بعد استسلام كاستيجليون: أنشأ برجاً خشبيا على نفس ارتفاع الجدران وزوده بجسر ضعيف يسمى رافعة، والذي بمجرد أن ألقيت حجارة من عليه على الجدران استسلمت الحامية العسكرية، وبالتالى: تم القضاء على التمرد الذي أثير لصالح الأميرال في صقلية.١

وفي الوقت نفسه أنزل الحظ به إهانة أكبر فى البر الرئيسى.

١ نيكولاس سبيسيال، الكتاب الثالث، الفصل الثاني والعشرون. الحوليات الكنسية الصقلية، الفصل السابع والخمسون. والوثائق التي اقتبسها تيستا، المرجع نفسه، وثيقة ١١، ١٤.

في مقدمة سَرِيّة خيّالَة الملك تشارلز سعى للتنفيس عن سخطه بسبب الأحداث الأخيرة، بسبب عمليات الاستحواذ الصقلية في كالابريا، وتحقيقا لهذا الغرض: جمع بين الحيلة والقوة، أقنع بلاسكو ألاجونا بالموافقة على إجراء مقابلة معه من أجل تضليله عن ولائه، أوعلى الأقل جعله عرضة للاشتباه في نظر فريدريك، ولكنه نجح في الأخيرة فقط، فعندما شعر الملك بالقلق، واستدعى بلاسكو إلى صقلية، واستغل لوريا فرصة تحريض مدينة كاتانزارو على الثورة، وحصل من القلعة على وعد بالاستسلام في غضون ثلاثين يوما لو لم تظهر أية نجدة، ولم يمكن لفريدريك أن يتّخذ تدابيرا فعالة للتصدي لهذا، إذ كان مشغولاً في هذه الأثناء بالأ المذكورة أعلاه في صقلية. أرسل إلى كالابريا بأقصى سرعة بلاسكو الباسل المخلص ومعه (كالسيراندو ومونتيكاتينو)، ولكن العدد الأكبر من الإقطاعيين كانوا غير راغبين في ترك صقلية، حيث لم تتم استعادة السلام بعد، وكانت المهلة على وشك انتهاء، وعلى الجانب الصقلي لم يكن هناك أكثر من مائتي حصان تم تجميعهم في سكويلاتشي، في حين انتظرهم لوريا على رأس أربعة آلاف في موقف ينذر بالخطر، وكانت الليلة التي سبقت اليوم الثلاثين، وبينما بلاسكو مستغرق في هذه التأملات، سعى –عبثا- لتطويع قوته كي ينام قليلا عندما أتى أحد كشّافيه مسرعا

وهويلهث لإبلاغه بوصول في معسكر (جودفري) من ميلى بثلاثمائة حصان، قفز بلاسكو من فراشه وأمسك به من ذراعه صارخا:" إذا كنت تخشى على حياتك: اصمت ولا تدع أيٍ من رجالنا يعرفون بذلك" أدت زيادة الخطر إلى أن أزالت من روحه المتغطرسة كل أثر للتردد، وقبل بزوغ الفجر- بعد أن تشاور مع اثنين من قادته- جعل القوات تجدد نشاطها بتناول بعض الاطعمة، وتقدّم من سكيلاتشي في اتجاه كاتانزارو، ونحو الغروب وصلوا إلى بقعة مستوية بين قاعي تيارين يسميان (سيكوبوتامو) وهناك التقوا بلوريا القادم ليتقاتل معهم.

كان معه سبعمائة حصان تحت لواء أربعة وعشرين نبيلا، ومقسمين إلى ثلاثة صفوف، والتي كان يقود أولها بنفسه، وثانيها (ريفورزياتو) وهو فارس بروفانسي، وآخرها جودفري من ميلى، بعد أن غادر الجنود الصقليون البالغ عددهم أربعة وعشرين المعركة، وصل

obeikandl.com

عددهم إلى مائة وستة وسبعين فقط، ونظرا إلى نقص العدد: تقدّم بلاسكو بسرب واحد، باستثناء حفنة وضعهم في طليعة الجيش بقيادة مارتن أوليتا.

وكان يصدر الأوامر بنفسه من الوسط، وكان كالسيراندو على اليمين، ومونتيكاتينو على اليسار، وأمّن جناحي الجيش بواسطة "جنود الألموجافار" ورجال الأسطول المتناثرين على ضفاف التيارين، وعقب نشر قواته انتظر اللقاء.

غزا الأميرال التل بالمجموعة الأولى، لكنه فشل في كسر صفوف طليعة الجيش الصقلي، وبالتالي بعد أن فقد ميزة المفاجأة، بدأ الصراع على قدم المساواة، وأعاق تقدم ريفورزياتو الذي كان يتبعه بسرعة كبيرة بالمجموعة الثانية آملا في استكمال النصر، ولذلك نشر ريفورزياتو جنوده على طول جناحي الحشد الصقلي في حين قام المشاة بقذفهم بوابل من الحجارة والسهام، فهزموه بعدد أكبر من القتلى، وفي الوقت نفسه انتابت الحيرة جودفري من ميلى ومعه المجموعة الثالثة من جراء تلك المقاومة غير المتوقعة، وتقدّم بجانب لوريا الذي كان- نظرا لضيق المساحة- مرتبكا أكثر منه منتصرا خلال الصراع مع بلاسكو، يدعم الاثنين- وفقا لسبيسيال- عناد متساوي، الطرف الأول المعتاد على النصر ولديه ثقة في العدد الكبير، والطرف الثاني الذي يلاحظ بكل فخر الصفوف المكتظة والجرأة اليائسة لدى أتباعه والذي لم يُدِر ظهره أبدا للعدو، وفي نهاية المطاف: أصيب لوريا في ذراعه، وقتل حصانه أسفله، واختفى للحظة في خضم المعركة، وقد هوجم لواؤه من قِبل حفنة من المحاربين البواسل فبدأ التوتر يسري في عروقه، أمّا حامل الراية: فبعدما أصيب في وجهه ولم يعد يرى سيده: أدار ظهره للصراع، وعندئذ اندفع بلاسكو إلى الأمام لملاحقتهم

مطلقا صيحة هائلة قائلا: "إلى الأمام أيها الفرسان، فالعدو يهرب!"، وبعد أن نشطتهم تلك الشجاعة الجبّارة في تلك اللحظة الحاسمة، انطلق الصقليون بين الأسراب المعادية وأضعفوهم وفرّقوهم على كل جانب، "ألاجونا" تلك كانت صرخة جانبنا، و"أراجونا!" كانت صيحة الأميرال الذي كان يأمل عبثا في أن يجد فيها الإشارة المعتادة للنصر، ولكن ألحقت به الضرر الآن، ففي وسط الهياج والارتباك عندما سمع جودفري من ميلى صيحة "ألاجونا" من جناحيه وظن أنه محاصر والخطر يحدق به، وقد هرب وانطلقت المجموعات الأخرى وراءه، وبالتالى: اكتملت الهزيمة النكراء، وفي الصراع قتل أبناء كل من ريفورزياتو وفيرجيليو سكورديا بالإضافة إلى جيوردانو من أمانتيا والعديد من النبلاء، وأُسر ريفورزياتو نفسه، ولكنه غافل حراسه وفر كما هرب الكثيرون بفضل الظلام.

أصيب لوريا العظيم بنفسه ونسيه أتباعه على عجل في رحلتهم المُسرعة، فأخفى نفسه تحت سياج من الشجيرات وتوقع اكتشافه وموته في كل لحظة، عندما رآه صدفة خادم مُسرع تابع له والذي نزل على الفور من على ظهر جواده وأعطاه إياه، وقفز الأميرال الذى كانت عيناه تذرف الدموع من الغضب على السرج، وانطلق به بأقصى سرعة بعيدا عن الصقليين، واتخذ (بادولاتو) ملجأً له، بعد ذلك منح ممتلكات كبيرة في مملكة فالنسيا لذلك التابع المخلص الذي أنقذه من موت محقق على حساب تعريض حياته لخطر وشيك، ولكن إذا كان قائد روجر لم يكن من بين غنائم النصر، كان الصقليون راضين بمجد إلحاق أول هزيمة به، فقد انتصرت حفنة من الرجال في خضم بلد معاد ومعارضين لمثل ذلك القائد المشهور، على قوة تفوق عددهم بثلاث مرات عادوا في

اليوم التالي إلى سكويلاتشي، ولم ينقذوا فقط قلعة كاتانزارو، ولكن استرد كالسيراندو المدينة أيضا حيث لم تجرأ جثث القوة المعادية على أن تقاومه.١ ولم يمض وقت طويل بعد ذهاب برنارد ساريانو - الذي كان قائدا بحريا شجاعا طالما كان الصقليون تحت إمرته - إلى العدو، وهاجم مالطا بسرب صغير وحاول الاستيلاء على مارسالا، وفشل في المغامرتين وعاد إلى موانئ نابولي دون انتظار فريدريك، الذي قام – عند سماع الأخبار الأولى لتقدمه – جهّز على عجل ثلاثين من الأقدسة
في باليرمو وغيرها، عازما على قيادتها شخصيا.

انتهى عام (١٢٩٧) ومرَّ فصل الشتاء دون أية عملية أخرى ذات أهمية، وواصل فريدريك مع مانفريد شيارامونت وفينسيجورا باليزي مكائدهم ضد الأميرال، وانتووا الآن قتله بواسطة حفنة من الرجال العاقدين العزم، والذين تم إغراؤهم بوعد المكافأة العظيمة، وعليهم الآن تحديه بمعركة واحدة لذلك البطل المدافع الشهير عن جيرونا رايموند فولك فيكونت كاردونا الذي سيسمه بالخيانة.

١ نيكولاس سبيسيال، الكتاب الرابع، الفصل الأول.

فيما يتعلق بمعاملة برشلونة أو محاكم أراجون، وقتله في معركة واحدة أو على الأقل: من خلال سحبه من إيطاليا للتخفيف من خطورة عدو كبير لفريدريك.١ ، ولكن تلك الخطط ضد لوريا لم تسفر عن أي شيء، فلم يجد مونتانير بيريز دي سوسا - والذي أرسله فريدريك لكاتالونيا لعرقلة الاستعدادات للحرب إذا كان ذلك ممكنا- أي تعاطف من الأمة، وهرب بصعوبة من أيدي الملك جيمس٢ الذي تم إشعال حماسه فيما يُسمى بقضية

الكنيسة المقدسة بذهب تشارلز والبابا. فلوريا الذي يملؤه العار من قمة رأسه حتى إخمض قدميه بسبب وجود جيشه في كاتانزارو، ولكنه شرس ومتعجرف كما لو كان منتصرا، ذهب إلى الملك تشارلز لتقديم الشكاوى المريرة لرحلة رعاياه المخجلة، معلنا أنه بدون ملك أراجون لم يكن شيئا لينفّذ، وبما أن بونيفاس يدرك أن مصير الحرب بأكملها يعتمد على ذلك، منح جيمس كل ما كان يرغب به، فقد تحمّل التأخير في تقديم التعويض الذي تُصر عليه فرنسا بشكل عنيف فيما يتعلق بممتلكات الملك جيمس في مايوركا، واستخرج من"المجلس المركزي للتمويل في النظام الإداري البابوي" المبالغ التي تم جمعها من تلك المحافظات، والتي - كما يكتب سبيسيال بشكل متشدد يتمشى مع دانتي – منحتها قسطنطين لسيلفستر أثناء فقره لأغراض متعددة ومختلفة.

ساعدت هذه المبالغ في التسلّح ضد الأراجونيين والكاتالانيين والفرنسيين والبروفانسيين والجسكونيين والإيطاليين في صقلية وغيرهم، وبواسطة نحو ثمانين ناقلة مزودة بالجند وممتلئة، توصّل جيمس إلى هدنة مع ملك قشتالة وأبحر نحو أوستيا في بداية صيف(١٢٩٨).
٣

١ تيستا، سيرة فريدريك الثاني، الوثيقة ١٣ و ١٤.
٢ زوريتا، حوليات أراجون، الكتاب الخامس، الفصل الخامس والثلاثون

٣ نيكولاس سبيسيال، الكتاب الرابع، الفصل الثاني. الحوليات الأراجونية الصقلية، الفصل التاسع والخمسون

تسجّل مغامرات جيمس "كما نطقها البابا بونيفاس" زوريتا، حوليات أراجون، الكتاب الخامس، الفصل الثالث والثلاثين.

مونتانير يتخلى عنا تماما في حروب جيمس ضد فريدريك. يسجّل تسلّح الأول كما كان سيفعل بشأن التوصل إلى السلام بين الملك تشارلز وفريدريك. ولهذا الغرض نص على مجيئه إلى إيطاليا ومعه مائة وخمس أقدسة، ولم يذكر كلمة عن غزو صقلية في ١٢٩٨، أو عن تكرار تلك المحاولة في السنة التي تلت ذلك، أو المعركة في كابو أورلاندو، لكنه يفكر في تلبية مطالب وظيفته كمؤرخ وذلك عن طريق اختتام الفصل ١٨٦ بهذه الكلمات: "سيسأل البعض بلا شك: لما مر مونتانير بهذا الاستخفاف على هذه الأحداث؟ إذا وُجّه هذا الاستفسار لي، سأجيب أن هناك أسئلة لا تستحق جوابا."

إن المفاوضات بشأن تقديم التعويضات لملك مايوركا لا تدخل في نطاق العمل الحالي، ولكنها تبين أن بونيفاس بسبب حبه للمؤسسة الصقلية ضحّى بمصالح جيمس من مايوركا، وماطل فيليب العادل الذي سعى لدعمه. هذا تؤكده العديد من الوثائق في أرشيفات فرنسا.

ولقد أوفوا بوعدهم من خلال الدفاع باستماته، ولذلك بعد أن خسر روبيرت العديد من أتباعه قام برفع الحصار منفسًا عن غضبه بعزل البلاد المحيطة ووجه قواته صوب "بترنو".

جاء ذلك فى الوقت الذى علم فيه فريديرك بأن "كاتانيا" عرضة للتهديد، فأسرع الى "ماسانيا" ليكتشف رحيل العدو، وخلال استمتاعه بلذة النصر، قام باستدعاء المواطنين لحضور البرلمان وخاطبهم من منطلق الرضا و الثناء، حينما قام بالرد عليه "فيرجيليو سكورديا"

الرجل الفاضل ذو السمعة الحسنة الذى لا مثيل له من حيث التقدير و النفوذ فى المدينة بالنيابة عن الجميع، الذي صاح بـ "من" بلهجه محتدمة "مَن الذى سيقبل التخلى عن الحرية تحت حكم أمير كهذا مقابل طغيان أجنبى؟! وأكمل حديثه بأن الذكرى الأخيرة لم تتلاشَ بعد، وأشار إلى أن الحجارة و الجدران مازالت ملطخة بدماء الفرنسيين، ووجه لومًا لكل صقلى لخوفه من الإنتقام ولا يوجد بينهم من لا يضحى بحياته من أجل "فريديرك" الذى نشأ بينهم، وكان ملكهم وكان أيضاً بمثابة أبٍ لهم، وأشار إلى أنه إذا كان هناك أحد الحاضرين مجنوناً بما فيه الكفاية ليعتز بروح معاديةٍ له: فلتنشق الأرض وتبتلعه ولتهلكه الصاعقة! وهذه كانت الكلمات الموجهه للخائن، ولكن الذين كانو على مقربة منه قبل أن يلتزم بتسليم "كاتانيا" للعدو فريديرك الذى كان مفتوناً بهذا المظهر من الإخلاص، كان يشغل خاطره كيف سيكافأه بعد أن أصبح الآن على ثقه عمياء بعد أن كان غير أهل للثقة، ولهذا اعتبر "بلاسكو الاجونا" مستقبل الافتراءات لأنه كشف له مؤشرات معينة مشبوهة للغاية من الممارسات التى تتم فى "سكورديا"، هذا وقد استمر فى اتباع نهج ملك بلده، كما رد على "بلاسكو" بأنه يفضل أن يخسر"كاتانيا" عن تشويه سمعة رجل عظيم كهذا، تُنسب الشكوك إليه، وبالنسبة لـ "بلاسكو" فإنه إما من الحكمة أو التهور التخلى عن قيادة المدينة، وقد فوضه الملك لحكم " إمبراطورية (كاونت يجون ديجلي) كونه جندياً شجاعاً ليس أكثر، حيث يكتسب ثقة معظم النفوذ المعروفة لدى "فيريجيلو سكورديا"، ولقد رحل بعد ذلك إلى "لينتيني" و "سيراكيوز" وبلاد أخرى معروفة من مدينة "فال دي نوتو" ليستقر في "كاسترو جيوفاني" في النهاية حيث ظل هناك لوقت طويل، وقد تم منحه

امتيازات عديدة من مدينة "كالتاجيرونى" والتى تظهر رغبتة فى تعزيز حزبه من خلال التوزيع العادل للغنائم مدعومًا بقرار النظام الذى عارضه أعداءه بشكل حاد، فقد كان يوجد فى "كاتانيا" مواطن أقل نفوذًا من "فيرجيليو" ولكن على نفس القدر من الطموح، يدعى "نابليون كابوتو" وكانا هما الاثنان يتنافسان لصالح الشعب وسخاء الملك، وبالتالى كان هذا سبباً فى العداء الطويل بينهما، ولكنهما الآن يسيران فى طريق الخطيئة يداً بيد، وبالنسبة "لفيرجيو" كان من الصعب أن يقصى بمساعده أسوأ أتباعه من المواطنين، وقدم"فيرجيلو" عرض ل"نابليون" والذي هو أقل شأنًا منهما، قد استقبلهما بلهفة، فالاهتمامات المماثلة تسعي لغفران الجروح المشتركة، كما أنهما تآمرا معًا، أو على الأقل مع بعض المتواطئين، حيث أخفيا مخططاتهم حتى عن الموالين لهم، حتى أن رغب "فريديريك" في أخذ موقف ضد الأعداء، حيث استاء من احتياجه لما هو متوفر والذي قد تم رفضه من أماكن عديدة مهمة، فقد دعا الشعب إلى التسلح، وطلب من "كاتانيا" سبعمائة رجل.

هذا: وقد قام الملك بكتابة ما حدث وتأثيره على "يجون" الذي قام باستشارته مع "فيرجيليو" في إيجاد ما هو الأفضل للحصول على أفضل الفرق من المدينة التى وعد "فيرجيليو" إنها سوف تأتى مدعومة بالأفراد الذين قد تم استدعاؤهم لبرلمان الكاتدرائية خلال اليوم التالى وقد يتعهد بالبقية، وبمساعدة "نابليون كابوتو" بدأ وأكمل تنظيم التمرد خلال الساعات المتبقية من ذلك اليوم وخلفا لليلة.

وقد لا يكون هناك وقت كافى للتراجع او الإفصاح حتى يمكن الاستفادة من التنبيه و التحريض لأولئك الذين

يرغبون الصالح العام دون إزعاج أنفسهم لإخفاء الخيانة ضد الأمة تحت ذريعة مصالح المدينة. وبالتالى فإن المؤامرة التى كانت حتى الآن سرية وتقتصر على عدد قليل جداً -والتى كادت فى وقت من الأوقات أن تنكشف لعدد كبير دون أية مخاطر، وقد أؤتمن كل من الأقارب و الأصدقاء والعملاء والقتلة المأجورين، وقد تم تكليف كلٍ منهم بواجباته، وفى نفس كنيسة شارع "أجاثا" احتشد شعب"كتانيا" والتى كانت قبل خمس سنوات تدوى بالتصفيق والبهجة حينما أعلن ممثلى الأمة "فريديرك" ملكاً لصقلية، ودخل نابليون والمتآمرين المسلحين واحداً تلو الآخر، وذهب "فيرجيلو" إلى مقر "يجون" متخفياً في زي ومظهر من مظاهر السلام، ثم رافقه إلى الكنيسة، وبعد أن دام الصمت، تم عرض نوايا الملك، وقبل أن ينتهي من حديثه: قام "فلوريو" وهو رجل من أدنى الرعاع بشهر سيفه وصاح بالسلام ولكم الملك فى وجه، فقام الرجال المسلحون بإحاطته فى محاولة منهم لإيقافه، وبعد ذلك سارع الناس إلى الشوارع يهتفون بالسلام، ومن كان يتردد في الهتاف بالسلام فإنه أضطر إلى ذلك عن طريق التهديدات ولهذا فقد سارع بالذهاب فصيل صغير إلى المدينة المنكوبة وتحول الأمر إلى ثورة.

وبدون توقف أو تفكير دفعوا بالحاكم وأتباعة فى ثلاثة قوارب استعداداً للمهمة، وأخذ "فيرجيلو" و"نابليون " يحثُّوهم على ذلك، وخاطبتهم "مقاطعة كاوت يوجون" بصفة ودِّية، وناشدتهم إذا كانو قد عانوا من أية إصابة منه أن يغفروا له وأن لا ينقلبوا ضد الملك، ولكنهم أشارو له أن يظل صامتاً وأن يوجه مسارة إلى"تاورمينا"، وفى الوقت ذاته قام السكان بعزل منازله، ولكنهم أرسلوا بعض المسؤولين غير المصابين بعيداً لخدمة الملك فى محاولة منهم لأخذ كل ممتلكاتهم،

فاستدعى المتآمرين على الفور "روبيرت" الذى كان مرتاباً ويحاول بصعوبة الرجوع إلى "بترنو، ولكنها استقبلته بالاغتباط الجنائى والاتهام وحصلت منه على مقابل لخدماتهم في المدينة والقرى والأماكن المحصنة والذي حصل عليها بكل سهولة في ظل سيطرة العدو عليها، فكان من الصعب عليه أن يُرجع الفضل لحسن حظه الذي مكنه من شراء سلامته بثمن بخس، ولا يوجد أدنى شك بأن انشقاق "كاتانيا" والتي منعت الجهود الحماسية التى كان يستعد لها "فريديرك" ضد التشتت، وسوء تقديم القوات للعدو، مما لا شك فيه، كان ذلك سبباً فى مآسى لا حصر لها والتى توالت بعد ذلك، وفى الجهود المضنية التى عملت من أجل طرد العدو من أرض صقلية.

وذلك دفعنى إلى النظر إلى أنه في الأوقات العصيبة كان الحكام عاجزون عن الدفاع عن أنفسهم أمام رعاياهم، وكان من المفترض فى هذه الفترة أن سلطة الدولة لم تكن قوية أو موحدة بشكل جيد كما فى الحاضر، ويبدو لى أنه إذا لم يتمكنوا من قمع التمرد بسرعة فى حين كان لديهم أكثر من وسيلة لإخماد ذلك من خلال تقديم تنازلات إقطاعية على كل ما فقد من المتمردين، بين العديد من الذين إما من أجل الحفاظ على ممتلكاتهم الخاصة أو على أمل الحصول على تلك المقاومة الأكثر ضراوة، والتى لن تنتهى بمجرد العودة إلى ولائهم بل بالقوة و الاحتيال أو المؤامرات لإخضاع زملائهم في التمرد، وحتى أولئك الذين كانوا موالين: فقد تم حثهم على دوافع مماثلة من الأعمال التى من شأنها أن الحماس وحده لن يكون الحل. وبالتالى: فإن جزءاً واحداً من الأمة حمل السلاح ضد الآخر بحماس كبير أكثر مما يكون عليه الوضع فى يومنا هذا، نظراً لحيازة الممتلكات الثابتة وأدنى قدر من

المكافآت في شكل المعاشات والتعيينات التى كانت تحت تصرف الحكومة، ومن هنا نحن نرى كيف كانت التنازلات الإقطاعية كبيرة تلك التى قدمها "روبرت" ل"كتانيا" بتفويض ملكى وصُدقت من قبل "تشارلز" في "نابولي" ليس فقط لشركاء "فيرجيلو" الأسكورديين فى الخيانة، ولكن للنبلاء الذين انحازوا إلى جانب إمبراطورية "أنجويون" ومن بينهم نجد العديد من الأسماء اللامعة، والعديد من الذين أدانوا بكل مستحقاتهم ل "فريديرك" . ونحن نرى أيضا أن العديد من بلدان "فال دي نوتو" يستسلمون للعدو بعد احتلال "كاتانيا"- والتي يبدو أنها وصلت إلى ذروة الخراب فى "صقلية"- "نوتو" كانت مطمعاً لمؤامرات "أوغولينو كالارو" وهو رجل ذو صيت واسع ويعد الرفيق الحميم للملك مقارنة بـ"بوسكيمي" ، " فيرلا" ، "بالازولو" و "كاسارو" وقد شُبه بمثال سئ وذهب إلى العدو كما فعل"راجوسا" حيث تآمر كاهن يدعى "اوموديو" تحت عباءة الاعتراف مع العديد من المواطنين الذين لا يجرؤون على تحقيق هدفهم بدون مساعدة رجل باسل يدعى "فرانسيس بالينا"، والذى ذهب ليلاً بالأسلحة إلى منزله مهدداً لحياته، وتظاهر بالانصياع للارهاب، وفيما بعد كافح بقوة ضد هذا المخطط الغاشم الذى تكلل بالنجاح وطرد الملازم "مانفرد" و "كيارامونتي" الذى كان يتولى قيادة المدينة، وتم استدعاء "ويليام بستندرد" من "فيتسيني" إلى هناك وتبعهم من "صقلية" "فيرجيلو" ورفاقة، وفى الوقت نفسه لم يكتفوا بخيانتهم فقط، ولكن جاهدوا بأنفسهم لملاحقتهم وأتباعهم فى سائر المدن وإذا أمكن لطاردوهم فى جميع أنحاء الجزيرة، ولكن ظروف العصر وفساد الأخلاق السياسية في جميع أنحاء صقلية جعله فقط أكثر أهمية ، حيث أنه بعد هزيمة "كابو دي

أورلاندو" بدعم من الاستعدادات الحربية الواسعة وحضور "روجر لوريا" وبدعم من الفرنسيين والمحاربين الكاتالونية، وعلى الرغم من تسليم حوالي ثلاثين من المدن والبلدات، والقرى بالمؤامرات والمكائد وقوة السلاح إلى يد "الأنجويون" باستثناء "كيارامونتي" وأن فريدريك، أو بالأحرى أنصار الثورة الصقلية التى انضمت إليه على الرغم من العديد من أعمال الخيانة التى سُجلت فهم ما زالوا محتجزين بكل ما تبقى من الجزيرة، ولم يفرطوا ولو فى جزء صغير من "كالابريا" للعدو، وكان هذا العام الأكثر بهجة فى عهد البابا " بونيفاتشي" المضطرب، كما قام بالاتجاه صوب البيوت المنبوذة في مدينة "كولونيا" حيث سجدت جميع المناطق قبيل وصول الجيوش الصليبية، وأُغلقت دورتها الأخيرة من الذخائر في قلعة "باليسترينا" وأن القلعة المحصنة نفسها فتحت له أبوابها بناءاً على وعوده الليبرالية، حتى أنه حصل على الحيازة منها، فشتت المتمردين وقام بتدمير المدينة بطريقة قاسية وجرف الأرض وقام بتمليحها، كما أنه لم يهلل بشأن مجزرة كابو دي أورلاندو، الشئ الذي دعاه بالخطوة الأولى نحو استرداد فلسطين، والذي أكد على اعتباره بأنها خطة نحو إخضاع صقلية أيضًا ومد منطقة نفوذه لتشمل جميع مناطق إيطاليا، ومن المحتمل أن تشمل ألمانيا أيضًا.

قام "ألبرت" ملك رومانيا بعد ذلك بطلب إمبراطورية ولي العهد. وجلس "بونيفيس" على عرشه، مع وضع "قسطنطين" الأكليل على رأسه، والسيف بجانبه، ويده على الحلق، ونفى للسفراء حق ألبرت، قائلًا " لست أنا الحبر الأعظم" وليس هذا كرسي القديس بطرس" وأنني ليس لدي القدرة على الدفاع عن الرسوم الشخصية للامبراطورية؟ أنا قيصر... أنا الأمبراطور..." ومن هنا

قام بطردهم بقسوة، وعلى قدر خبرته فى شئون الدولة إلا أن رأية المتعجرف لم يمنعه من إعطاء اهتمامه الدؤوب أكثر لشئون صقلية، التى كانت تشغل خاطرة، وكان بعيداً عن النظر إلى كل ما قد تم، وفي مكان المندوب السابق الذي كان يرى أن خدمات نفوذه فى الجزيرة قليلة فأرسل إلى "كاتانيا" الكاردينال "غيراردو " التابع لـ "بارما" الذى كان يعتبر فى صقلية قديساً بصلاحيات كاملة لكشف أو صد اللعنات وفى نفس الوقت حض "تشارلز" وأبنائه لمتابعة نجاحهما في صقلية، وفي هذا الصدد كتب الرسالة تلو الأخرى وهكذا كانت الرؤية واضحة لـ "بونيفاتشى" وأن يعمل كل الجهد لتتويج "فيليب" ملكاً لـ "تارانتو" من خلال هجومه المتعمد على المقاطعات الغربية من الجزيرة حيث كان يخشى أن يتغلب عليه "فريديرك" بسهولة ولكن كل العتاب القى على الأمير الذى كان يطمح للمجد العسكرى و "نابليون تشارلز" الذى كان ضعيفاً دائماً بكل ما يتعلق بأبنائة، وربما كان ينتظر بفارغ الصبر لتخليص نفسه من شراك الحرب، وقد تم تجهيز أربعين سفينة حربية فى "نابولى" وكانت تضم جميع النبلاء الأكثر شهرة سواء من الفرنسيين أو النابوليين الذين بقوا على اليابسة والميليشيات الإقطاعية والجنود المرتزقة، وتم تنظيم هذه القوات من قِبل الأمير " فيليب" وبمساعدةٍ من هيئة الدفاع عن المحاربين الأكثر خبرة، وتولى قيادة الأسطول نائب الأدميرال " بيير سالفاكوسا"، وفي بداية شهر تشرين الثاني أبحروا إلى "ترابانى" لمضايقة الأغنياء الذين لم يصابوا حتى الآن فى الساحل الغربى والذى كان "فريديرك" يستمد قوته منهم، ولذلك فإنه عندما سمع أن العدو قد استقر فى "كاب ليليبيو" وكانوا يهدرون البلاد ويستعدون لمحاصرة "ترابانى" عن طريق البر و

البحر، وفى وسط ذعر كبير قام باستدعاء قادته معاً واصطحب مستشاراً معهم وهذا ما كان يجب فعله ، أما "بلاسكو الاجونا" سواء بسبب مودته الشخصية للملك أو تعطشه الكبير للمجد فإنه تمنى أن يذهب وحده لمواجهتهم، وأسهب في الحديث عن المخاطر التى كانت تمثل تهديداً لهم بوقوف "روبرت" إلى جانبهم بقوة عظمى قريبة المنال، ومع أسطول "فيليب" فإنه قادرعلى تأجيل المعركة حتى يستطيع أخوه توحيد صقلية، وبالتالى حثُّ الملك على عدم مغادرة حصن "كاسترو جيوفانى" ولكن من أجل أن يقوم بتكليف "بلاسكو" بقوة لتواجه العدو الجديد، وجذبه ليدخل المعركة بقواته المحدودة، وإما أن يحلف ويقسم أنه هو الذى سيعيد له رايات "أنجو" وإما أن يبقى فى الميدان . وقد كان لا يستطيع أحد أن يعارض كلمة "بلاسكو"، ولكن ببعد "فريديرك" عن العرش بعدة خطوات فأخذ يتجاهل الجميع ولا يتحمل الاستماع لهم والاهتمام بما يفعلونه، فى حين تابع الملك أخذ أراء مستشاريه على التوالى، والذين كانوا لا يبالون له على الإطلاق فهزَّ رأسه وبدا حزيناً، فاندلع العنف وقال بغضب:" إن الملك يستطيع المضى قدماً ضد "فيليب" دون وجودكم!، و أسلافكم الذين يعتقدون أننى لن أستطيع أن أغزو الأمة، وكنت على رأس فرسانى فى محاربة الممالك وسط حشد هائل من العدو؟!، أشعر داخلى أنى تحت عينيك (على مرأى منك) أجرؤ على فعل أشياء عظيمة، بينما في غيابك لا يمكنني فعل شئ، وكان "بلاسكو" يأمل أن تنقلب كل صقلية ضدك وحدك، فكان يجب أن يراك تنأى بنفسك عن ميدان المعركة كالجبان وكان "بلاسكو" يثق فى جيشة، ويهين أى أحد فى سبيل حصوله على المجد لنفسه، ولكنه أقسم أنه لا يعرف كيفية تقدير نفسه

بطريقة عادلة فدعونا نستخدم كل القوى التى لدينا حيث أن كل ثروتنا على المحك، فإذا منحنا الله النصر سنعيد إحياء كل ممتلكاتنا، ولكن إذا كان غير ذلك سواء كانت هزيمة مشرفة أو مهينة فلن يكون له سوى الخراب ليتطلع إليه ويذكره بنكسته السابقة، وبصمته ولامبالاته، ولكن الأحداث المفاجئة لم تنتهي أمام فريدريك، وأشار إلى أنه أية لحظة ترددٍ واحدةٍ: ستتسبب فى فقدان صقلية ومهاجمتها من الجانبين واضطهادها، وسوف تكون عرضة للاحتيال و المؤامرات، وعلاوة على ذلك أخذ يحثُّه على دفع العار وضرورة محو كل الأخطار من حياته وذكرى هزيمته فى "كابو دى أورلاندو"، ولذلك فإنه غادر " ويليام "الذى كان متقدماً بالفعل فى سنوات عديدة في قيادة الحامية من "كاسترو جيوفاني" بينما هو نفسه مع عدد قليل من المواطنين، وأكبر عدد ممكن من الميليشيات الإقطاعية الذين كانوا متجمعين هناك، وسار في اتجاه " ترابانى" وقام عدد من "باليرمو" والبلدات المجاورة بأخذ السلاح وسارعت للانضمام إلى الجيش متخفيين تحت طقس الشتاء دون انتظار أية أوامر جديدة، وبالتالى: فبفضل قواتنا فى هذه الفترة وسرعتها الكبيرة استطاعت استباق خطر وصول "روبيرت" وعند وصول العدو -الذى لم يكن قوى كفاية لإخضاع "ترابانى- عاد بجيوشة إلى "مارسالا" وكان الأسطول على مسافة قريبة، فلم يكن هناك أية وسيلة لتجنب الصراع وانتهى كلا الجيشين إلى معركة جماعية.

وفى بلادنا فإنه الحق أو كما كان متعلقاً بـ "لوبز دى يام" وهو كاهن تنبأ باقتراب حضور الملك فتنبأ له بهذه الكلمات: "فريدريك"، أنت سوف تقهر وأنا بمفردي بصحبة خمسة فرسان من الممكن أن نموت" ولهذا السبب رد الملك:" وسنقاتل فى سبيل الله" وقال "لوبز"

:"وهذا هو المصير المحتوم ، وأننى أفضل الموت على أن لا يقهر "فريديرك" ولكن فيما يتعلق بحال هذه المعركة فإن "سبشالى" ستنسى هذه الخرافات، وكان فى سهول "فلاكونارياً" الواسعة ثمانية أميال من "ترابانى"، وعشرة من" مارسالا "واثنين أو ثلاثة من شاطئ البحر، وأن جيش صقلية جاء مع العدو في أول ديسمبر(١٢٩٩) وقد كانت منشأة متفوقة مليئة بالشجاعة على الرغم من النقص في الانضباط، وساعد على ذلك بعض القوات الكاتالوينية، ولكن كانت أعداد الجيوش غير معلومة، ونعرف أنهم أهدروا ميزة سلاح الفرسان، وتم إضافه قوات من برونفاس إلى جنود المدينة ومملكة "نابولي " وكان لديهم ستمائة حصان وعدد كبير من المشاه، و الجيش مقسمٌ إلى ثلاثة أقسام وفى هذا السياق أصرَّ "أنجيو فيليب" أن يكون "مارشال بوريليو دى بونسيا" مركز الصفوف وأن يكون "روجر سانسيفينو" على اليسار، وأخذ "فريديرك" بنصيحة "بلاسكو" وبدله بالأمير مع عدد قليل من الأحصنة وسرب من "المجافيرى" (اسم فئة من الجنود المشاه).

وقد احتل شخصياً قيادة مجموعة من قوات المشاة وضم سلاح مشاة "جون كيارامونتى" و " فينسيجيورا فلازى " و " ماثيو دى تيرمينى" و "بيرادو دى كيورالتو" و " فارياتا ديلجى يوبرت" مع مشاة "كاسترو جيوفانى"، وكانت هذه الأقسام هى أول من بدأت المعركة ، وتقدموا ببطء ضد "سانسيفيرنو" وفى نظير هذا قام أمير "تارانتو" من الناحية الأخرى بإرسال الرماة "البروفنسيين" إلى الأمام لتشتيت الـ" المجافيرى" وكان هو بنفسه يقف فى صفوف الجنود المسلحين، وتقدموا ضد راية "بلاسكو" التى كانت واضحة وبارزة للغاية، وحتى الآن لم تظهر نسور "فريديرك" حيث كان الملك

مشغول بتسليح الفرسان الجدد خلال هذا اليوم الخالد، وقد طُلب رُسل بلاسكو المرتعبين لامتطاء جواده، وفي هذه الأثناء حافظ "المجافيرى" على أماكنهم في مواجهة اقتراب العدو وسط أجواء من رمي الحجارة حيث تتوالى الصيحات المعتادة بـ "اشحذوا أسلحتكم" مع رفع رماحهم ضد الحجارة، كما سجل "مونتانير" أن الأرض كانت تتوهج بالشرر، وسط تعجب وخوف العدو، لتبدأ المعركة.

وقد لوحت صفوف "بلاسكو" للحظة قبيل اشتباك الأمير، وكانت روح الكفاح تتزايد مع ترنح الراية، ولكن سرعان ما أقدم المحاربون ولم يتراجعوا خطوة واحدة، ولهذا قام "فيليب" بالتحقق من وسط الجيش لإبقائه بالخلف، ويرجع ذلك إلى الإحساس بالخوف عليهم اعتقاد منه لتفريق جماهير المشاه، مما عزز من قوة الهجوم، تاركًا ميمنة الصفوف المهزومة من "المجافيري" لـ " بلاسكو" الذي بدأ في الإحاطة به بهدوء، وفي هذه اللحظة مر في صمت -وباستياء شديد- "سبيسيال" اعتقادًا منه بأن "بلاسكو" قد سقط ، داعيًا الملك إلى الهروب—فمن المحتمل أن الجميع قد قُتل ولكن صاح "فريدريك" بـ " اهرب أنت، :"أيها الخائن إن واجبي هو فداء صقلية بروحي." وقد أمر برفع الراية مع حفنة الأحصنة المجردة التي ساعدت على الحفاظ على فرقته، وقبل كل شئ قام بتبديد كل ما تبقى من فرسان الأمير خلال الصراع قدم أدلة قاطعة على بسالته، وقد بدا النضال متكاتفاً، وتخبطت الصفوف ببعضها البعض وقد أعطى وجود الملك حافزاً للمحاربين، لمع نصل "فيليب" في الأعلى، وقد أبطأت هراوة "فريدريك"العديد من الأعداء، ولكنه تلقى جرحاً طفيفاً في وجهه، وآخر في يده اليمنى، وفي هذه الأثناء سمع دوياً لأسلحة بلاسكو

خلال الجانب الأيسر، فقد بدأ أولا في حماية الأميرة "كافاي" بالمشاه، ثم قام باستعجال حشود "المجافيري" الذين تبعوه سيراً، حيث حثَّهم على ذبح أحصنة العدو، كما قام أفراد "المجافيري" الرشقاء خفيفوا الحركة، مع رماحهم القصيرة بالانطلاق وسط صفوف العدو وطبقًا لما ذكره "مونتانير" قام فارس مختبىء وراء درعه بالاختراق مستخدمًا رمحه، بينما قام فارس آخر باسم "بورسيلوا" و ضرب بسيفه ساق محارب فرنسي فقطعها، وفي نفس الوقت قام بوضع نفسه بجناح حامية، فقد تكبدت الخيالة خسائر فادحة، وكان يوجد الكثير من الارتباك وقتل الكثير من فرسان "فريديدريك". تقدم "لاكيراتد" مقدمة جيش الملك، على ميمنة "المجافري"، وبدأت خيالة "فيليب" بالهروب، وعلى الجانب الأيسر- على الرغم من بسالة " بوجر سانسيفيرنو" - فقد حصد أفضلية نبلاء " سيسيكان"، وفى منتصف الجيش قام مائتان من أقوى فرسان "نابليون"، شاركوا بشق الأنفس في الصراع، ولكن واجهتهم صعوبات فى المشاركة بالنزاع بسبب خطأ "فيليب" فى السيطرة على أرض المعركة فى جبهتهم، ولكن تم العثورعلى "مارشال بروليو"، الذي كان يقود الميدان مصاباً بمئات الجراح وتحيط به جثث محاربيه الفرنسيين الشجعان .

" فيليب" وسط المعركة وجد نفسه يواجه من جانب واحد "مارتن دي إيوس بيريز"، وهو رجل لديه قوة وبسالة كبيرة، فأصابه "مارتن" بهراوته، وفى المقابل اتفق معه الأمير أن ينضم لجيشه وأن يسيطروا على الجهتين، ولكن كان ذلك بلا جدوى مع وجود "الكاتوليين" الذين حاولوا عبثاً تفريقهم وسلبهم أدرعتهم وتم أصابته بجروح طفيفة عبر خوذته، ومن ثَم تصارعوا معاً وسقط كلآ منهما من فوق خيولهم، وأخذت

تخوض بينهم وفى خلال ذلك حصل "مارتن" على أفضل فرصة لقتل عدوه المجهول، ورفع خنجره ليصوبه نحوه فصاح "فيليب" عالياً وقال: بحق "العذراء المقدسة"! أنا فيليب من أرض "أنجيو" عندها قام "مارتن" بصد ضربته، ولكن دون التخلى عن الأمير، و صاح بصوت عالٍ منادياً "لبلاسكو" الذى كان على مسافة قريبة فى استكمال مسار العدو وكان فى قمة الغضب والحماس، فأرسل إليه اثنين من "المجافيرى" لقتل "فيليب" وجعله يدفع ثمن قتله لـ " كونرادين" (ملك صقلية) وهكذا سوف يموت "فيليب" ملك "انجيو" ميتة مجرم، ولكن على نحو مفاجىء علت صيحة فى صفوف الجيش الصقلى "العدو" "العدو" وفرت الجهه اليمنى حين تعرضت للهجوم من قبل مائتين من الفرسان "النابولية" التى كانت تتمركز فى الوسط، وفى هذه الأثناء عادت أفكار "بلاسكو" مرة أخرى حول "كونرادين" عندما انهزم فى " تالياكوتسو" وعندما كان على وشك الفوز، وانقلب كل الجيش الصقلى ضد هذا العدو الجديد، علم "فريديرك" بخطورة الموقف الذى كان فيه "فيليب" فسارع إليه وأنقذه من اثنين من "المجافيرى" وكلفه ذلك فقدان أحد ذراعيه ووصاه على حماية أتباعه ومساعدتهم.

وهكذا أنتهت معركة "فلاكوناريا"، ورأت مقاطعة "سانسيفيرنو" أنه من المستحيل العثورعلى الهاربين وحشدهم (يلدد هم سيلف ابريزنور) وشعر " برثولماوس" و سيرجيو سيجنولفو" و "يوجون فيزى" و "ويليام أميندوليا" وغيرهم من النبلاء بالأمان و الأستقرار وسط أرض صقلية، وتبين أن المائتي فارس كانت مجرد إنذار كاذب كالمعتاد، وكتب "سبيشيالي" أنهم

تحولوا إلى المعيشة الفاخرة وهربوا دون انتظار ما يأتي من ضربات.

وربما قد رأى المؤرخ حرمانهم من قائدهم وتدخل ولايات "مونتانير" فى الصراع الذى وقع بين "فيليب" و"فريدريك" ولكن من الواضح أن "سبيشالى" لم يخدع ملكه المجيد بانتصاره على أمير "تارانتو"، وبالتالى: فإن ذلك ليُعد من ضمن الخرافات التى ألفتها "مونتانير" تكريماً لأمراء "أنجيون".

كانت هزيمة كلا الجانبين من الجيشين فضلا عن إهدار أسلحتهم والتضحية بحياتهم هباءاً، حيث سعوا إلى التقاعد بحكمة من الأسطول، حجز أنفسهم الفرصة لبعض أكثر مواتاة التى منعت على أية حال من الأحوال من قبل القوات المنتصرة التى كانت تابعة لها وتحيطها والتى قامت بمطاردتهم والتغلب عليهم، وهذه حقيقة لا تنسى والتى عملت على إظهار روح الصقليين خلال المطاردة، وقاموا بضبط "جفليتو" والذى كان جندياً فى صفوفنا وكان من ضمن الهاربين التابعين لـ" سيلفاكوستا" وألقوا القبض عليه، وقد عرضوا عليه فديه تقدر بـألف أوقية من الذهب، فأجاب الجندى بأنها مزعجة حيث لا يُستهان بها، ولكنك خائن ويجب أن تهلك، وبهذه الكلمات قد ألزمته الصمت، وقد وجد جزء صغير من المجموعة الموجهه على متن الأسطول التى شهدت هذا الحدث واقتربوا من الشاطىء تحت غطاء الظلام لحمل كل ما يمكن الوصول إليه، لتبحر بعد ذلك إلى "نابولي" حاملة أخباراً وخيمة.

تسبب "فريديرك" فى عوده جيشه إلى أرض المعركة، وترك لكل واحد من المقاتلين كل ما قد تم الحصول إما عن طريق النهب أو الأسر، وحصل فقط على البارونات

الرئيسية، وتسبب في أن جراح الأمير قد تعافت بعناية، وأن يتم توفير المكان له، فقد ثبت له أن كل علامة شرف جاءت بسبب كل أسير حصل عليه، وقد دخل "ترابانى" بحلول الظلام، و أرسل بريداً سريعاً بهدف نقل المعلومات بسرعة قصوى في جميع أنحاء الجزيرة.

هذا ولا يزال الخطاب الذي قام بكتابته للمواطنين بمدينة "باليرمو" موجودًا، مُعلِنًا النصر، ويحثهم على الشروع في الصعود على متن القوارب الخاصة بهم، والانضمام إلى "جينوا" تحت إمرة " ايجيديو دوريا"، لثقل أسطول العدو الذي لم يعزز بعد، وقد قام بنفسه بتتبع هذه الرسالة، ودخل "باليرمو" كمظهر من مظاهر النصر بوجود جيشه وقطار الأسرى، مقابل خدمة المواطنين، وأكد على أنه يتم تقديمهم مرة أخرى لاستخدام الامتيازات التي تمنحها إمبراطورية "فريدريك" و "كونراد" و "مانفيرد" مع اعتبار الامتيازات لإلغاء وإصدار الأحكام، والمزايا التجارية وغيرها من أشياء أقل أهمية، وبعد ذلك استمر في مروره ببلدان أخرى في " فال دي مازارا" ليحيط نفسه بهالة من الانتصار، ويحمس السكان إلى بذل جهود جديدة من أجل بلادهم، وقد قال أنه سيودع الجزء الأكبر من الأسرى إلى سجون في القصر الملكي بـ "باليرمو" ، و " سانسيفيرنيو" وقصر " مونتي سان جيوليانوا" والباقين إلى أماكن أخرى، والأمير "فيليب" بنفس القلعة المحصنة بـ " كافالوا" والذي تم احتجازه هناك لمدة خمسة عشر سنة من ذي قبل.

وعلى صعيد نصر "فالكورنايا" ، فإن أكثر معركة ضارية هامة اندلعت خلال الحرب كانت من خلال "الفاسبر"، فقد استعاد "فريدريك" سمعته، ومعها قوته ونفوذه الذين

فقدهم قبل خمسة أشهر في "كابو دي أورلاندو". وعلم الدوك " روبرت" بالأخبار خلال تقدمه فى نصف الطريق تقريباً من خلال المسيرات المنساقه، لأخذ فريدريك في الخلف، وقد عاد فورًا إلى " كاتانيا"، وأينما ذهب إليه تلقَّي إشعاراً من مؤسسة تتبع للأمير "تارانتو" وفي تلك المناسبة جرى تجميع قادة الجنود في مجلس الشورى مع "روبرت" و "كاردينال غيراردو" وقد بدا الجميع في حالة من الابتهاج ما عدا "روجر لوريا" الذي يعتقد من سهولة طغيان "فريدريك" على الأمير، حيث دعا المجلس لاتباع مسيرة "صقلية" بأسرع وقت ممكن، من أجل السيطرة عليه إن صح القول، ولهذا السبب قامت القوات بإخلاء " كاتانيا" منقسمين إلى شقين، حيث عبر الشق الأول منتصف الجزيرة، والآخر أخذ الطريق الأطول على طول الساحل الجنوبي، ولكن هذا التخطيط قد باء بالفشل، فلم يرى تعويضات أخرى لطلب إمدادات وقوات من الجزيرة على البر الرئيسي، من أجل استكمال المسيرة بحلول فصل الربيع، ولهذا فقد قام "روجر لوريا" بجرأته المعتادة، باجتياز مضيق "ميسينا "بمفرده في سفينة صغيرة، لإجراء الاستعدادات اللازمة في " نابولي".

الأولى: تحذير الأمير من عدم الانحياز لأية فرصة، ولكن على ما يبدو أنه ينتظر فرصة مواتية لخوض معركة حكيمة وجريئة مع العدو، على الرغم من أن هذا التحذير الذي تم التنويه عنه في كرنفال عام(١٣٠٠) ولم يستطع " روبرت " مقاومة إغراء سيطرته على قلعة "جاجليانوا" مع وجود القليل من الصعوبات، وكان قد تم أسر أمير فرنسي يدعى "تشارلز موريليت" خلال المعركة، ليتم حكم القلعة من خلال أحد أتباع "فريدريك" من "كتالونيا" تحت اسم " مونتانير دي سوسا"، وقد بدا

الخطاب أكثر ليونة لسجينه على غير المعتاد خلال تلك الفترة، وتكلم معه لجذب انتباهه الى النقطة المرجوة، وقد تكلم بغموض، حيث أنه بدا خائفًا من أن يسمع، وطلب من المسجون أن يعده بالكتمان، وقال له بعد ذلك في صوت منخفض أن ضميره قد حثه على مثل ذلك العصيان الطويل لمحكمةٍ بروما، وللتخلص من هذا السبب الأثيم، الذي يأمل في فصله عن نفسه طوعًا، حتى في أخطر لحظات حياته، وقدمت الكنيسة خدمة كبيرة لتكفير خطاياه التى ارتكبها، وقال السجين الفرنسى أنه بالتأكيد -الآن-: روح الرب تسعى معكم وقد أعطتكم البصيرة، ولكن أخبرنى بحق الرب ما نوع التغيير الذى ستفعله؟ فى الوقت الذى وعدت "الكاتالونية" بعد ذلك بفتح أبواب القلعة المنيعة لـ"روبيرت" وصدَّقه الأسير بكل فرح ردًا على الدوك.

وقد وصل ثلاثمائة من الفرسان الفرنسيين إلى "كاتانيا" تحت إمرة الأمير " بريين" واثنان من النبلاء، الذَين كانا ملتزمين يميناً لمواجهة "بلاسكو الاجونا" و "وليام كالسيرنادوا"، فإما أن ينتصروا أو يموتوا في محاولة الانتصار، وبالتالي تحملوا تعيين فرسان الموت.

هذا ويبدو أن هذا القسم منهم قد تسبب في محاولة على أن يتم مساءلة "جاليانو" أمام محامين "روبيرت" وقد تباينت الآراء عند طرح الموضوع، فقد رأى البعض أنه يجب عدم ثقة المجلس في "الكتالونيين"، والعدو الفرنسي اللدود، وعلى كل حال فقد رأى آخرون -على نفس القدر من الكراهية- معلنين أنه لا يوجد هناك ما يقدمه "الكتالونيون" لاكتساب الثقة.

ذكر الكاردينال "غيركاسدوا" البقية بكلمات "روجر لوريا"، فردوا بأن الكاهن لا يملك مفاتيح تنظيم شئون

الحرب، واتهموا الكاردينال بالعناد، والأدميرال بالغيرة، وطالبوا أن يأتى "كاستيلو" بنفسه إلى "كاتانيا" للتصديق على الوعد الذى لم يرجع فضله إلى تأثير رسائل السجين، تجنب "مونتانير" الامتثال من خلال إحداث ذريعة مقبولة من أنه لا يستطيع مغادرة القلعة في وقت الحرب، وأرسل ابن شقيقه عوضًا عنه، وكان كلاهما على قدر كافٍ من الذكاء والالتزام، حيث اتفقا مع "روبرت" بكل مهارة لاقناعه بعدم ترك فرصة للشك.

كثيرًا ما كان يلاحظ روح التنافس ما بين النبلاء الحربيين في تسيير المؤسسات. فقد تمنى الجميع أن يعهد إليها، وكل واحد حاول أن يثبت جدارته بشغف كنوع من المطالبة، ولهذا لمنع الخلاف، أصدر " روبرت " مرسومًا يقتضي بأنه سوف يرأس البعثة بنفسه، وأنه يجب على الجميع المشاركة فيها، وأضاف بقوله " حتى أن كان جميع جيش "صقلية" بأكمله في انتظارنا، فيمكننا أن نتحمل الاستهزاء بهم." قام كلا من مقاطعة " والتر" و " برينيي" و "ليس" و " فاهنوت" و "جودفيري اوف ميلي" و "جيمس دي بروسون" و"جون دي جوينفيل" و "اوليفر دي بيرلين" و "روبرت كورنير" و " جون تولارد" و "والتر دي نوي" و "توماس بروسيدا" بتقديم أنفسهم في ظل وجود سلاح المشاه بوقت الفجر في قلعة "اورسينيو" لإحضار "روبرت". وقد أبقى هذا الشر بعيدًا عن زوجته، ولكن من حسن حظه أنه لم ينهض بعد من سريره عندما استدعاه المحاربين. ولهذا خمنت " يولاندا" السبب، من خلال التوسلات الحنونة من قبل "روبرت" لكشف الأمر برمته إليها. ومن ثم باح بأن الحملة ستكون فى وقت واحد وستكون مخزية. فحاولت أن تقنع زوجها بكلماتها

الحنونة والعطوفة أن لا يشارك فيها. هذا وقد تم استبدال مقاطعة "بيرين" لتصبح تحت قيادته.

وأتخذت طريقها إلى "جاليانو" مع جميع المقاتلين الشجعان و ثلاثة مائة حصان تحت قيادة أبن شقيق "مونتانير "، وتم إبلاغ " بلاسكو ألاجونا" من قبل آمر القلعة بأن كل خطوة أتخذها فى هذا الغدر المزدوج أبقى العديد من الجواسيس في حالة ترقب وأن العدو قد أرسل جيشاً ورطه فى كمين بالقرب من "جاليانو" مع " ويليام كالسيراندو" و الصقليين، كما تقدم الفرنسيين في ثقة وبسالة واعية بلا مبالاه، بعدما قطعوا ثلثي المسافة، وقد نشأ شك مفاجئ في ذهن "توماس برودا" مما دفع به إلى المقاطعة وتوسله بعدم توريط نفسه خلال حلكة الظلام ضمن تلال غبر معروفة وذكره بأنهم كانوا في بلد معادية. وعرض عليه التصدر لاستطلاع الحي المجاور الذي كان قد اجتازه في كثير من الأحيان خلال المطاردة، مع وجود اللورد "جاجيليانو" حيث نعته بالجبان، ورد عليه بقوله " مع وجود مثل هؤلاء بجانبي" " لأنى لا أخشى توحد الصقليين جميعًا" وخلال هذا الحديث اقتربوا من الكمين، وطلب منهم المرشد أن يقفوا، قائلاً بأنه قد يمضي قدمًا بمفرده إلى القلعة، خشية من الحامية أن تصبح على بينة من الخيانة، التي قد تودي بحياة "مونتانير" والإطاحة بخططه، ولهذا توقف الجيش، وقد ذهب الخائن متخفيًا إلى "بلاسكو".

كان "بلاسكو" ينظر إلى الأسلحة اللامعة لضباط خفر السواحل الذي كانوا يلوحوا بها في ضوء القمر، وقد نشر أتباعه كلا على حدة، ولكن طبيعته السخية لن تحول من هجوم على العدو بحلول الظلام من دون سابق إنذار مثل قاطع الطريق، ولهذا أمر بالنفخ في البوق وإعلاء

جملة " بلاسكو ألاجونا" بالقرب من الصفوف المعادية، وكان يوجد الكثير من الارتباك وسط صفوف الخائنين من خلال هذا الصوت، ولاذ بالفرار كل صقلي بينهم الذين رأوا مصيرهم أسوأ بكثير من ظروف السجن، وعاد "توماس بروسيدا" إلى المقاطعة حيث اتبع مستشاريه في اللحظة الأخيرة، بأنهم يجب أن يتراجعوا لمسافة قصيرة ليقودهم قبل بزوغ الفجر في سهل مفتوح بسرعة، حيث أن "الصقليين" ليس لديهم القدرة للمتابعة، فكانوا قادرين فقط على التعامل مع الحصان، ولكنها ميزة في حد ذاتها، فرد الأمير بـ "لا" لا يمكن أن يدير الفرسان الفرنسيين ظهوروهم للعدو، وقال "جودفيري من ميلي" " ما يمكن أن يكون أسوأ من الموت؟" " إن لاذ الجميع بالفرار" " وسوف أبقى بمفردي" "كيف لي أن أنسى الصراع الدامي بـ " كاتانزارو" حينما خدعتني عيناي وجلبت العار على عاتقي بأكثر مما يكفي بالنسبة لي ولعائلتي.

" لقد عشت بما فيه الكفاية بهذه الروح الجريئة التى أعدوها للصراع اليانس، وجعل المعركة على مساحة مرتفعة من الأرض، حيث تركهم "بلاسكو" بدون إزعاج حتى بزوغ الفجر، وقال إنه قسَّم المشاة إلى صفين على شكل شوكة من أجل إحاطة العدو بينهم، مستغلاً ميزة الأرض التي سوف تمنع الخيالة من المشاركة، مستغلاً أيضًا ضوء الشمس حيث من المفترض أن تصبح في عين العدو عندما تشرق وفي ظهر أتباعه في أقرب وقت في ضوء التهور الشديد نزل من الأرض المرتفعة للانخراط، من دون انتظار الهجوم وقبل أن تصل إلى صفوفنا تم التعامل معهم باستخدام وابل من الرماح والحجارة، معظمها استهدف الخيول، حيث لم يعتقد أنها قادرة على ثقب دروع الفرسان، ولكن لم تكن هناك

إصابات قليلة قبيل سقوط الخيالة، وقامت قوات "المجافيرى" بإحاطتهم بينما نجح الفرسان الشجعان فى إسقاط راية "كالسيراندو" وتجمع الجيش الصقلى تحت قياده "بلاسكو" الذى أخذ يحمسهم فى غضب وبدأت حشود كبيرة من المقاتلين بالتفرق، وبدأت المجزرة والهزيمة، وظلت مقاطعة "برين" وحيدة مع عدد قليل من التابعين، الذين صمدوا كالصخر وأخذ" بلاسكو" يدافع عن نفسه كالأسد، ورفض بحزم التخلي عن سيفه إلى أن يستسلموا له وحمل رايته بينما كان مضرجاً بالدماء والجروح داعياً ربه بالوقوف إلى جانبه قبل أن يقضى عليه، أو يتم أسره وألقى رايته فى الهواء حتى تقع على أرض المقاطعة وسل سيفه، وهرع به خلال صفوف الصقليين ولقيت أعداد كثيرة من العدو حتفهم وتم أسرعدد قليل منهم ولم يهرب أحد، وجاءت جيوش القلعة كالوحوش الكاسرة لذبح هؤلاء الخونة وفحص الجثث، واختار أمر القلعة من الجيش أسمى النبلاء وأعدهم، وفقًا لـ "سبيسيال" على نهج الوثنيين، من أجل استغلال تقوى ومودة أقاربهم، ولا يزال "موريليت" مقيدًا، وقام بضرب رأسه بجدران السجن، رافضًا الأكل والشراب وفي غضون أيام قليلة لقوا حتفهم، في حين قام "ويلي" بالتكفير عن ذنبه بطوعه، وتم ضرب المحاربين والموالين من الأعداء في حالة من الذعر، وبتحطيم كل ما تبقى من الجزيرة في حالة من الابتهاج بالنصر الثاني، الشئ الذي أضعف قوة "روبرت" ولذلك استمر "سبيسيال" و الصقليين كما هو المعتاد في رفع القمم مرة أخرى، ونسيان تقلب الحظ، والاعتزاز بذلك.

كما فشلت هزيمة " كابو أورلاندو" في حمل "فريديرك" من "كالابريا" ولكنه حصل على القليل من الامتيازات من خلال الانتصارين، وتعزى النتيجة في كلا الانتصارين إلى

الصعوبة المتمثلة في الحد من المدن وفقًا لقواعد الاستراتيجية كما تم فهمه من شرور المؤسسات الإقطاعية، التي نعيش فيها خلال هذه الأيام في ظل الشرور المنعكسه، التي يجب أن تكون حاضرة في الأذهان، من أجل فهم الأحداث المؤرخة، وقبل سقوط العدو كان هناك تفكك وحالة من الفوضى بين أنسجة الدولة، وقد تم تقسيم القوات المسلحة بين عدة مدن وأخذت كل مدينة تفكر فى تعزيز الجيش الملكى بدلاً من الدفاع عن نفسها، وبالتالي: كشفت أحداث الحرب نفسها ولكن ببطء ذلك أنه باستثناء بعض الجهد المفاجئ الذي لم يكن أكثر من ذي قبل وليس بدائم، وظل الأمير فى قيادته سوى نسبة صغيرة من مجموعة عسكرية من الدولة، وهذه الاعتبارات سوف تقلل من اندفاع "فريديرك" الواضح وتصميمه على تجديد النضال على البحر حتى بأعداد قليلة ضد العدو، لأنه فى البحر على الأقل سيتمكن من استخدام قواته بانسجام تام وبالتالي سيتجنب الارتباك الداخلي، على الرغم من أن نزول أمير "تارانتو" حمسً سكان " فال دي مازارا" وجعلهم فى منتهى السعادة وتجمعوا لمساعدة الملك مرة أخرى للتغلب على العدو و طرده من سفنهم و كسب معركة "فالكوناريا" حتى لم يعقدوا أى اجتماع غير رسمي يشمل المجهودات الحربية إلا في الحصار المرهق الشاق، فعادوا على الفور إلى ممارسة وظائفهم السلمية المعتادة، وهكذا عندما وقعت معركة "غاليانو" كان جيشها متعدد الأجناس، من الأسبان و الصقليين وعدد قليل من الإيطاليين الغيبلينيون، ومن خلال قراءتنا أنه كان هناك بين الـ" كوندوتييرو" (بمعنى زعيم المرتزقة) يوجد " فارناتا ديجلى آبرت" (وهو أرستقراطي إيطالى

والقائد العسكري)، وسعى العديد من "الكولانيين" في حطام ثرواتهم، بمساعدة "فريديرك".

وكانت مساعدة جنوده من " جنوة" بمساعة "دوريا" و" سبنولاس" ، "فولتاس" وزملائهم من المحامين الذين حكموا الجمهورية أكثر فاعلية و السفن المسلحة المدفوعة من صقلية، وبالتالى على الرغم من شجاعة قوات "فريديرك" إلا إنها كانت ضعيفة و تفتقر إلى المعونات.

لأن الأمة كانت قد أنهكت واستنفذت قواها خلال ثمانية عشر عاماً من الحرب، ومقيدة من الاحتلال الأجنبى وملتزمة بقوانين صارمة فيما يتعلق بمسألة تقديم الدعم لولى العهد، والتي كانت قد تضاءلت من خلال الامتيازات الممنوحة إلى المدن الرئيسية والجنود المسلحين التى تتمثل فى المكافأة من الخدمات المتميزة المقدمة خلال الحرب، ولكن إرادة الشعب الراسخة فى الحفاظ على حريتهم واستقلالهم زودت كل القصور بشكل لا يصدق كما قد يبدو ويكفي لأحداث توازن أمام قوة العدو.

وبنهاية قيادتهم استحوذوا على كل الأموال يمكن استخلاصها من مملكة "نابولي" وكل ما يمكن لمحكمة روما و"الغلبيين" ووسط إيطاليا أن تعاني من المجاعة.

. و كان لديهم قوات من إسبانيا وخاصة من فرنسا ودعت سلالة "أنجويون" فى "نابولى" إلى التحلى بروح الأم الحنونة سواء في أول خطر أو كل خطر متكرر، حينما كان هو أقرب لهزيمة " فالكونارية" وكتب "تشارلز" الثاني لـ "فيليب" فى الثامن من ديسمبر معلناً أنه اضطر إلى اللجوء إليه بصفته القائد والداعم لوطنه، وأفضل أمل له، وإذ تأكد من جديد توسلات أكثر جدية أنه

سوف يساعده من خلال إمداده بالقوات، وكان قد التمس طلبه بالفعل، وحث على أنه إذا كان ملك فرنسا قد انخرط فى حروب أخرى بالقرب من الوطن بعد أن كانت يديه قوية جدًا ووصلت بعيدًا، حتى إن استطاع مدها إلى أهله، وإرسال بعض أنواع المساعدات بسرعة كنوع من المساعدة الطفيفة.

ستصل قيمتها لقدر كبير كما فى السابق، ولكن إذا تأخر فإن ثروات الملك ستنخفض إلى حد كبير، التي من شأنها أن تكون كافية لاستردادهم بدون أى جهد، فأرسل آخر نسخة من هذه الرسالة فى الثالث من يناير كانون الثاني(١٣٠٠) مع اثنين من السفراء، وهو شقيق " فولفرانس" من الرهبان الوعظة و "بيتر بيليه". ولم ترفض فرنسا المساعدة المطلوبة مع إعادة فتح صقلية التى قد حاول فتحها للمرة الأخيرة، ولكن "بونيفاس"، مع سلطته البابوية ومواهبة العظيمة وروحه السامية المتهورة كان هو الأكثر دعماً، أو بالأحرى كان هو رئيس المؤسسة، وتداولت الأنباء أنه فى بداية عام (١٣٠٠) أن الملك "شارلز" سواء من الحزن على ابنه الأسير، أو من التعب والإرهاق قد استمع لسفراء تابعين لـ "فريدريك" فكتب له من باب العتاب قائلاً إنه لطالما عرف ثروته من قبل الهدنة المزعومة من "جايتا" والسلام المبرم مع "جيمس" فى(١٢٩٥) وبعثة أمير "تارانتو" المختلة وحماقتة التى قد تجلب له الدمار وحده وليس على كنيسة روما وكل الأقباط! فهل كان ذلك من الحكمة؟وهل كان ذلك تقديساً للبابوية الكاثوليكية ؟ وهل من الامتنان أن يظهر حالياً وقد أبرم السلام سراً مع "فريديرك"؟، لذلك رأى البابا نفسه تحت ضغط المعاتبة وعاجز عن ممارسة سيادته ولا يجرؤ على الحكم وعلى المفاوضة دون كتابة الأوامر بنفسه، وإذا كان عاصياً

فيجب أن يشعر بثقل تجريم الغير والدعاوى البابوية، والبابا الذى أنفق الكثير من المال والعمل على مخاوفه، بإمكانه أخيراً إبرام السلام مع "فريديرك" فى غير صالح محكمة "نابولى" من أجل عدم تأخر خلاص الأرض المقدسة.

. وهذه الكلمات المريرة كتبت فى التاسع من يناير، وأكدت بعد ذلك بفترة قصيرة وأنها تعمل على إثبات ما وراء الشك الذى كان ذات سيادة حقيقية في "نابولي" ذلك الوقت "تشارلز"، أو "بونيفاس" وسارع "تشارلز" فى التوسل إليه جنباً إلى جنب مع الأدميرال السابق لتبرئة نفسه حيث يطالبون العون من أجل إصلاح الصدمة التي لحقت بثرواتهم في معركة "فالكونا ريا"، ولكن لم يستطع البابا أن يلتمس هذا العفو ووبخهم بمرارة، ولكن في نفس الوقت تم منحهم مساعدات فعلية، واستدعي فرساناً من المعبد ومستشفى القديس يوحنا من "جيرو- سالم" لجلب جميع القوات التى كانت تتمركز في أوروبا الغربية لمساعدة "تشارلز" وأيضاً طالب بقوات من مدن الـ "غويلفيون" بإيطاليا، وأرسل رسائل متعددة إلى "روبيرت" يحثه فيها على بدء الحرب، وإلى الكاردينال "غيراردو" لتنظيم وإدارة كل شؤون الحزب، وأيضاً كتب فى إطراء وحزن فى نفس الوقت إلى الصقليين الذين وقفوا إلى جانب المجلس فى "أنجو". كما تم تقديم ملخص إلى الكاردينال " غيراردو" وحكم مدينة "لاتران" بحلول شهر فبراير.

يوضح المخطط الفعال الذى وضعه "بونيفاس" من أجل توجيه قوى نصف أوروبا ضد الجزيرة التي لا تقهر، واختتم مشيراً إلى غيرها من الممارسات التى رأى أنه من الأفضل أن تمر فى صمت، ومن ثَم فمن الممكن أن

تكون أقل مصداقية من تلك التي سجلت، وأنه من الصحيح أن "اليوبيل" قد أعلنت فى هذا الوقت إنها ساعدت بشكل فعال فى جهود محكمة روما ضد صقلية، وكان "بونيفاس" هو أول من ينشىء ذلك وتم تأكيده من قبل مرسوم البابوية للعادات القديمة والاحتفال ببدء قرن جديد من الشعائر الدينية الغير عادية مغلقاً ضد خصومه السياسيين تلك الكنوز من التسهيلات التى أُغدقت على جميع شعوب "كريستي" وحجب بالأخص الذين يؤيدون الكفار أو يؤيدون" فريديريك" أو إعطاء حق اللجوء إلى الكلونيين المنفيين، نجح في جذب ما يقرب من مليونين من الغرباء إلى روما في غضون فترة قصيرة، والذي جاؤوا من أجل العفو الذى يمكن الحصول عليه أثرياء المدينة وتوابعها من خلال نفقاتهم، وإنفاق أكبر قدر من الصدقات للخزانة الرسولية، والتى كانت وفيرة جدا من خلال عمل اثنين من رجال الكنيسة الدائم في مصلى "سان "باولو" فى جمع المشط المالية النائية عند سفح المذبح من قبل المؤمنين.

وبالتالى كان البابا قادراً على تقديم مبالغ كبيرة إلى الملك "تشارلز"، تحت اسم المعونات، والآن بموجب ذلك للقرض الذي جاء،

وفي الواقع إلى نفس الشيء نظرا لعدم احتمال السداد، وآخرين كانوا مقدمين من "فلورنسا"، "لوكا"، ومدن أخرى، ناهيك عن

القروض المتعاقدة مع "تشارلز" من قبل التجار الأجانب، ومن رعاياه الخاصة حتى في المدن التي احتلت في صقلية،والنوايا الحسنة التى ناشد بها شعبه كما هو الحال بالنسبة لأساقفة وحكام " بروفانس".

وعندما علم أنه تم القبض على ابنه عرضوا عليه المساعدة، وفى المقابل طلب منهم المال والمدرعات والسفن، ومن خلال تلك الوسائل تمكن من تجميع نفقات الحرب، والتي أصبحت باهظة أكثر من أي وقت مضى نظرا للإمدادات الثابتة من المال المرسل للجيش الصقلى، حيث إنه كان هناك قلة فى المعدات، وكان هناك مقاومة عنيدة من الشعب، ولم يترك مجال للعدو أن يمتلك شبراً واحداً من الأراضي المحتلة، وخصص أيضا اهتماما كبيراً لتعزيز الجيش، الذى كان ينخفض عدده باستمرار إما عن طريق معارك ضارية، أو من قِبل تقلبات حرب العصابات في كثير من الأحيان، وكانت القوات المرتزقة تتخلى عن معاييرها، وتفسح المجال في المواجهه الأولى، وهذا حتى اضطرت "تشارلز" لاستثمار " روجر لوريا " مع سلطة غير محدودة لمعاقبتهم شخصياً أو في ممتلكاتهم الخاصة وأيضا سعى في كل مكان لشراء الـ" كوندوتييرو" وأغراهم بوعود رائعة ومبالغ طائلة، وتقدم بطلب لـ" تشارلز" من "فالوا" و "روبيرت" من "ارتواز" وعلاوة على ذلك: حصل على قوات من إسبانيا من خلال وكالة "روجر لوريا"، ولم يكتفى بتجنيدهم فقط، بل قدم راتب لهم، في حالة الفشل الجزئى للملك، و أرسلت له "فلورنسا" مائتان حصان ومن بين قادته نجد "توماس" من "بروسيدا" مقاطعة " فلاندرز" و "دلفين" من "فيين" و "هينرى غريمالدى" و العديد من قادة المرتزقة من "العصابات المرتزقة" التى كانت تنتشر كالوباء فى إيطاليا وتعرضت للتعذيب لعدة قرون بعد ذلك، وفي "كالابريا" تسلح الملك "تشارلز" لإسترداد الأراضى المحتلة من قبل "فريديرك" مع مساعدة الميليشيات الإقطاعية، جنبا إلى جنب مع بعض القوات القليلة التي تم جمعها وبعضاً من جنود "

المجافرى" الذين قد نهب منهم قانونهم الوحيد وجميع أموالهم، وكانت الجنود المرتزقة التى بعثها إلى صقلية منضبطة، وكانت آماله تزداد بهم بزيادة حجم رواتبهم، ولكن حتى هم أخذلوه كما هو الحال في أغلب الأحيان مع الجنود المستأجرين، وقد تم تقديم أحصنة من "توسكان" لأربعمائة جندي تحت قيادة "رانييرى بونديلمونت" ووقفوا معاً ضد "سلاسكو الاجونا" الذى اشتهر جداً بين قادة "فريديرك" وتوجهت "روجر لوريا" مع الأسطول إلى "فال ديمون" ومن هناك اتجهوا إلى "كاتانيا" مروراً بالأسوار التى أغلقتها قوات "الأنجيون" لحماية أنفسهم واجتازوا الشوارع والساحات يستفسرون حيث كان من المقرر أن يجدوا "بلاسكو" هناك، وقال "سبيسيال" أنه عندما حصلوا - على الفور - على المزيد من المعلومات الدقيقة المتعلقة به وبأتباعه، توقفوا عن استفساراتهم على الفور مما يدل على شجاعتهم فى الحديث دون الفعل حيث سخر منهم كلاً من الحلفاء والأعداء، وذهبوا بسرعة للحصول على تعزيزات للجيش والأسطول، وأيضا لحرمان "فريدريك" من المساعدة التى تلقاها سراً فى هذا الربع من المنطقة واستأنفت "أنجيون" جهودها للتغلب على "جيمس" وأتباعه، وكان "تشارلز" قد منح "كاتانيا" و "الأراغونيون" (جنود من إسبانيا) وبعض أتباع "جيمس" الذي كان قد حارب معه في صقلية، على متن الأسطول وهاجر سكان بلدة "أجوستا" ومدينة "باتى" خلال تقلبات الحرب القاسية، وتخلوا عنهم فى نفس الوقت وكل أتباع هذه البلدات، مع نفس الامتيازات التي كانت تتمتع من قِبل المستعمرين (البروفنساليين) في مملكة "نابولي"، و الحصانات الأخرى في السلطة التقديرية للأميرال. وبالاضافة الى هذه الحوافز التى كانت كبيرة جداً بالنسبة للبحارة نظراً لملائمة هذه الموانئ

وأهمية المستعمرات، كونه ليبرالي تجاه التنازلات الإقطاعية للقادة الأسبان.

بدأ البابا مرة أخرى بأستدعاء "جيمس" سواء من خلال الكاردينال"غيراردو" ذو السمعة القوية أو غيره من الرسل وعلى الفور كتب له فى نبرة من المودة والحزم فى نفس الوقت وعاتبه لرحيله بعد معركة "كابو دي أورلاندو" والفضيحة والشكوك التى نجمت عن رحيله وحثة على القضاء عليها من خلال تذكيرة بالعقوبات الصارمة التى ستلحق به وجميع رعاياه كما كانوا يقاتلون تحت رايات "فريدريك" وذلك بمنع البقية من دخول خدمته. ومن ناحية أخرى، من خلال التشجيع على تسليح الرجال والسفن لخدمة الكنيسة. وكوسيط أكثر فعال منحه " بونيفاس" الكنيسة لمدة عامين كاملين. بينما في نفس الوقت، قدم" شارلز" مظاهرة ليتم تسديد نفقات البعثة الماضية له، من خلال الاستثمار في الإيرادات التي تنتج عائداً سريعاً وثابتاً في مقاطعات"بروفانس" و"فوركالكوير" وهو عبارة عن ألفين من الأوقيات كل عام، والتي كانت قد وعدت ملك " أراغون" بها من خلال عمليات الاستحواذ المأمولة فى صقلية، ولكن سواء لتجنب خزي جديد من خلال معرفة قيمة الوعود المماثلة أو أيٍ كان غيره من الأسباب الغامضة التى تتعلق بالسجلات المعاصرة، وأن "جيمس" لن يكون له دور فى هذه المسألة فأجاب البابا أنه يفعل ما يكفي بالفعل، وأنها تقتصرعلى تجديد لتحديد أشكال الحظر بالنسبة لنقباء الكاتالونية لخدمة "فريديرك"، والمعاناة في التسلح والذهاب في الموانئ الخاصة به إلى "أنجيون"، والتي بعد ذلك انتصرت فى معركة "بنزا" عن طريق هذه المعونات، وقد رأينا بالفعل ما اتجهت إليه المصالح السياسية لتوحيد "جنوة" و"صقلية" طوال

فترة الحرب، وما المساعدة التى استمدها "فريديرك" من الجمهورية، وقد تم مساعدته من قبل "الغيبلينيين" ، أو كما كانوا يسمَون أيضا بـ "رامبينى" الذين كانوا في ذلك الوقت في السلطة في "جنوة"، وكان الماسكاراتى أو الغويلف وهو من ضمن رؤساء البيوت القديمة النبيلة فى "فيشي" و"غريمالدي" وفى عام(١٢٩٢) قدم محاولة دون جدوى لدفع الجمهورية للتحالف مع "أنجيون" ولا يزال الشعور باليأس من قوة السلاح بحلول نهاية عام(١٢٩٥) أو بدء الإجراءات العام التالى، بعد تلويث بلادهم التعيسة بالدم والنار والهزيمة والطرد، وقد هربوا إلى مدينة "موناكو" ليحصنوا أنفسهم من خلال محاولات يائسة عند مدينة "جنوة" أو تسليح أنفسهم لتقديم بعض المساعدات البحرية للملك " تشارلز" الذى ساعدهم عن طريق بلدانه في "بيدمونت" و "بروفانس" ولكن لم يجرؤا على فعل شىء ضد الجمهورية، و على الرغم من قلق "الغيبلينيين" لاستعادة أغلبية مصالحهم، وقد غضبوا من المعونات التى تم منحها لصقلية، ولكن في عام(١٣٠٠) كان البابا "بونيفاس" الأقل حذراً خلال مؤامرته التى استغرق فيها بعض الوقت، وكان قد طلب من "جيمس" من "أراغون" بتحويل ولاء الجمهورية لصالح "فريديرك"، وحاول أن يتكلم بلطف مع سفراء "جنوة" وأبهرهم بالوعود وطلب أخيراً تعاون "فيليب" العادل تحت تهديد منع " الجنوانيين" من جميع الاتصالات التجارية مع فرنسا.

وأخيراً فى ذكرى العشاء الأخير فى السابع من أبريل وفي حضور عدد لا يحصى من المؤمنين، الذين ينجذبون إلى منزله من قبل اليوبيل، وقد أعلن أنه حكم على "أوبيرتو" و " كونراد دوريا" و " كونراد سبينولا"

وأسرهم وحلفائهم ومدينة وإقليم "جنوة" بالطرد مع اعتياد الشرط إذ أنه قبل عيد الصعود سيتم سحب جميع المساعدات من الصقليين المتمردين، وسيتكبدون هذه الخسائر، وإلى جانب تلك العقوبات الروحية، سلب جميع الأراضى التي كانت في حوزتهم من الكنيسة، وستؤول ممتلكاتهم إلى المالك الأول، وسوف يكونون تحت تصرف - باستثناء إلحاق الموت أو التشويه لأى من يختاروه لأنفسهم أن يمتلكوهم_ وتحت تهديد أن تضعهم الكنيسة تحت الحظر فترددت "جنوة" وتم إرسالها إلى خطباء البابا وبدأت المفاوضات مع الملك "تشارلز" وتابع "بونيفاس" مصلحته عن طريق ملوك أراغون وفرنسا وراسَل " الجنوانيين" وأخذ يهددهم بغضب السماء وما سيترتب عليه من كارثة زمنية، ووعدهم أنه ستحل عليهم البركة والازدهار فى حالة الطاعة، ولنفس الغرض الذي يجمع بين قضيتي "بورشيتو سبينولا" ورئيس أساقفة "جنوة" وهو رجل ذو سمعة حسنة للتقوى والعقيدة الذى- مع ذلك - كان قد تعرض للإهانة العام الفائت، في بداية الصوم الكبير خلال حفل إعطاء الرماد إلى الأساقفة، بدلا من الصيغة المعتادة عندما قال له البابا على النحو التالى :" تذكر أنك حثالة "الغيبلينيين"وأنك من دونهم لكنت غباراً! وفي نفس الوقت كان يرمى الرماد في وجهه، وقبل أن تظهرعاطفتة -وهى طبيعة البشر فى أغلب الأحيان - ارتجف وأفسح المجال نتيجة لهذا التعامل العنيف الذى كان جزءاً من "بونيفاس"، وأنه فى منتصف نيسان(١٣٠٠) بدأت "جنوة" فى المراسلات مع "تشارلز" أولاً بصيغة المراسلة بين الأصدقاء وبعد ذلك، من خلال سفيرين من الملك وكان مجموع ذلك المفاوضات هو التالى: أنه ينبغي أن يسعى الملك لتدبير استسلام

"موناكو" من خلال حرمانها من جميع المساعدات من "نيس" و "بروفانس" وفي الوقت نفسه يجب أن يأخذ كلاً من قلاع "توربيا" و " سانت أجنيز" كرهائن، وترد إليهم أمام استسلام "موناكو" وأن"جنوة" التي تشكل عليه مسألة الدولة، ينبغي استدعاء كونراد " دوريا" وجميع مقاتلي "جنوة" تحت إمرة "فريديدرك" ويجب منع كل تسليح جديد في صالحه، والسماح لهم في ذلك لصالح الملك "تشارلز" بعد أن بدأت المفاوضات للمرة الأولى، ومع ذلك بدأت "جنوة" فى أن تكون صارمة، حيث طالبوا الملك بإعطاء "إيسا" موقعاً قوياً فوق صخرة أعلى البحر بدلاً من "سانت أجنيس"، وعلى أية حال من الأحوال يجب إضافة برج "ألبيجيو" وأن نائب الملك بولاية "نيس" ووكيل الحاكم الإقطاعي بولاية "بروفانس" أشار إلى ضرورة الموافقة من قبل "الجنوانيين"، وبعد فترة وجيزة لا يجب أن تتخلى "جنوة" عن الرهائن لاسترداد القلاع، ولكن التزام " نيكولو" و "البرتازوا سبنولا" و " نيكولوسو" و"فريدريك دوريا" بتقديم المزيد مقابل التنازل من جانب الجمهورية، باستثناء استعادة المنفيين في ممتلكاتهم، وإعادة قبولهم بالمدينة باستثناء "غريمالدي" وعدد قليل من الآخرين، فإت الملك "تشارلز" بحاجة للشعب أكثر من حاجتهم إليه، قد تابع هذه الظروف بالرغم من وساطة البابا لديه، ولكن حتى في هذه الظروف: لم تنجح المعاهدة، حيث تصِّر "جنوة" على استسلام "موناكو" بدون تأمين احتلال القلعة.

ويذكر الآن اللجوء إلى ذرائع أخرى للتأخير، حيث أنه من الواضح أن جهود رؤساء أحزاب "الغيبلينيين" منهم أنصار الملك "تشارلز" وأنصار البابا لم تكفي للمماطلة من الهروب من الآثار المادية للحرمان الكنسي، ويُفضل

تأجيل وإعادة اكتسابها من "موناكو" بإعادة قبول " الغريمالدي" في المدينة وتجميعهم بشكل وثيق مع الملك "تشارلز" لإحياء حزب "الغيليين" في الجمهورية الذين تم سلبهم جميع المعونات من " بروفانس"، وتم تجهيز القوات هناك ضدهم.

وقدأرسل البابا رسله السريين هباءاً لأن "تشارلز" كان يزيد من عدد خطبائه فى كل عقبة جديدة، وإذا كان سبب فشلهم هو تقصيرهم وليس حصافة وقوة "جنوة" المتفوقة، وقد سخطت "بونيفاس" على الاعتراض خلال شهر نوفمبر: ففي العام التالي قام بالتظاهر مع جيوش " فالوا" الذي تولى تصاميمه بأقل من آثار استستلام "موناكو" ووعد بامتيازات واسعة لتجارة الذرة في كل من البر الرئيسي للمملكة، وصقلية في حالة استعادتها، والذي نجح بمساعدة التجار في التغلب على كل عقبة، وبذلك يكون قد استطاع أن يكسب الشعب في صفه، وكان من السهل على البابا حرمان "فريدريك" من جميع المساعدات المقدمة من الأفراد، بشرط قسمُه على ذلك أمام قضاة "جنوة" ، واكتسب أنصاره من خلال تهديدات الحرمان الكنسي، بينما تم تنفيذ هذه الممارسات من قبل "انجيون" من أجل تضاؤل قوة العدو وزيادة المساعدات الخارجية وعملوا جاهدين وبحماسة لإنشاء حزب لهم فى صقلية، واستمرار الوعود المغرية للأمة التى عقدت فى العام الماضى دون نجاح يذكر، ودعمهم بمساعدات أكثر فعالية من الوعود والصفح ومنح الليبرالية للرجال أو المدن.

وقد أكد على الامتيازات الممنوحة لسكان "كاتانيا" بوقت قصير قبيل تعيين "روبرت" نائبًا له على مدينة "سان ماكرو" التي يجب أن تكون تحت الولاية القضائية

الملكية كجزء من النفوذ الملكي، الشيء الذي يُعد شرفًا عظيمًا هذه الأيام، وقد تم وعد "كامارتا" بنفس الوعود حيث صرحت سفارة "انجيفن" بأنها سوف تتخلى عن العودة إلى ولائها، كما تُشجع شعب "ناسو" الذى تقاسم هذه النزعة من خلال رشوة الإعفاء لمدة خمس سنوات من المجموعات مثل الإعفاء من جميع المستحقات المالية التى تم منحها لمدة عشر سنوات فى البداية، وبعد ذلك لمدة خمسة عشرة عاماً لسكان "ليباري" وفي "كالابريا" تم توظيف نفس الفنون للمدن التي وقفت إلى جانب الصقليين.

وبالنسبة لـ"جيراسى" تم منح العفو لـ "أمانتيا" أو أياً كان ما ينبغي الاتفاق عليه من خلال "غودفرى سكافيلو" وكان من أكبر المتمسكين بالملك، وبالنسبة لـ " تروبيا" فلاتزال تعتبر من أكثر الأماكن أهمية لإعفائها من مختلف الأعباء لمدة ست سنوات، وتمتلك السلطة الكاملة على الأشخاص وممتلكات جنود الحامية الصقليين، حيث ذهبت وعوده بأخذهم للعمل فى "نابولى" أدراج الرياح بسبب الخيانة، وتناثرت رسوم مماثلة بين المهتدين الجدد فى قضية "أنجيون" للنبلاء الأرستقراطيين، وتأكيد ممتلكاتهم الإقطاعية، لتلك الطبقات المتوسطة والعفو عن جرائمهم و أمن ممتلكاتهم لاستعادة كرامتهم كما تقول الدبلومات، ولا تزال الطريقة التى تعامل بها "تشارلز" مع هؤلاء الخونة فى "كاتانيا" وفى مدن هامة أخرى هى الأكثر ليبرالية مصدقاَ على جميع الامتيازات الإقطاعية التى أدلى بها "روبرت" وأضاف إضافة جديدة، جنباً إلى جنب مع مكاتب والتر دي بانتاليون فى "كاتانيا" وأخذ "بيسكارى" لقب الفروسية المخول إليه، وكانت المكافآت الملكية التى تمطر على " فيرجيليو سكورديا" لا تنتهى،

وعلاوة على ذلك أخذ منصب نقيب مدينة "كاتانيا" و قائد القلعة.

وهذا التفضيل يُظهر كيف أثبتت مؤسسة إعادة فتح صقلية أنها مضنية، حينما لم يكتفوا بتفوق قواتهم العظيم، فقد لجأ العدو لشراء مثل تلك الخدمات من الخونة، والتى لم تكفى التربة من كثرة ثواب الأعمال الصالحة أو الشريرة، وأصبح من الضروري تحمل جميع التوقعات، وتم منحهم القيمة بحد أقصى لمدة عام للاستثمار فى الأراضي الإقطاعية إلى حين عودتهم إلى السلطة، وتم منح بعض الهدايا الرمزية للمزارع من قبل بارونات "فريديرك" وكانت هذه الوسائل الوفيرة من الفساد موثقة، وكان "روبيرت" يفعل المثل، وبالنسبة للأدميرال فكانت تنهال عليه الثروة و الشرف والسلطة التى كانت لا تقل عن سلطة الأمير، و المنح الاتحادية التى لا تعد ولا تحصى، والعديد من القوارب مع لقب المقاطعة، وبعد ذلك تحدَّث الملك "تشارلز" عن نفسه بأنه موثوق من قبله كما لو كان عضواً فى جسده، وبين مزاياه العديدة وضح له في استهزاء، نقاء عقيدته الناصعة وتسليحه بسلطة ليست أدنى من النائب "روبيرت" ومنحه سلطة قيادة الأسطول في أية حملة حربية لتحويل الديون والجرائم والعقوبات على حد سواء في حالة المدن والأفراد، ومنح أي شروط تبدو جيدة له من أجل تذكيره بولائهم الذى يصدقه الملك دائماً، وبالتالى: حصلت "لوريا" من محكمة "نابولى " قوة لا حدود لها، والتى كانت تطمح إليها صقلية ولكن دون جدوى، وقد خيب آمال كلاً الاثنين اللذين أرادا الإرادة واللذين أرادا السلطة.

ولو عدنا قليلاً للوراء لتقفِى أحداث تلك الحرب، سنجد أنه لا يوجد أى إنجاز آخر لأحداث مهمة جرت في صقلية قبل انتهاء ربيع عام(١٣٠٠) و في "كالابريا" أبرم المقاتلين هدنة على مسؤليتهم الخاصة ضد موافقة حكومة "أنجيون" إذا نجحت فى استعادة عدد قليل من القرى ومعالجتها ، وكذلك فعلوا عن طريق شراء استسلامهم من الحامية أو عن طريق المفاوضة مع المواطنين، وفي الوقت نفسه بالمساعدة المذكورة أعلاه تم تعزيز جيش صقلية وتجهيز الأسطول في حين كان الصقليون يثقون فى سفنهم فقط :ألقى "سبيشيال" اللوم عليهم لخروجهم من الحرب والعودة إلى أدراجهم فى ساعة الشر من أجل الحصول على ميدان أكثر بعداً وتم تشجيعهم على القيام بذلك عن طريق "بيريجرين" من "باتي" وهو بطل جسر " بريندیزي" فزودهم بعدد قليل من السفن مع محركات الحرب، وواجهوا بها اثنى عشر من سفن "أبيولن" كانت تقوم بمهاجمتهم وطاردوهم تحت أسوار " كاتانيا" على مرأى من روبرت، الذى أهان -حتى المدينة- وحرمها من محركاته بعد أن تم تسليح سبعة وعشرين من السفن فى موانينا وخمسة آخرين مقدمين من " الغيبلينيين" من "جنوة"، " جون كيارامونتي"، "بال ميرو أباتي"، " أريغو دلنكيسا"، " "بيريجرين" من "باتي"، " سيننكاسا دى ايوستازيو" و "روجر مارتينو"، والعديد من أتباع نبلاء صقلية شرعوا على متن سفنهم وكلف الـ"جنوانيين " و " كونراد دوريا" بالقيادة العليا وأبحروا على طول الساحل فى فساد ونهب، في حين كانت "نابولى" و " روجر لوريا" يعدون تجهيز حوالى أربعين من السفن "النابولية" و "الإسبانية".

يا لها من *آثار* تلك التي قد تنتج في بعض من الأحيان من العبقرية المبالغ فيها من القله، أو أيضا من قبل شخص يشبع

ملذاته بوفره، و في بعض الأحيان ومن حسن حظ بعض الأشخاص فإن مبادءهم ومعتقداتهم تتأثر وبشكل كبير بالظروف المحيطة بهم، حتي هولاء الذين يتميزون باعتدال فطري فقط ، ربما يرسمون بأنفسهم انجازات رائعة و بدون مساعدة من قبل سلطة العقل الحاكم.

هذا الأخير يبدو لي أنها كانت الحال مع ثورة جماعة(**صلاة المساء**)؛ لأنه وبوضع تلك الخرافات المتعلقة ب(**جون بروسيدا**) جانبا ستجعلهم علي أفضل تقدير التخلي عن بطلهم في بداية الثورة، لكن لم يتاثر الكثيرون من تلك الإفاقه مما عجَّل بظهوره علي مسرح الأحداث حتى الحصار الأول لميسيينا؛ حيث من المحتمل ان يكون ذلك هو الخلل الكبير الذي كان سبباً في فشل الجمهورية.

في (**ميسيينا**)، (**الايمو لينتيني**) اكتسب شهرة أبدية، حيث يجب أن نُرجع هرب الصقليين إلي استعباد وقهر قوات(تشارلز).

(**بيتير اراجون وروجير لوريا**) فد تسببا في خراب (**الايمو**) ولكن في نفس الوقت اقنعوا سكان الجزر بالحرب وجعلوا الانحاد القوي بين الإسبان والصقليين يخدم غاية نبيلة وهي دحر العدو في صقلية، و إنهاك قواهم في إسبانيا حيث أعطاهم هذا قوةً للاستمرار في العمل، وجمع أكبر عدد من الرجال ذوى المهاره الحربية لينجزوا المهمه التي كانوا قد بدأوها من قبل .

تلك كانت هى العوامل التي حافظت ل**جيمس** على التاج فوق رأسه بفخر وأمان؛ و جعلِ (**فريدريك**) على العرش في حال تخلي(**جيمس**) عن قضية الثورة.

ذلك أكسبهم قوة بالنسبة إلى ما واجهوه من أخطار من قبل على طول المواجهة مع نصف قوات أوروبا، في البداية عندما أتي الإسبان لمساعدتهم: أظهروا نيتهم متابعه الاهتمامات المشتركة بين الحليفين، وهي مشاركة موجودة منذ قديم الأزل بين الدول لإظهار الصداقات الدولية كما تجب أن تكون، ولكن ما هذا إلا حلم مثالي .

اهتمام كهذا و بإ لحاح من قبل مستشار مخضرم لن يفشل أبدا بإقناعهم وإخضاعهم لوجهة نظره بإرادة كلٍ من الملك والشعب.

التمجيد في(**فريدريك**) كملك قادم سواء إن نحن تطلعنا إلية كتأكيد و كاستمرار للثورة، في رأيٍ كان الأكثر مجداً منذ اندلاع الشرارة الأولى، ولم يتم الإتيان به بواسطة الظروف الغير متوقعة، ولا بسبب اليأس الشديد لعدم وجود أية مساندة من(**جيمس**)، لكن بواسطة الشجاعة الأدبية، ودهاءٍ سياسيى، و بدون تخريبٍ أو سفك دماء، و في إجماع كبير وبكل عظمة' التصميم الوطني تم تخطيط وحل وإعدام القوي المعارضه بالرغم من تفوقها بالإضعاف.

عدد من رجال الدولة ورجال حرب وخطباء فصحاء ومواطنين شرفاء ازدهروا كثيراً في عهد الملك(**جيمس**) وأوائل عهد (**فريدريك**)، ومن الواضح التأثير الظاهر لحركة عام(١٢٨٢) وبالتالي: فإنه لم تتميز شخصية (**فريدريك**) بأية صفات استثنائية كتلك الروح التي يتمتع بها الشعب الصقلي عندما ساندوه بقوة ليتمكن من المقاومة و إحباط آخر محاولة للحلفاء في النهاية.

(**تشارلز انجو**) كان علي رأس نظامٍ ضعيفٍ، وفي مستهل غزو(**مانفريد**) الشجاع حاكم المملكتين، و بعد مُضِى وقتٍ - ليس بالطويل - تم تدمير وتشتيت القوات (

الغيبلينية) التي ُجمعت بعد ذلك من قِبل**(الكونراد)**، ولكن لم يستطع بعد ذلك هو وأسلافه قيادة الحرب بسبب ازدياد حجمها، حيث ُمكَّن لهم ذلك - بعد جهود مضنية - بالتأثير علي صقلية وإخضاعها لهم منفردة.

خلال عشرين سنة حقق الصقليون أربع انتصارات في البحر، وثلاث معارك ضارية علي الأرض، وقد نجحوا في بعض الاشتباكات الصغيره علي الصعيدين، فقد أسروا واحتلوا عدداً من الحصون، واحتلوا كلاً من جزيرتي : **(كاليبريا، وفال دي كراتي)** تصدوا لثلاث جيوش معادية من صقلية ُورفع الحصار عن **(ميسينيا)** مرتين وكذلك مرتين عن **(سيراكوس)** مع عدم ذكر أماكن أخرى لقلة أهميتها.

هذه السلسلة من الانتصارات قد انقطعت - فقط - لتراجُعيين بحريين، وثلاث سنوات من غزوٍ شرس علي الجزيرة، وخلال ذلك لم يستطع العدو الحصول علي أية فرصة في ميدان المعركة، وكل المدن التي سقطت ُأحتلت إما عن طريق تسوية أو خيانة.

المكائد و التباهي بالمهارة الحربية المبالغ فيها كانت السبب وراء تلك الكوارث، وأيضا نفوذ الملك **(جيمس)** و**(روجير لوريا)** والمغامرين الإسبان.

لكن عندما اقتنع الصقليين - ولو لمرة - بجنون إمكان مواصلة الحرب البحرية، بدون أدميرال بحري ابتسم لهم الحظ مرة أخرى علي الأرض، حيث انقسمت وتشتتت القوات الفرنسية والإيطالية الغير منظمة في حرب عصابية لنيل صقلية، وفي خضم ذلك الصراع الطويل نشأت مملكة **(نابلس)** والتي كانت تتميز بتعداد سكاني كبير، وكانت غير قادرة على إخضاع العديد من سكان الجزيرة لها، وعلي الرغم من ذلك - وبالإضافة إلي ما تملكه المملكه من رؤوس

أموال وقوات - تبدد ذلك كلة أمام العشائر الكنسية الصقلية بكل أنحاء أوروبا، والهدوء والاستقرار التي كانت تنعم به مدن (الجويلف) في إيطاليا، قروض بلاط روما التي كانت تصل إلي أكثر من ثلاثمائة ألف أونصة من الذهب (**الذي تم تحويله من البابا إلي روبرت في حفل تتويجه بالباباوية وفقاً لرواية فيلاني**)، الذي كان على أية حال غير كاف، والذي اعتقدت **فرنسا وأراجون** أنه تم تزويد القوات من خلاله، ودائماً من قبل إيطاليا التعيسة؛ حيث اعتقد بأن روما قامت بإفراغ كل ما في جعبتها من لعنات في عصر- ليس فقط - متشدد دينيا، بل وإنما يؤمن بالخرافات أيضا، حيث استنفذت روما باتجاه صقلية: كل فنون بلاطها في وقت واحد، و ببراعة وذكاء واعتياد على تنسيق العلاقات السياسيه بين كافة الدول المسيحية.

لا زالت الجزيره بدون أية مساعدة من أحد مع وجود أموال وقوات إسبانية – فقط - لفترة قصيرة و بمساعدة قلة من المغامرين الكتالونيون وغيبلينى جينوه -فقط - تحملوا مشقة الحرب بحماس ثابت لاينضب، ومع اقتراب نهايتها - منتصرين- تم تأمين غايتها المجيدة.

كم كانوا شجعان هؤلاء الصقليين الأوائل في القرن الثالث عشر، أفعالهم كانت عظيمة، واستعادوا استقلالهم كأمة، وكرامتهم كرجال، وأصبحوا مثالاً يُحتذي بة من الأسكتلند يين، وسكان فلاندرز، وسويسرا وكل من كان علي هذه الحال في تلك الفترة من الزمن، وقُطع دابر الهيمنة الأجنبية.

اذا وجَّهنا انتباهنا الآن إلى الإصلاح الداخلي سوف لانجد أى سبب يدعونا للإعجاب، ولكن صراعات الناس من أجل الحريهة صارت بسبب طبيعتهم الزائلة، إلا إذا تم دمجهم في نظام حكومى اعتيادى، وإقصاء هؤلاء الرجال المتآمريين، فأولأئك هم الذين سعوا لتدمير كل ما حارب من اجله الصقليون.

كانت تسن القوانين وفقاً لرغبات واهتمامات الحزب الحاكم المسيطر على مقاليد الأمور حيث ما كان من الصقليين إلا إملاء قواعد المساواة بغيرهم لتحقيق مصالح البارونات والشعب وكذلك(**الملوك الاراجونيون**) الذين يدينون بالتاج لكليهما.

دستور(**ويليام الراعي**) كان من اكثر الدساتير التي أُصدرت ليبراليةً وتحرراً، إن سلطة إعلان حالة الحرب أو السلام مع قليل من القيود فيما يخص التشريع وسن القوانين، كان ذلك راسخاً في البرلمان حيث تم إعلان موعد انعقاد جلساتهم السنوية والاعتيادية، الوزراء وموظفو الدولة الآخرون كانوا مسئولين، وتم تأسيس محكمة(**بييرز**) العليا.

كان البرلمان - كما هو متعارف عليه - يتألف من أساقفة و بارونات و ممثلي و أمناء المدن، و بدا بما لايدع مجالاً للشك بأنه في الأيام السابقة لمباحثاتهم كانت الجلسات تنعقد في قاعة واحدة مشتركة، إن طريقة التواصل - والتي كانت تعطي نطاقاً أكثر حريةً للشغف، والاندفاع قد تغيرت بعدئذ تحت حكم الملوك الإسبان.

الفرع القادم الأكثر أهمية في الإداره هو الإيرادات العامة، والتي كان يتم تنظيمها بحكمة وحذر، حيث كانت

أموال حفلات التبرع العامة والمناسابات تتحدد وفقاً لقانون أساسي حيث قامت سلطة البرلمان بجعله ضروريا لصحة الإجراءات، ليحققوا لقباً غايةً في الأهمية وهو (**الخيِّرون**).

الإدارة البلدية قد أصبحت أكثر ليبراليةً، ملمحها الأساسي كان الجمعية أو بالأحري البرلمان كما كان يطلق علية حيث كان لكل المواطنين، أو ما يقرب إلى جميع المواطنين دوراً ومشاركة، حينها أيضا أُنشئ قانون – خصيصا - لاستبعاد مجموعة النبلاء.

هؤلاء البرلمانيون كانوا ذو شعبية كبيرة، أو في بعض الأماكن وفقاً للعُرف المحلي (**المستشارين**) الذي يتم انتخابهم ليمثلوا ناخبيهم، وإن تنظيم جميع شئون البلدية، جمع الضرائب من أجل البلدية، توزيع المهام الخاصة بحفلات التبرع الخيري، تسليح قوات الجيش بأمر من الملك، وانتخابات قضاة المدينة و أمناء البرلمان.

مؤسسة المحلفين كانت عبارة عن مكتب عام يمارس أعماله في كل بلدة وبلديه لإتمام نظام االرقابة الإدارية وكان ذلك من أولويات البرلمان.

ظلت الولاية القضائية الجنائية والمدنية في أيدى القضاة بناءاً علي أوامر محددة من الملك، ولكنهم كانوا في ازدياد مستمر وأصبحت صلتهم بالشعب أكثر قرباً من ذى قبل، تدابير كهذه يجب تؤخذ بعين الاعتبار وهي الاكثر استحساناً لكبح جماح غطرستهم وجشعهم.

وهكذا جاءت ثورة الصقليين في القرن الثالث عشر بد ستور سياسي يعادل بالكاد دساتير تلك الأمم المتحضرة في القرن التاسع عشر.

من الجدير بالذكر أن صقلية فقط من بين كل الأقاليم الإيطالية: كانت تتمتع بحكومة ملكية، وهكذا تشكل البقية، باستثناء(**البندقية**) التي كانت عبارة إما عن جمهوريات غير مستقرة أو محكومة من قبل لوردات حيث كانت السلطة لهم مطلقة، حتى في مملكة(**نابلولى**) أيضا توسعت الصلاحيات الملكية حتى خارج حدود الدستور الذي وضعه (**البابا هونوريوس**) وأصبح الآن التقيُّد بفكرة الخوف من وتيرة التمرد هى السمة الغالبة هناك.

في خلال الفترة الأخيرة من عهد فريدريك، وبعدم وجود خلفاء أقوياء لعرشه، لم يكن هناك أية قوانين عامة أصدرت

في صقلية، ولكن تشريعات خاصة تهدف فقط لإظهار دور فريدريك في قمع الاضطرابات المتزايدة في الدولة.

أخذت الارستقراطية في صقلية مساراً مختلفاً عن تلك التي كانت في البلدان الأوروبية الأخرى، حيث نشأت في عصور مظلمة تسودها الانتهاكات، لاحقاً : اتحد الملك والشعب لقمع ذلك وتحققت المصالح المشتركة بينهما، وفي أثناء فترة الحملة الصليبية الأولى كان تأثيرها معتدلاً في البداية، وإن كان من طبيعتها الميل إلى اغتصاب الحقوق، إلا أنها كانت مقيدة ومراقبة جيداً من قِبل الملوك خوفاً من ثورة جماعة (**صلاة المساء**)، و في أثناء الحرب الطويلة: قام الارستقراطيون باستعادة ما لهم من نفوذ وثروة، ومعهم ما يكفي من جشع وكبرياء ليصبحوا الحزب الأقوي في الدولة، أدت غطرستهم إلى انقسام الدولة إلى فصائل، وغرق البلاط والشعب معاً في بحر من الصراعات، والتي مزقت صقلية خلال الفترة الأخيرة من عهد(**فريدريك**).

أصبح الحال من سئ إلى أسوء، ومجهودات كلاً من(**بيتر الثاني**) و(**فريدريك الثاني**) ضعيفة وغير مؤثرة، أتي ذلك بفوضي إقطاعية، كان الرأي العام مُغيباً وسط زخم صراعات الحزب، ولم يعد مسموعاً كثيراً اسم صقلية، لكن - فقط - (**باليرمو وميسينا**) وبعض المدن الأخري التي كانت فى ازدهار أكثر من أي وقت مضي لأنها تمثل مصالح كلٍ من الإيطاليين والكتالونيين، أو أسماء بعض العائلات كعائلة (**باليزي** و **الاجونا** و**فينتيميليا** و**كيارامونتي**) وعائلات أخري مساوية لها في العجرفة والتكبر حالهم حيال خصومهم.

هولاء الذين شاركوا في حرب الثوره أعربوا عن أسفهم لحالة الخمول والجمود والضعف التي كانت عليها الحياة العسكرية، وارتموا في احضان البارونات، حتى المواطنين الأحرار أصبحوا إما أنصار، أوتابعين لهم.

انقضي قرن من الزمان ولم يستطع ذلك المرض اللعين الفتك بثورة(**صلاة المساء**) وأن يدمر ما أنجبته تلك الثورة من أمل وحياة .

(أهمية استمرار ذكر تاريخ هذه الفتره كما هو مذكور بالفعل لإظهار انعكاس الأمجاد السابقة) ، في عام(١٢١٣) وبظهور(**الامبراطور هنري**) في إيطاليا، ها نحن ننظر إلى ملك صقليه ينهض من أجل قضيتة ضد(**ملك نابلس**)، جهَّز قوةً ضاربةً، وقام باحتلال جزيرة (**كاليبريا**) واستعادتها مرة أخرى، حينما بائت جهود الغيبلينين في شمال إيطاليا بالفشل، حينها حولت (**الجويلف**) قوتها الكاملة تجاه صقلية، وقد حافظ أبناؤها عليها ودافعوا عنها ببسالة، وقام البرلمان الصقلي بإبطال اتفاقية(**كالتابيلوتا**)، وتم استدعاء (**بيتر ابن فيردريك**) لخلافة أبيه، وحوصرت باليرمو من قِبل عدد لايُحصي من النبالسة والجنويين مضاهين بذلك أمجاد (ميسينا عام ١٢٨٢ و عام ١٣٠١) وطوال فترة الحرب العدو الذي يفكر في اجتياح صقلية لنهب القري وحرق المحاصيل، وتجريف الحقول ومحاصرة المدن، سوف يأتي فقط إلي هنا ليلقي حتفه.

يتواصل تاريخ تلك الفترة كما ذُكر من قبل كي يعرض انعكاسا للأمجاد السابقة، وفي عام(١٢١٣) حينما ظهر الإمبراطور هنري في إيطاليا: رأينا ملك صقلية يصعِّد من موقفه ضد ملك نابولي ويجهِّز جيشاً قوياً وقد احتل كالابريا مرة أخرى، وحينما أثبتت جهود الغيبيلينيون في إيطاليا العليا فشلها، وأن سلطة الغويلفيين الكاملة انقلبت ضد صقلية: رأينا أبناءها يدافعون عنها ببسالة، والبرلمان الصقلي يلغي معاهدة (كالتابيلوتا) ويستدعي بيتر نجل فريدريك ليخلف والده، كانت باليرمو محاصرة من قبل مجموعة لا تعد ولا تحصى من شعبي نابولي

وجنوا، مضاهيين بذلك أمجاد ميسينا عام(١٢٨٢ ، ١٣٠١) وطوال الحرب كان العدو الذي غزا صقلية ينهب القرى ويحرق المحاصيل، ويفسد الحقول ويحاصر المدن، يصول ويجول هنا وهناك فقط من أجل التدمير.

ومن هنا وصلت آثار الغزاة إلى ما وراء البحر بطريقة تبعث على الخجل والحرج، وبالتالي: ظلت صقلية منتصرة رغم أن نبلاءها في ظل جنون كراهية الحزب، استدعوا أعداء بلادهم، ومنذ ذلك الوقت فصاعدا: يمكننا –فقط- بخجل غاضب تتبع تاريخ صقلية اعتباراً من أية حكومة ملكية عدائية أخرى، فنرى خلافات محلية تندلع بعدما فعله هؤلاء البارونات الذين أصبحوا أكثر عنفاً وتدميراً عندما تظاهروا بوطنية شكلية بشكل أكبر.

وفي خضم تلك الفتنة الباعثة على الأسى والمزيد من البؤس في الجزيرة، أصبح قصر أراجون الملكي بلا وجود، وخلفه قصر إسبانيا الذي فشل أيضا، وكان ذلك هو انهيار الاستقلال السياسي لصقلية، وذلك لأن العرف استدعى وجود حكومة ملكية، بينما انقساماتهم غيرالراضية جعلت من المستحيل أن يوافق الصقليون على انتخاب ملك.

أمّا ميسينا التي لا زالت تحتفظ بعظمتها وقوتها، فاقترحت هذا الإجراء في برلمان(١٤١٠) ولكن لم تتمكن من إتمامه بسبب معارضة البارونات لاستبعاد كاتالانيا التي احتوت على جميع نقائص الملوك وزعماء الفصائل والأجانب، وبالتالي: كان على صقلية تحمُّل سيادة إسبانيا، مع الرضا القليل بالاحتفاظ باسم وأشكال مملكة مستقلة، ومن أجل الحفاظ على قوانينها القديمة المتعلقة بإدارة الإيرادات العامة والعدل وغيرها من أمور الحكومة المدنية، اقترنت بمملكة نابولي المكبَّلة بنفس العبودية للأجانب، مثل اثنين من العبيد المقيدين بنفس السلسلة.

خمدت الحماسة ومات الفكر وزادت الخرافات، وانحدر الشعب المنغمس في النزاعات التافهة الصغيرة الصبيانية نحو الهمجية، وأصبحت دولة صقلية أسوأ أكثر فأكثر حتى اعتلى تشارلز الثالث العرش، وأعيدت كل الممالك وبدأت حضارة أوروبا الصراع في العمل الجبار من أجل إعادة المساواة بين بني الإنسان.

كان ذلك الخمول الطويل تحت سيادة إسبانيا والذي جعل الشعب متدهورا، في حين خدمت إسبانيا أهدافها الخارجية وجنت الربح والاستسلام ولم تعتني بشيء إلى جانب ذلك: هو سبب الحماية حتى بداية القرن التاسع عشر، على الرغم من أن وجود قدر قليل من الحيوية والحماسة تجاه المخزون القديم للدستور النورماندي الذي جُددت صياغته أثناء ثورة الأعراق المتنوعة، كان البرلمان لا يزال قائما ومقسّماً إلى ثلاثة فروع: رجال الدين، البارونات أو القوة العسكرية، ممثلي الشعب، ولم يعد البارونات عسكريين، والتمثيل الشعبي اقتصر على المدن القليلة التي تضم النطاقات الملكية. كانت تلك الدوائر الثلاث تجتمع وتتداول كلٌ على حدة حتى يتم اعتبارهم أكثر انقيادا، كما كان يتم اعتبار قرار الثلاثة أو اثنين ضد واحد صوت البرلمان العام فقد هذا البرلمان - ليس فقط الحق في الحرب والسلام- حق التشريع، باستثناء ما كان يمكن أن يلتمسه لبعض التشريعات باسم فعل الرحمة.

ومن خلال نقيضة غريبة وكما كانت منافسة في المجاملة، كانت الإعانات التي تمنحها الدولة للملك تُسمى هدايا أو هبات، وما كان أكثر غرابة هي الهيئة الدائمة المكوّنة من اثني عشر عضوا ينتخبهم البرلمان، وكان أربعة أشخاص من كل فرع من فروعه ملقبين بالمنتدبين للمملكة ويمتلكوا سلطة بالمعنى الحرفي للكلمة، والتي كانت مهمتها الدفاع عن امتيازات البرلمان والأمة وتنظيم إدارة الضرائب التي يمنحها الأول، والموافقة على

المراسيم الصادرة عن الأخيرة من أجل تقديم المال للملك، أو استخدامه من أجل الصالح العام.

ذلك المنصب المهيب إمّا أن يكون قد بدأ من وقت محكمة البارونات القديمة، وإمّا أن يكون قد استُمد من مؤسسات أراجون في دساتير دول أخرى نجده قائما بشكل مؤقت فقط ويُساء استخدامه، ولكن في صقلية كان دائما ومفيدا، فقد كان البرلمان العادي يجتمع مرة كل أربع سنوات ولديه حساسية خاصة من الضرائب ويعطي مبالغ ضئيلة من المال للملك، والتي - على وجه الخصوص - لم تنتهك امتيازاته، وأدى ذلك حتى بداية الحرب التي تبعت الثورة الفرنسية في القرن الثامن عشر إلى أن إجمالي عائدات صقلية العامة لم تصل إلى سبعمائة ألف أونصة في العام.

وعلى الرغم من أن السلطة الملكية كانت محدودة للغاية إلا أنها في هذا الصدد، تمتعت بسلطة مطلقة على المواطنين، حيث طرحت القوانين والتشريعات كما يحلو لها بشرط ألا يعارضها مندوبوا المملكة والذين لم يكن من الصعب مُطلقا التأثير عليهم، فقد كان الوزراء والموظفون العموميون مسؤولين عن أفعالهم أمام الملك وحده، فكانت السلطة الملكية مُهيمناً عليها بقدر كبير من قبل نائب الملك، ويساعده في ذلك مجلس القضاة الرئيسيين في صقلية، وكان ذلك سلاحاً ذا حدين، ففائدته تكمن في أن إجراءات الحكومة هي الأسرع ويتم اتخاذها باهتمام وروية أكبر، إذ أنها نتاج المعرفة الشخصية، أمّا ضرره فيكمن في غطرسة وجشع الحكام.

ففي الواقع قد وقف البارونات ورجال الدين بين الملك والشعب، ولكن كان ذلك بالأحرى للتعتيم والاضطهاد بدلاً من الدفاع.

وبالنسبة لأشكال الحكومة المحلية فلا حاجة للحديث هنا، فلقد ساروا على نهج الزمن القديم فقد اختلفوا في مختلف الأماكن وتغمرهم الامتيازات، ولكنهم كانوا أحراراً

جدا فيما يتعلق بإدارة عوائدهم الخاصة، وكانت إقامة العدل وإدارة الحكومة المدنية تُقام بآلية عتيقة إلى حد ما، إلا أنها جيدة على قدر بساطتها، وعلى العكس فقد كانت القوانين الأهلية والجنائية معقّدة بشكل يدعو لليأس.

هكذا كانت حكومة صقلية حتى بداية القرن الحاضر"فقد أوهن الحكم الإسباني هؤلاء الذين كانوا يجب أن ينفّذوا تلك القوانين ومن ثم احتفظت صقلية التي كانت في فترة تأسيس السيادة النورماندية تمتلك مجموعة قوانين تشبه تقريبا قوانين إنجلترا، والتي عدَّلتها وزادتها أثناء ثورة القائمين بالصلاة المسائية التي لا تُنسى، وسلمتها على أنها ميراث نبيل للأجيال القادمة والمنحدرة من القرن الرابع عشر إلى القرن الثامن عشر، وفي تلك الفترة بكثير من الشبه في الشكل ولكن القليل في المضمون مع القانون الإنجليزي والذي أصبح شائعا جدا بعد ذلك، وعندما هزَّت الثورة الفرنسية الصرح القديم من أساسه كالإعصار، لم تكن الأمة قادرة على تقدير مميزاته ولا تصحح عيوبه باستثناء عدد قليل من الأفراد المستنيرين.

الملحق

الحصر والدراسة التاريخية لكافة القوى في أحداث ثورة القائمين بالصلاة المسائية.

هذه الثورة والتي سجّلها جميع المؤرخين ممن تطرقوا لتلك الفترة التي كانت فيها أبرز الأحداث: صبغها كلٌ على حدة وفقا لوجهات نظرهم الخاصة، وبما أن من الكتّاب المتعاقبين قد نقلوا من بعضهم البعض، تغيّرت وتعدّلت الحقائق تدريجيا وأصبحت الأسباب غير واضحة وغامضة.

في البابين الخامس والسادس: ذكرتُ بعد فحص ومقارنة دقيقين لكل القوى التاريخية في تلك الفترة، ما بدا لي أنه الحقيقة جنباً إلى جنبٍ مع عملية التفكير التي قادتني إلى هذا الاستنتاج: أتجه الآن إلى التفاصيل:.

أولا: تذكير القارئ بأنه في ظل سلطة القوى التاريخية التي شملتها ، ففى البداية قارن الكتّاب المعاصرون معاً بين النصوص، وقدّروا - وفقا للحزب الذي ينتمون إليه - موقفهم الأكثر أو الأقل للحقائق المعلومة بالإضافة إلى درجة تقديرهم والدقة التي يبدونها كلٌ على حدة.

ثانيا: الوثائق الرسمية التي أضعها في المرتبة الثانية فيما يتعلق بالسلطة إذ أنها قليلة في الوضع الراهن حتى تكون كافية لتأسيس الحقائق بما لا يدع مجالا للشك، ومن ناحية أخرى فهي ذات أهمية كبيرة في تفسير كلمات المؤرخين، والإضافة إلى أو الأخذ من صحة بياناتهم.

ثالثا: التراث بقدر ما قد يكون ذا قيمة بعد خمسة قرون ونصف من الوجود الاجتماعي.

رابعا: وجود الأسباب الضروري للوصول إلى النتائج المتلاحقة غير المشكوك فيها.

بدءاً بالمؤرخين المعاصرين، أو هؤلاء الذين ظهروا مباشرة بعد الفترة المذكورة يجب عليَّ أن أنوِّه أنهم مقسمين إلى فرنسيين وكتالونيين وصقليين أو إيطاليين آخرين، وتنقسم الفئة الأخيرة إلى غويلفيين وغيبيلينيين، لذا: فكتابات معظمهم مشبَّعة بروح الحزب، في حين أن كتابات عدد قليل جدا كانت إمّا خالية منها وإمّا تفضل الحقيقة عن إرضاء الحزب، ومن هنا: دون الإشارة إلى

أسباب الثورة، فبعضها يسجل فقط مذبحة الفرنسيين في صقلية مع إضافة القليل من الملابسات الدائرة المعزولة قليلا، أو غير ذات أهمية، وليس أكثر، أمّا الآخرين، فأنشأوا مؤامرة ببراعة كبير ة وشبّهوا اندلاع ثورة القائمين بالصلاة المسائية بنتيجة فورية الآخرين ثانية، متطرقين على نحو أو آخر لاستعدادات ورغبات بطرس أراجون، وقد اتجهوا دون أن يكون هناك ارتباط آخر بينهم، إلى رواية ثورة باليرمو التي اندلعت فجأة نتيجة لكراهية الطغيان الموجود في أنجو نظرا للاستفزاز الذي حدث خلال مهرجان شعبي، وبالتالي: سيحتوي التقسيم على هذه الفئات الثلاث من الأدلة التاريخية والتي يتعين علينا دراستها.

يجب أن يحتل ريكوبالدو فيراريس (موراتوري- ار اي اس، المجلد التاسع) المركز الأول، مقاطع من حكايات بيزان، (المرجع نفسه؛) السيرتين الذاتيتين للبابا مارتن الرابع (المرجع نفسه. المجلد الثالث. الجزء الأول ص(٦٠٨، ٦٠٩) والجزء الثاني ص (٤٣٠) تراجع فرا كورادو الصقلي، الذي شعر بالرعب من جراء الأحداث التي وقعت أمام عينيه عن معالجتها بالتفصيل. (المرجع نفسه المجلد الأول ص ٧٢٩) المؤلف الكاتالوني الرهباني لإيماة كونت بارشلونة (ماركا هيسبانسيا لبالوزيو، الباب ٢٨) الذي يسجّل الاستدعاءات لبطرس وحصار ميسينا ورفض صقلية للخضوع لتشارلز، ولكن ليس الثورة الدموية التي أدت إلى تلك الأحداث، كانتينيلي (شرونيكون، ميتاريلي، مخطوطة رير. فافينتيناروم، البندقية (١٧٧١) ص ٢٧٦) مؤلف مجهول من فلورنسا، (نشرها بالوزيو، منوعات، المجلد الرابع، ص(١٠٤) طبعة لوكا) موجز ولكنه دقيق والذي - دون ذكر

أية مؤامرة - يروي "أنه في الأيام الأولى من شهر إبريل عام(١٢٨٢) قامت ثورة في باليرمو ومن بعدها صقلية بأكملها على غرار قاطني باليرمو" هذا إلى جانب مؤلفين آخرين لا جدوى من تحديدهم فهم لم يسلطوا الضوء على ذلك الموضوع.

وينبغي القيام بفحص صارم وحاسم على المؤرخين الفرنسيين، وهم مؤلف مخطوطة انتصار شارل أنجو، وليام نانجيس، ومؤلف وقائع دير سانت بيرتين، بالإضافة إلى ملفقي المؤامؤة الإيطاليين: ريكوردانو ماليسبيني وجيوفاني فيلاني، مؤلف التاريخ المجهول لمؤامرة بروسيدا، ومعهم فرات فرانسيسكو بيبينو، مؤلف وقائع أستي وبوكاتشيو وبترارك.

في مخطوطة انتصار تشارلز (دوتشيسن، مخطوطة تاريخ فرنسا، المجلد الخامس ص. ٨٥٠) نقرأ أن بطرس أراجون، بينما كان يعد الأسطول للقاء تشارلز ملك صقلية: كانت "تحذيرات الصقلي" من خلال إرسال سفراء إلى البابا متظاهرين بنية قيادة جيش قوي ضد الهمجيين في أفريقيا، كما ينص كذلك أنه في فبراير (١٢٨٢) نُقل أسد البحر، إلى أورفيتو وأنذر من خلال صرخاته عن المصائب التي باتت وشيكة، وإلى هنا: تنتهي الوقائع.

ما يجدر ذكره فقط هو: "تحذيرات الصقلي"، والتي، على الرغم من ذلك، قد تشير إلى المنفيين الصقليين والذين لجأوا إلى بلاط أراجون.

نانجيس أكثر وضوحا. فوفقاً له: كان بطرس أراجون جاحداً لملوك فرنسا ومُحرضاً من قبل زوجته،

و"متحالفا" مع الصقليين، ثم تعرّض للبعثة التي أعدها تشارلز ضد إمبراطور القسطنطينية، والتي أُخبرنا بها من قِبل كافة المؤرخين الآخرين، وعنها يتحدث (نانجيس) باعتبارها حملة صليبية جديدة هدفها إعادة فتح القدس، ويضيف: أنه ما لبث أن عاد السفراء الصقليون من بلاط بطرس حتى اندلعت الثورة قاطني باليرمو وميسينا، وعندما علم بطرس بما حدث: قاد الجيوش لمساعدتهم، جاعلاً ذريعته الحرب ضد الهمجيين في إفريقيا مع تشجيع الصقليين بجواسيسه. لم يذكر جون من بروسيدا، ولكن الفقرة المقتبسة تحتوي بلا شك على اتهام بالتآمر بين بطرس ووجهاء صقلية (دوتشيسن، مخطوطة تاريخ فرنسا، المجلد الخامس ص ٥٣٧ - ٥٣٩.).

والآن إذا نظرنا إلى مطالبات نانجيس باعتبارها سلطة: يجب علينا أن نلاحظ أنه أثناء قراءة السيَّر الذاتية لملوك فرنسا التي جمعها بتفصيل تام، نجده يرفع من شأن ملوكه إلى عنان السماء عندما أصبح راهباً ومؤرخاً رسميا بالبلاط الملكي، ومن السهل تصور أنه سيروي ذلك بمفرده والذى اعتبره الحقيقة الموجودة في بلاط فرنسا.

وهكذا... خلال الحرب التي وقعت في أراجون عام(١٢٨٥) وفي مناسبات أخرى، نجد أن كاتب السيرة يذكر ويشوّه بعض الحقائق ويضيف ويقلل من أهمية حقائق أخرى وفقا لما يراه أفضل ما يمكن أن يفضي إلى مجد الأمراء الفرنسيين. قد نضيف إلى ذلك أنه بعد مذبحة الفرنسيين البشعة في صقلية، فمن الطبيعي أن يضيف سخط الرأي العام في فرنسا إلى مثل تلك التصريحات فقط وكأنها الأكثر معارضة لبطرس وللصقليين، كما زاد من حدة إثم القتل من خلال إضافة

سبق الإصرار والترصد والغدر، واسماً تقليد الملك الجديد نتيجة لمؤامرة بالعار، وبالتالي: يسعي لتبرئة حكم تشارلز الفاسد لأن كل حكومة معرضة لهجمات المتآمرين، كما يقول:" أن يأس شعب بأكمله مما يترتب عليه اندلاع الثورة، و يضيف إلى إثم السلطة الحاكمة وحدها، وعلاوة على ذلك: كتب نانجيس بعد حرب أراجون المذكورة أعلاه والتي قد تبدو - على الرغم من أنها جائرة في كل الأحوال - أبسط مقارنة بالجرائم التي يمكن أن يكون قد ارتكبها بطرس، وذلك حتى تحمل صبغة أكثر سواداً.

هذه الحقائق: تميل إلى التقليل من وزن شهادة نانجيس التي لا تتأثر بأي شكل من الأشكال بالترجمة الفرنسية القديمة لأعماله التي وجدت في سجلات القديس دنيس، والتي نُشرت مؤخرا باللغة اللاتينية (مخطوطة رير جاليك وفرانك، المجلد العشرون، باريس، ١٨٤٠) ولا ينبغي أن أذكر ذلك، فلو لم يكن ذلك الإصدار الذي حُذفت منه أجزاء كثيرة من النص الأصلي، يقع هنا ذكر حقوق بطرس بأراجون في عرش صقلية ويضيف إلى جوهر النص: بأن بطرس أرسل اثنين من الفرسان إلى صقلية للتأكد من حقيقة توضيحات الملكة كونستانس فيما يتعلق باستعدادات الصقليين، وعندما تأكد من ذلك بنفسه ومن اتخاذ قرار الثورة من قبل قاطني باليرمو وميسينا وكل المدن الأخرى الجميلة، والذين سيضعون العلامات على أبواب قصر فرانسوا في الليل، وعند بزوغ الفجر يستطيعون القيام بجولة لرؤيتها، كل ما يمكن أن يجدوه." والآن هذه المقولة، التي تحوِّل القائمين بالصلاة المسائية في صقلية إلى القائمين بالصلاة في الفجر، تتحدث عن قاطني باليرمو وميسينا والجزء الأكبر من الصقليين الآخرين، كما لو كان الأمر أنهم في نفس

المدينة قد وضعوا علامات على أبواب الفرنسيين في الليل، وبدأوا القتل عند بزوخ الفجر بأسرع ما يمكنهم من خلال إدراكهم، بمساعدة العلامات على المنازل التي استطاعوا تمييزها بأنفسهم ووضع علامات عليها في الظلام.

نتتبع هنا بوضوح خرافة المجزرة المتزامنة بعد احتمال إضافي أو أكثر، وينتاب المتعلمين الشك فيما إذا كانت هذه الترجمة تُنسب إلى نانجيس نفسه.

إن رأيي الشخصي هو أن المعاصر الذي سجل الحدث بدقة على الأقل إن لم يكن السبب فلا يمكنه بعد ذلك تشويه قصته بالخرافات المفتعلة، وبالتالي: لا أعتقد أن ذلك سبباً لإبطال شهادة نانجيس أكثر من ذلك، بل على العكس يجب أن يُفترض أنه إمّا أن تكون الترجمة بنفسها قد تمت كتابتها أو على الأقل تم استيفاء هذه الفقرة من قِبل يدٍ أخرى في فترة لاحقة.

وأخيرا: فإن وقائع دير سانت بيرتن تكشف عن مؤامرة أكثر غموضا من نانجيس، (في مارتين ودوراند، الرسالة. نوفمبر. المجلد الثالث. ص ٧٦٢، وإلخ).

تنص تلك الوقائع على أن بيتر أراجون، مدعيا أن صقلية في حق زوجته قد أجهد نفسه، كما قام من بين أمور أخرى بإثارة مشاعر الهمجيين في تونس ضد المسيحيين الآخرين، وهو ما لم يكن صحيحا، كما لا يمكن أن يكون له دور في ترسيخ قواعد الخطط لدى بطرس. علاوة على ذلك: لم يكن ذكر الاضطرابات والفتن قبل ثورة القائمين بالصلاة المسائية له أى أساس من الصحة، بل على العكسمن ذلك فقد استمر حال الاسترقاق كما هو عليه حتى يوم الثورة، ويواصل المؤرخ السرد .

كما يروي بعد ذلك الاندلاع الأول للثورة الذي حدث في باليرمو وانتشار الثورة في جميع أنحاء الجزيرة.

لم أكن ينبغي أن أذكر تلك الوقائع التي دوَّنها بالكامل (جون إيبيريو) الذي عاش مائة عام بعد ثورة القائمين بالصلاة المسائية، ولكن كما جاء في المقدمات (المرجع نفسه، النص الأصلي ص ٤٤١- ٤٤٤)، ذكر المحررون المثقفون اعتقادهم أن الجزء الأول كان عمل كاتب في القرن الثالث عشر، ولم أشأ أن أمُرَّ عليه مرور الكرام أيا كان مؤلف.
فالجزء الذي يروي ثورة صقلية به بنود أكثر مذكورة وبالتفصيل أكثر من تلك التي ذكرها نانجيس، في حين - من ناحية أخرى- أن التلميحات إلى مؤامرات الصقليين مع بطرس أرجون هي أكثر غموضا.

بالانتقال إلى الكتّاب الإيطاليين: نجد تاريخ المؤامرة في (ريكوردانو ماليسبيني) ومكمّله (جياشيتو ماليسبيني) وفي (جيوفاني فيلاني موراتوري، ار اي اس المجلدين الثامن والثالث عشر) والذين- كي نتوخى الدقة- ألّفوا كتاب شهرة جون من بروسيدا، والذي نسخ الباقون منه تاريخه، ولكن في المقام الآول: يجب علينا أن نسلّط الضوء على أن هذه السلطات الثلاث قد قلّصت نفسها في الواقع إلى واحدة، وهي سلطة جياشيتو، ولم تكن دسائس المتآمرين المزعومين لتُعرف في مدينة إيطاليا الغويلفية قبل الحدث.

الآن ريكوردانو الذي يروي التفاصيل المتعلقة بهم بدقة بالغة قبل ثورة القائمين بالصلاة المسائية :" أي أنه قبل بداية عام(١٢٨١) يجب أن يكون قد توقّف عن الكتابة في تلك الفترة والاعتراف بأنه عاش واحتفظ بكل مَلكاته حتى بلغ من العمر مائة عام، فهو يُقر بنفسه أنه

ذهب إلى روما في شبابه في عام(١٢٠٠) ولذلك يتضح أن ريكوردانو لا يمكن أن يكون قد كتب تلك الفصول الخاتمة لوقائعه، وأنها يجب أن تكون عمل مكمّلة جياشيتو، أو على الأقل قام باستيفائها، وذلك لأنه عندما سرد اندلاع ثورة القائمين بالصلاة المسائية ونسبها إلى وجود مؤامرة، اختار أن يدرج سرد تلك المؤامرة في وقائع (ريكوردانو) والتي انحدرت إلى عام (١٢٨١).

أمّا بالنسبة إلى فيلاني: فيجب أن يكون آنذاك رضيعا، أو طفلاً بأية حال في(١٢٨٢) وبالتأكيد لم يبدأ الكتابة إلا بعد سنوات عديدة لاحقة، فسرده للمؤامرة واندلاع الثورة ليس مشتقا وإنما كان منسوخا، كلمة كلمة: السابق من الوقائع المنسوبة إلى ريكوردانو، والأخير من تكملة جياشيتو، لذلك: مع بعض الملابسات غير ذات أهمية على نحو أو آخر والتي لا تخفي بأية حال من الأحول: السرقة الفكرية والمعترف بها من قبل موراتوري في مقدماته لماليسبيني وفيلاني.

وعليه: فإننا إذا فحصنا معا سرد فيلاني وجياشيتو، واللذين يمكن اعتبارهما واحداً باعتبار التطابق التام بينهما: سندرك أن كلاهما - نتيجة كونهما من فلورنسا ويعيشان في وقت كانت فيه المدينة بأكملها تحت سيطرة الفصيلة الغويلفية والتي عززت نفسها ضد المدن التوسكانية الأخرى من خلال سمعة ونفوذ ملوك نابولي - لازالا أقل تدقيقاً في تحيزهما مقارنة بالمؤرخين الفرنسيين، فالعاطفة تزيد دائماً بالقرب من جوهرها، وهكذا في كل سطر يخدعون نزوعهما إلى الحزب الغويلفي والعداء للصقليين.

وفيما يتعلق بفيلاني يقر موراتوري في مقدمته المذكورة أعلاه أنه يمكن الوثوق فيه قليلا فيما يختص

بتقلبات فصائل الغويلفيين والغيبيلينيين بعد حكم فريدريك الثاني، إضافة إلى ذلك فإنه من المحتمل أن يكون لازال واقعاً تحت تأثير مصلحة الأسرة الحاكمة حيث أنه في الشهادات المتعلقة اشتراط النزاع بين بطرس وتشارلز، فنقرأ بين أسماء أولياء تشارلز (انظر الباب التاسع، المجلد الثاني) اسم جيوفاني فيلاني والذي ربما كان يمت بصلة قرابة للمؤرخ.

التنوّع والتشعّب هما خطآن للمؤرخين، بعيداً عن صقلية، وميلهم إلى تلوين سردهم بما يعتبر أكبر عيوب الطرف المعادي، وهذا لا يزيد عمّا هو موجود دائما كان وما سيتم تحقيقه مستقبلاً، حتى عندما لا يكون الافتراء مقصودا لن نسهب في ذكر خطأ جياشيتو الذي أرّخ ثورة القائمين بالصلاة المسائية في الثالث من شهر مارس، لأن ذلك ربما يكون خطأً من الناسخين.

سجّل ريكوردانو وفيلاني الاتهام غير المحتمل بالفساد ضد نيكولاس الثالث، وقالا:" أن هذا الاتهام أتت به بروسيدا مع ذهب عائلة باليولوجس. ويفترضان أن بطرس من أراجون طلب إعانة من ملك فرنسا لمواصلة تجهيزاته في الوقت الذي يُعرف فيه جيدا أن واحدة من الحجج الرئيسية التي دافع عن صمته المبهم بها بشأن الهدف من الحملة هي: أنه أعدها بدون مساعدة من أي جهة.

جياشيتو وفيلاني- بضلال بيّن- يذكران: أن تلك الفتنة بدأت في مونريالي حيث تجمّعوا في باليرمو' يحكون عن ما رأوه، ويقصون كيف قام رجل فرنسي خلال الاحتفالات بوضع يده على امرأة بقصد القيام بانتهاك شرفها، فارتفع شجار عضّده المتآمرين الذين تم التغلّب عليهم في الشجار، ولكن بعد ذلك ذبحوا جميع الفرنسيين في

باليرمو، وبالإسراع إلى مدنهم الأصلية، أثاروا تمردا في الجزيرة بأكملها.

وفي حصار ميسينا لا يقل المؤرخين خطأ، فهم يؤرخون خطابا مُصطنعا من البابا مارتن، مُصاغا بدون أي اعتبار لمضمون المشاعر الموجودة في لغط تلك الفترة (انظر الباب السابع).

وعلاوة على ذلك: حيث أنهم يسندون بنيتهم الكاملة على بروسيدا، فقد زعموا بأن الصقليين أرسلوه كسفيرا لهم ليقدّم التاج إلى بطرس، في حين أن المؤرخين الصقليين والكاتالونيين، والذين لا يمكن أن يجهلوا أو يصمتوا عن مسألة لها تلك الأهمية الكبيرة: مثّلوا المنصب على أنه مُوكّل إلى أشخاص مختلفين تماما.

في هذه النقطة، وفي غيرها من التفاصيل الكثيرة والمشار إليها في سياق هذا العمل: نجد أن معلومات المؤرخين المذكورين أعلاه خاطئة بالإضافة إلى كونهم كاذبين ومتحيزين، وهناك صدفة جديرة بالملاحظة بين بياناتهم وبيانات الوقائع المجهولة المكتوبة باللهجة الصقلية القديمة، والتي تغطي الفترة ما بين(١٢٧٩) وأكتوبر(١٢٨٢) (دي جريجوريو، المكتبة الأراجونية، المجلد الأول ص. ٢٤٣، إلخ).

ذلك التشابه الذي يعتبر دليلا على الموثوقية، والأسلوب واللغة العتيقين قد أقنعوا (دي جريجوريو) أن هذا العمل -والذي يُجهل مؤلفه تماما- هو عبارة عن وقائع معاصرة، ولكن هناك رسالة بمحتواه على ورقة قطنية والتي هى الآن في حوزة أمير سان جورجيو سبينيلي من نابولي، والتي يثبت بشكل واضح من خلال هجائها وكتابتها بالحروف الأولى الزرقاء أو الحمراء وآثار التذهيب أنها تعود إلى القرن الرابع عشر.

تلك الرسالة القديمة، والتي ربما تم الحصول عليها من ميسينا بواسطة المالك الحالي، كانت في القرن الماضي غير معروفة تماما في صقلية، لذا قام دي جريجوريو بنشر الوقائع في كتابه المكتبة الأراجونية من خلال نسخة من القرن السابع عشر، بتهجئة مختلفة بشدة عن تهجئة رسالة أمير سان جيورجيو، ومع تباين آخر وهو أننا نجد في عنوان سان جيورجيو أن الفقرة في وقائع دي جريجوريو (ص. ٢٦٤) تُظهر الاختلاف في رسالة سان جيورجيو.

وعلى الرغم من ذلك: لا يمكن لقِدم الرسالة أو الأسلوب أو اللغة التي أكّد عليها دي جريجوريو كثيرا - وهو يمتلك فقط نسخة من القرن السابع عشر ويرغب في أن يوصي على وقائعه ليتم اعتبارها سلطة معاصرة- أن يؤدوا إلى تقريب تمكننا من الحكم بما إذا كان المؤلف قد اشتهر في نهاية القرن الثالث عشر، أو في بداية أو نهاية القرن الرابع عشر، وبالتالي: تكون ثورة القائمين بالصلاة المسائية قد وقعت في وقته - أم لو لم يكن الأمر كذلك- كم من الوقت قبل ذلك؟

الحجة الأخرى هي أن التطابق مع فيلاني أولي أن نكون أكثر دقة مع ماليسبيني، والذى سيتجه إلى إثبات العكس: وهو أن المؤلف كان يحمل بين يديه سرد كتّاب فلورنسا، والذي يتطابق معه فيما يتعلق بمسار الأحداث والوقائع والكلمات في كثير من الأحيان بل وحتى الأخطاء، مع وجود اختلافات بسيطة جدا، وهذا ليس هو الحال عندما يسجّل كاتبان غير معروفان لبعضهما البعض، نفس الأحداث، مهما كانت وجيزة وبسيطة. الخلافات تكمن في أن الجزء القصصي والتمثيلي مذكوران بطريقة أكثر تفصيلا في الوقائع الصقلية، ومع

اختلافات قليلة في التواريخ والمواقع، وأحيانا ظهور أكبر، وأحيانا أقل لصحة جزء ما في الوقائع الصقلية.

على سبيل المثال: فالوقائع الأخيرة تقول أن جون من بروسيدا كان في صقلية في عام(١٢٧٩) ولم يذكر كونه إمّا منفيا أو مختبئا، بينما نمتلك شهادات (انظر الباب الخامس المجلد الأول) تبين أنه كان ثوريا ومنفيا منذ عام(١٢٧٠) ونحن نعلم أنه لجأ إلى بلاط أراجون.

ما هو أكثر أهمية هو أننا نجده يعتريه الشك والضلال فيما يتعلق بيوم الثورة في باليرمو، بينما نحن على يقين أن ذلك الثلاثاء كان يوم الحادي والثلاثين من مارس.

والآن: فإن الصقلي الذي كان يعيش في تلك الفترة قد نسي أو كان مخطئا أن ذلك اليوم هو شيء لا أستطيع تصوره، وهذا من شأنه أن يكون دافعاً وراء تحديد تاريخ أكثرحداثة لهذه الوقائع، لأن تلك المجزرة وقعت في (إبريل) في كافة المدن الصقلية الأخرى، وعلى مدار السنين أُعتبر إبريل بشكل عام شهر الخلاص.

وباعتبار وقائع فلورنسا بين يديه، يمكن أن يكون الكاتب الصقلي قد تعامل مع التاريخ وفقاً لرغبته كما فعل مع تتويج بطرس الذي كان مؤيدَاً بقاطني فلورنسا، ومرفوضا من قِبله، وينطبق هذا أيضا مع مشهد الاندلاع الأول والذي حدد مكانه في مونريالي، وقال بصحة جزئية(بشكل غير سليم)، اسم الكنيسة لا المكان.

إن هذه التصويبات تؤدي إلى الاعتقاد بأن الصقليين قد كتبوا في وقت لاحق لقاطني فلورنسا، وليس العكس لأن قاطني فلورنسا لم يكونوا ليقعوا في الخطأ فيما يتعلق بمسرح الصراع الأول، أو كانوا سيكرروا خطأ الصقليين

من خلال هذه التأملات وصلتُ إلى افتراض: أن المؤلف كان على قيد الحياة في حوالى منتصف القرن الرابع عشر، وأنه كان عضوا أو صديقا أوتابعا لقصر بروسيدا، وأنه في عهد فريدريك أراجون، كما رأينا في الباب الخامس عشر، جون بروسيدا بعد أن ذهب العديد من أفراد عائلته معه إلى أنجو، فقد يكون ذلك الكاتب المجهول، لكونه عميلا أو نصيرا لأبناء بروسيدا، ومدفوعا بالمشاعر الغويلفية ويعيش منفيا من بلاده، قد انتهى إلى وقائع فيلاني أو ماليسبيني، وأضاف إليها بعض الحقائق وبعض الأخطاء المستمدة من التقاليد والتي تميل إلى تمجيد شهرة جون بروسيدا، وجمع منها ما يتعين علينا أن نطلق عليه في هذه الأيام رواية تاريخية أو تاريخ ممزوج بحكايات وقصص، بلا شك على سبيل المثال ذعر ودموع النبلاء الصقلين الذين كان يُعتقد أنهم دبّروا المؤامرة مع بروسيدا.

من المؤكد أنه في ظل حكم بطرس وجيمس وفريدريك أراجون، تمت معاقبة الكثير من الصقليين، بسبب أو بدون، أو تم نفيهم على أنهم ثوار. ويمكن بسهولة الاستنتاج أن بعضا منهم، أو من أطفالهم ينبغي أن يظلوا بعيدين عن جزيرة صقلية حتى بعد إقرار السلام.

ومن المؤكد أيضا أن جرثومة الجانب الفرنسي أو الحزب الغويلفي أو الفيراريين كما كان يُطلق عليهم، مهما كانت ضعيفة، ظلت في صقلية، وأن تلك الوقائع، والتي تختلف عن تلك الوقائع الصقلية الأخرى في تلك الفترة، تتفق في جميع الضروريات مع الوقائع الغويلفية ووقائع ماليسبيني وفيلاني.

ولأن كلا من المؤلف والتاريخ غير معروفين، فشهادة هذه الوقائع ليس لها وزن كبير، لاحظ دي جريجوريو لسروره عندما نشرها للمرة الأولى بدون مقدمتها، والتي كان الضوء قد سُلط عليها في ذلك الحين، (بوسكيمي، فيتا دي جيوفاني دي بروسيدا، الوثيقة الأولى) عدة فقرات فيه تتوافق مع زوريتا، دون أن يعكس أن زوريتا الكاتب إبان القرن السادس عشر قد استمد حقائقه بطبيعة الحال منها ومن وقائع فيلاني إلى نفس الفئة ينتمي المؤلفون الذين كانوا أول من أضافوا إلى حكاية مؤامرة أن قتل الفرنسيين في جميع أنحاء الجزيرة قد تم في يوم واحد.

وقد قال (فرات فرانسيسكو بيبينو) الذي لمع في عهد الملك روبرت، (فرانسيسكو بيبينو، الكتاب الثالث. الباب ١٩، في موراتوري، ار اي اس المجلد التاسع. ص. ٦٩٥):" أنه في بداية القرن الرابع عشر روى كاتب، ولكنه كان وفقاً لمواتوري (نفس المرجع المقدمة) كاتبا مهمَلا، وفي أغلب الأحيان راويا للعجائب والخرافات هذه الوقائع أيضا، ولكن على استحياء: بدأ بوصف العنف وقمع الفرنسيين والذي أدى إلى فتنة في باليرمو واستدعاءٍ لبطرس أراجون الذي كان يشارك في حملة في إفريقيا، ولكن على اعتبار أن ذلك ليس كافياً: يضيف قائلا ما ذُكر فى (المرجع نفسه ص. ٦٨٦، إلخ) ويواصل حديثه ليتطرق إلى تفصيلة دقيقة للمؤامرة والإعانات التي قُدمت لبطرس من قِبل عائلة باليولوجس والبابا نيكولاس (والذي تحوّل هنا إلى مانح للمال بدلا من تلقيه إياه).

لقد جعل سكان بروسيدا يقررون أن الصقليين ينبغي أن يقوموا جميعاً بثورة يوماً ما، وأنه في نفس ذلك

اليوم: ينبغي أن يبحر بطرس مع الأسطول، ويضيف أن هذين الأمرين وقعا تماما كما خُطط لهما، فقد جاء بطرس بعد ذلك إلى ميسينا وتم تتويجه خلال احتفالات عيد القيامة عام(١٢٨٢).

سلسلة من المفارقات التاريخية والأخطاء، واللاحتماليات الصارخة لا داعي لدحضها والتي يحددها المؤلف بنفسه الذي يمزج كل ذلك معا على نحو أعمى، في فقرة "المعاناة" المقتضبة، ويروي نفس الحقيقة بطريقتين مختلفتين باعتبارها فتنة عرضية في باليرمو، وانتشرت في جميع أنحاء الجزيرة، ومذبحة متزامنة في جميع أنحاء صقلية، وعندما نصل إلى الفصل الذي يحتوي على السرد السابق، نجده يحدد العنوان: "تشارلز، ملك صقلية القديمة، والسجلات" حيث نرى أنه استمد الجزء الأول من الوقائع، والثاني من تقرير شعبي دون حتى أن يقول أي الاثنين يعتقد أنه هو الصحيح، كما كان يجب أن يفعل بالتأكيد فيما يتعلق بحدث مهم جدا كهذا، ودون أن يذكر ما الدافع وراء التغيّر المادي الحاد للشخصية من خلال وضعها في إطار وجهة نظر أو أخرى.

ما يزال الأكثر احتمالية هو وقائع (أستي) والتي، وفقا لها: لم تستمر مؤامرات بروسيدا سوى ثلاثة أشهر، مع أن المؤرخين الآخرين ذكروا أنها استمرت لمدة ثلاث سنوات، تسجّل المذبحة التي نُفّذت تقريبا على نحو خارق خلال يوم واحد في جميع أنحاء صقلية والتي جعلت الملك تشارلز يشارك مع ملك فرنسا في غزو أراجون، وهو ما حدث بعد وفاته بعدة أشهر، ولذلك لا تستحق وقائع أستي مزيدا من الاهتمام.

وأخيرا: نفس أسطورة المذبحة العالمية في صوت

جرس القائمين بالصلاة المسائية يذكرها جيوفاني بوكاتشيو في توضيح (كاسي ديجلي هوميني) (الكتاب التاسع الباب ١٩)، وليس هناك ما يدعو للدهشة من حدوثها خلال الستين عاما التي عقبت الحدث، فقد كان ينبغي على الروائي التوسكاني الذي أقام لفترة طويلة في نابولي، وكان مُحبا لواحدة من بنات الملك روبرت: الإعلان عن النسخة الأكثر موالاة لبلاط أنجو، كما كان ينبغي عليه: وصفها أدبيا ليس في التاريخ العادي ولكن في نوعية السيرة الذاتية المصصمة لعرض تقلبات القدر الغريبة.

بترارك" وهو معاصر لبوكاتشيو وليس القائمين الصقليين بالصلاة المسائية على الطريقة السريانية": يتقيد بالمثل بالرأي القائل أن الاستياء من الاصابات الخاصة جعل جون بروسيدا المؤلف الرئيسي للثورة في صقلية، وإلى جانب ذلك: لم يذكر المؤامرة ولم يعط أية تفاصيل أخرى، ويُظهر نفسه فقيرا في المعلومات التي تتعلق بموقع ميلاد جون بروسيدا ويخطوه بلقبه الاقطاعي ما قيل فى (المجلد الأول، ص. ٦٢٠). وبالنسبة لهذا الغرض، ليس من الغريب أن نضيف أن بترارك كان خادما لبلاط نابولي، وأن نذكر وثيقة الملك روبرت في الثاني من إبريل عام (١٣٣١) والتي تنتخبه قسيس القصر، وهو ما اقتبسه (فيفينزيو واستوريا ديل ريجنو دي نابولي، المجلد الثاني ص. ٣٥٨).

وإذا انتقلنا الآن إلى المؤرخين الذين كانوا جميعا معاصرين في ذلك الوقت، والذين إمّا لا يذكرون الممارسات السالفة لهذا الحدث، أو لا ينظرون إلى ثورة القائمين بالصلاة المسائية على أنها نتيجة لتلك الممارسات، أُدرك أنه سيكون هناك اعتراض على إمكانية الاعتماد قليلا على المؤرخين الصقليين

والإسبانيين، لأنهم من حيث التحيز الوطني، سيميلون إلى المرور على المؤامرة في صمت.

أعترف بالاعتراض بقدر كونه حارسي من المبالغات والتمويهات المتوقعة في كتابات القضية، ومع ذلك لو افترضنا أن أحدا لا يتظاهر بأننا نسعي للحصول على الحقائق في تلك الأمم الأخرى البعيدة عن صقلية من حيث المسافة و قلة الاتصالات، كما أننا لا نسعى لذلك بين فئتي الأنصار مما يتيح لهم أن يكونوا كذلك، فهؤلاء المعادين لنا هم الأكثر استحقاقا للمصداقية، وعلى الرغم من ذلك فمن الأفضل عدم الثقة في الاثنين على حد سواء والاعتماد على السلطات الأقل عرضة للشك، وهذا ما سأحاول القيام به، الثقة في الحب العميق الذي أحمله لبلادي ليشجعني على أن أرد إليه احترام الحقيقة بدلا من الإيقاع في شرك الكذب المزين.

هذا الأخير هو خطأ لا أستطيع بالتأكيد اتهام المؤلف المجهول لوقائع صقلية التي نُشرت في مجموعات مختلفة، ولكن أكثرها دقة هي وقائع دي جريجوريو (المكتبة الأراجونية، المجلد الثاني) وهي الوقائع التي يعتقد المثقّفون أنها معاصرة وتستحق الثقة بشدة. (المرجع نفسه ص ١٠٩، ١١٣) هذا المؤرخ البسيط المثابر في نسخ الوثائق المُقل بشدة في كلماته الخاصة ربما يضجر من المرور على واقعة دراويت في صمت ورواية أنه في الساحة المفتوحة أمام كنيسة (سانتو سبيريتو) بدأ العديد من قاطني باليرمو برفع الصرخة المنادية بالموت للفرنسيين، ولكنه بعد فترة وجيزة يبدد كل شك بإضافة وعلاوة على ذلك فهذا المؤرخ موصى به بسبب دقته البالغة وبحثه المتعلق بالفترة المذكورة.

في نفس الحقبة عاش (نيكولو سبيسيال) وهو رجل من رجال الدولة، ومثقف وفقا لتقدير تلك الفترة، ففي عام(١٣٣٤) أرسله فريدريك الثاني كسفير لصقلية إلى البابا بنديكت الثاني عشر (مقدمة موراتوري -أعيد طباعتها من قبل دي جريجوري في المكتبة الأراجونية- المجلد الأول، ص. ٢٨٥) وبالتالي: فإنه كاتب لديه ميزة واحدة وعيب واحد:

الأولى: أنه عاش في زمن ومشاهد تمكّنه من تمام ودقة المعرفة، وليس بوصفه مجرد سارد جاهل للحقائق التي كتب حولها، حيث أنه إمّا أن يكون قد رآها بعينيه، أو استمدها من مصادر موثوق بها.

وبالنسبة لعيبه الوحيد: فيتمثل في أنه كان عرضة لإغراء إخفاء الحقيقة بحيطة متوددة للبلاط، بعض أجزاء تأريخه لأوقات حكم فريدريك ليست في الحقيقة خالية من تلك التحفظات الحذرة فيما يتعلق بثورة القائمين بالصلاة المسائية: لم يذكر أي من التصاميم السابقة لبطرس، ولا ينبغي عليّ أن أنظر بعين الاعتبار إلى صمته في هذا الصدد، والمؤيد من قِبل سلطات أخرى، وأثناء رواية واقعة دراويت يواصل سبيسيال حديثه الذي يجب أن يُفهَم على أنه دلالة لغرضي الانتقام والخلاص المعلّقين في أذهان المظلومين الذين لم تخضعهما العبودية إلى الامتهان الصاغر، وتم وضع أي تفسير آخر جانبا بسبب العبارة الواضحة أن الثورة اندلعت (نفس المرجع، ص. ٣٠١) هذا الإنكار المطلق لأي خطة متفق عليها سابقا يجب أن يكون له قيمة كبيرة لدى رجل مثل (سبيسيال) الذي ربما يكون قد أخفى الحقيقة من خلال الصمت، ولكنه لم يؤكد أبدا الكذب في أمر له مثل هذه الأهمية ومشهور بحكم الضرورة.

هذه الحجج لا تزال تشكّل قوة أكبر عندما تُطبق على (بارتولوميو دي نيوكاسترو) من ميسينا، فهو محامى وقاضى مسينا الجمهوري خلال الثورة. (وثيقة العاشر من مايو(١٢٨٢) في مخطوطات مكتبة باليرمو، ناقص ٤، ص. ١١٦) أصبح بعد ذلك محامياً لمحكمة الخزانة، وسفيراً لصقلية من جيمس الأول للبابا هونوريوس عام(١٢٨٦)،(دي جريجوري، المكتبة الأراجونية. المجلد الأول. ص.٤، مقدمة موراوري) ولم يكن فقط من النخبة، ولكنه شارك في كل الأحداث العامة خلال فترة الثورة، وكتب تاريخ حياته الذي لازال متجددا في ذاكرته عام(١٢٩٥) حيث ذكر في مقدمته جيمس ملك صقلية وفريدريك أراجون، وهو طفل رضيع وتراجع بسرده إلى العام(١٢٩٣) ولم يظهر أدنى أثر لكونه أحد رجال الحاشية الملكية في كتاباته التي تُظهر صراحة كبيرة متحدة مع كافة مشاعر الوطني الميسيسيني في تلك الفترة، وبالتالي: يروي بارتولوميو (الباب السادس عشر) بصراحة خطط بطرس أراجون المخطط لها منذ فترة طويلة ضد مملكة صقلية، والاسعدادات للبعثة المتجهة لكاتالونيا، ولكن حينما يأتي إلى الحدث الفعلي لثورة القائمين بالصلاة المسائية، يرويها ببساطة كبيرة وذلك حتى لا يثير الشك، إمّا بوجود سبب خفي لاندلاعها، أو أي قمع أو إخفاء من جانبه.

وعلاوة على ذلك يجدر بنا أن نذكر أنه لا يُظهر أي مجاملة لباليرمو، وإنما يهبط بنفسه إلى مستوى المفاخر التافهة والقصص الطفولية من أجل تمجيد ميسينا فوق المدينة الشقيقة بما يتوافق مع الغيرة المتبادلة التي سادت حينئذ- ولفترة طويلة لاحقة- والتي تأسف بشدة عليها المدينتين بالإضافة إلى مدينة صقلية بأكملها وذلك

بعد اكتسابهم الحكمة –الآن- من خلال الخبرة، وبالتالي: فإن (نيوكاسترو) الذى كتب تحت رعاية ثورة ناجحة، لم يكن ليفشل بالتأكيد إذا كانت الظروف المحيطة قدمت له أي دليل ليمنح مواطنيه الفرصة في المشاركة في مجد الضربة القوية الأولى، ولا يحرم المدينة من المنافسة على شرف الانفجار المفاجئ للانتقام، والذي كان يمكن أن يكون أكثر نبلاً من أية مؤامرة سرية، وحيث أنه منذ ذلك الحين، التزم المؤرخ المجهول وسبيسيال ونيوكاسترو الصمت بشأن مؤامرة بروسيدا، فيجب أن نستنتج إمّا أنه لا وجود لها أو ليس لها تأثير في إحداث الثورة، فلو كانت الأخيرة النتيجة المباشرة لمثل هذه المؤامرة، فلن يجهلوا الحقيقة ولن يغامروا بالمرور عليها مرور الكرام، ولقد تبع نهجهم كاتبان معاصران من كاتالونيا ويُدعيان (روموندو مونتانير، وبرناردو ايسكلوت) ولم تستحق كتاباتهما حتى الآن المرتبة التي تستحقها في تاريخ الصقلي. فالأول أُقتبست كلماته باعتدال من قبل عدد قليل فقط من مؤرخينا، أمّا ايسكلوت لا يزال غير مشهور إلى حد ما على الرغم من أن زيوريتا يذكره في بعض الأحيان في حوليات أراجون.

وُلد مونتانير في بيرالادا عام(١٢٦٥ أو ١٢٧٥) وهناك تباين حول هذا الموضوع في نصه (- برشلونة، ١٥٦٢) وكان في خدمة بطرس أراجون وجيمس وفريدريك الصقليين، وعاد في سن متقدمة إلى بلده عام(١٣٢٥ أو ١٣٣٥) وقد أخذ على عاتقه تأليف وقائعه، فهو جندي ذو حظ ومؤمن بالخرافات، تجده متباهيا برجال بلدته ومفتخرا بملوكه بصفة خاصة، وقد شوّه كل الأسماء والحقائق، وخصوصا عندما تحدّث عن البلاد الأخرى، وفيما يتعلق بتشارلز من أنجو والأمراء اللاحقين في قصر شوابيا قبل عام(١٢٨٢) سجّل

خرافات غريبة بأسلوب حيوي أحيانا وممل أحيانا أخرى وذلك بسبب كثرة المواعظ به، ولكن أسلوبه دائما كان زاخراً بالشعور الديني والحكم السياسي والخبرة العسكرية، وبالتالي -فيما يتعلق بحقائق تلك الوقائع (التي تبدو في كثير من الأحيان وكأنها أخذت بشكل عشوائي من السرد الشعبي للجنود والبحارة، وكثيرا ما تختلط في ذاكرة المؤلف الذي بدأ الكتابة في سن الستين) يجب علينا أن نقرأها بحذر شديد، خاصة في الجزء الخاص ببدء الحكم الأراجوني في صقلية، عندما يُثار الشك في مسألة ذهاب مونتانير إلى هناك بنفسه، حيث يذكر الكاتب (الفصل الخامس والعشرون والثاني والأربعون) غرض انتقام بطرس لمقتل مانفريد وكونرادين وانزو (الذي كان يذكرهم أيضا تحت اسم اس (١).

(١) كان انزو ابنا غير شرعي للإمبراطور فريدريك الثاني من امرأة شابة تنتمي لسلالة نبيلة في أكتوبر عام (١٢٣٨) تزوج من (اديلاسيا) وريثة سيادات توري وجالورا في سردينيا وأرملة (أوبالدو فيسكونتي)عاهل كالياري، والذي حصل بعد ذلك على لقب ملك لتوري وجالورا أحياناً وسردينيا أحيانا أخرى، وقد زادت هذه الزيجة من عمق الخلاف بين الإمبراطور والبابا واللذين طالبا بالسلطان على الجزيرة.

تعاون الملك إنزو، الذي تميز بموهبته وحيويته وجماله الشخصي، مع والده بشكل فعَّال، فنصّبه والده في يونيو(١٢٣٩) نائباً على مدينة إيطاليا بأكملها مع صلاحيات واسعة جدا، وقد تم إدراجه في العزل الكنسي الذي تم إعلانه في العام نفسه ضد الإمبراطور من قِبل جريجوري التاسع. وفي عام(١٢٤٩) أُخذ أسيراً في معركة وقعت على ضفاف نهر (سكولتينا) من قِبل البولونيين، وقد نالت صفات الملك الشاب النبيلة وشجاعته وإنجازاته وجماله الإعجاب حتى من قِبل

أعدائه، ولكن المجلس المحلي للمدينة حكم عليه بالسجن مدى الحياة، ولم تفلح تهديدات ومفاوضات الامبراطور ولا عروض الفدية في إطلاق سراحه، وخاصة بعد أن اختفى الأمل الأخير بوفاة والده، ومما زاد احتجازه مرارة بسبب إهمال زوجته والمعاملة الخشنة التي تلقّاها من البولونيين الذين أبقوه، من بين ملوك آخرين، محجوزا لمدة أربعة عشر عاما في نفس الغرفة مع كونت من سوليمبورج، والذين نصّبوا أنفسهم رسميا ، ولكن ابتهاجه لم يفارقه ووجدت الصداقات وحتى الحب طريقهم إلى سجنه.

في العام العشرين من احتجازه، وصلت إليه أخبار الهزيمة ووفاة كونرادين، وهو الحدث الذي فتح المجال لمطالبات وواجبات والسلاح الذي أعدّه، وبدون مقدمات أكثر يتطرق بعد ذلك (الفصل الثالث والأربعون) لذكر اندلاع الثورة في باليرمو خلال الاحتفال بالمهرجان في كنيسة تقع بالقرب من بونت ديل أميراجليو والتي، في الواقع لا تبعد كثيرا عن كنيسة سانتو سبيريتو يذكر الإهانات التي تُقال للنساء، وأن الفرنسيين -وفقا لإدعاء البحث عن أسلحة لديهم- (وكتب ما كتبه باللهجة الكاتالونية) ثم إنتقل لرواية حملة بطرس لإفريقيا حيث أنه، من أجل تضخيم عظمة ملكِه، جعل سفراء من باليرمو وغيرها من المدن يأتون قاصدين إياه وهم يرتدون ملابس الحداد ويرفعون الأشرعة السوداء على ألواح سفنهم ويغمغمون كالأطفال أو بالعبيد، ويستمر في سرده بهذا النمط.

نجد ثقلا أكثر للتاريخ في وقائع ايسكولت وهو فارس كاتالوني قام بالتأليف في عام(١٣٠٠)(وقائع ايسكولت ترجمت إلى الإسبانية بواسطة رافايل سيرفيرا، برشلونة، ١٦١٦، مقدمة المترجم، إشعار من بوشون، يسبق الطبعة الأصلية للنص الكاتالوني، باريس، ١٨٤٠). هذا الكاتب لا يخلو تماما من روح آمال جديدة أمام الابن الوحيد المتبقي للامبراطور فريدريك تمكّنه من

النجاح في استعادة حريته، وبمساعدة عدد قليل من الحلفاء: قام بمحاولة للهروب، وكان على وشك النجاح عندما فضحه جمال شعره، وتمت إعادته إلى السجن ليقضي ما تبقى من حياته في عزلة في سجن أشد قسوة.

وفي ظل مثل تلك المصائب المتراكمة خمدت روحه النبيلة، فكتب وصية مؤثرة على حد سواء في مضمونها وروحها، فقد كان يوصي لأبناء أخيه ألفونسو من كاستيل وفريدريك من تورنجن وكونراد من أنطاكية بكافة الاستحقاقات للميراث الضخم بمنزل شوابيا، وفي الوقت نفسه طلب منهم على سبيل عمل الخير دفع القليل من النفقات المحتومة وبعض الإعانات لبناته، وإعفاء آسريه من كافة الأخطاء التي ارتكبوها ضده، توفي في الرابع عشر من مايو(١٢٨٢) وهو في سن السادسة والأربعين بعد أن سُجن لمدة اثنين وعشرين عاما، وتسعة أشهر، وستة عشر يوما، وقد قام البولونيون- كما لو كانوا يستهزءون به- بدفنه كملك وأقاموا نصباً تذكاريا له.
هذا هو تاريخ الملك إنزو الذي يملأ واحدة من أكثر الصفحات حزنا في حوليات قصر (هوهنشتاوفن) المجيد ولكن المشؤوم في نفس الوقت.
انظر في تاريخ رومر لهوهنشتاوفن، المجلد الرابع. ص ١٥، ٥١، ٥٢، ٢٥٢ - ٢٥٥، ٦٢٤- ٦٢٨، - ترجمة.

القومية التي تنحدر لتصل إلى الغرور، لكنَّا نجده حسن الاطلاع فيما يتعلق بالحقائق، وبارع في اكتشاف الأسباب، بل إنه يحصد الكثير من الثناء من أجل النظام المُلاحظ في سرده ورُقي أسلوبه، فهو يقدم العديد من الوثائق في شكل مختصر والتي تتطابق بدقة مع النسخ الأصلية التي نشرت في بلدان أخرى في فترة لاحقة من ذلك بكثير، ويميل إلى حد ما إلى الجانب الملكي، ولكن دون خنوع، كما أنه التزم الصمت تماما فيما يتعلق بخطط ملك أراجون، مبينا أنه قد تم إعداد السلاح من أجل

الحملة الإفريقية والتي يصفها بدقة بالغة، ويمثل سفراء صقلية على أنهم آتين لبطرس في إفريقيا، وأن هذا الأخير يقبل المملكة، وفي الوقت نفسه يؤكد جميع القوانين والامتيازات والعادات التي كانت موجودة إبان حكم وليام الثاني، ويصف ثورة القائمين بالصلاة المسائية، وفقا لما يؤمن به الكتّاب المعاصرون به بشدة، على أنها نتيجة للظلم الذي لا يطاق كما أنها نتيجة مباشرة للإهانات الموجّهة للنساء، والضربات الموجّهة للرجال والتي استاءوا منها.

جميع هذه التفاصيل ليست مصطفة معا بارتباك وإهمال، ولكنها متصلة ومسجلة بوضوح ودقة متناهية. (الكتاب الأول. الباب السابع عشر في الترجمة الإسبانية، أو الباب السابع والسبعين.. إلخ في النص الكاتالوني.) ولكن بعيدا عن الكتّاب على الجانب الصقلي، نجد أن ثورة القائمين بالصلاة المسائية ممثلة بنفس وجهة نظر هؤلاء الحياديين أو حتى العدائيين، فيتحدث مؤلف الوقائع التي تحمل عنوان "الانجازات الفرنسية المجيدة"، والذي هو فرنسي بالتأكيد، عن "المعدات الصغيرة" لبطرس أراجون والشكوك التي أثيرت بهذه الطريقة في صدور الملك تشارلز والبابا مارتن، ويروي بعد ذلك كيف قتل سكان باليرمو (دوتشيسن، مخطوطة تاريخ فرنسا، المجلد الخامس. ص. ٧٨٦ - ١٢٨١). والآن هذا الرجل الفرنسي، الذي لا يقدم خطوطاً عريضة واقعية للحدث ولا يظهر أية حاجة للمعلومات: ينبغي أن يتحدث عن استعدادات بطرس، ثم عن اندلاع الثورة، ولكن عدم الإشارة إلى المؤامرة، هو من وجهة نظرى، لا يمثل حجة ضعيفة ضد وجودها من الكتّاب الإيطاليين ذوى الفصائل المختلفة، بالإضافة إلى العديد من الغويلفيين، فالقائمة طويلة. *النصب التنكاري لبوديستا من ريجيو*، والذي تم تأليفه في تلك الفترة من قِبل غويلفي متعصب، غير ذي جدوى لبطرس أو للصقليين: يكتب المؤلف (موراتوري، ار اي اس، المجلد الثامن ص ١١٥٥) :"أنه كان يتم التفكير في الزواج بين نجل بطرس وابنة

تشارلز، وأن ملك أراجون قام بخدعة توجيه قواته ضد الملحدين وإستخدام مملكة صقلية هذا التعبير "المحتال" يمكن فهمه فقط على أنه إشارة إلى ما يشبه السلام، لأنه فيما يتعلق بثورة القائمين بالصلاة المسائية: تسرد الوقائع (المرجع نفسه ص. ١١٥١) أن الصقليين "يثورون ضد من ينتمي إلى الملك تشارلز" وقد ذبحوا الفرنسيين، ولا تسرد الوقائع شيئا عن المؤامرة مع البارونات، ولكن على العكس: تضيف أن بطرس قام بالحملة الصقلية يساعده في ذلك ملك إسبانيا وباليولوجوس.

وقائع بارما المعاصرة أيضا تروي الواقعة بشكل مختلف عن الآخرين، فوفقاً لها: ضرب رجل فرنسي أحد سكان باليرمو بقدمه ومن هنا نشأ النزاع والنداء العام والمجزة التاريخية وتمضي الوقائع لتسرد وصفاً موجزا للأحداث، (في موراتوري اي اي اس، المجلد التاسع، ص. ٨٠١ - ١٢٨٢) ولكننا لا نجد أى أثر لسابقة فهم أول مؤامرة.

(فرا تولوميو) من لوكا: مُعاصر أيضا وهو يقدّم وصفاً تفصيليا للمفاوضات بين بطرس من أراجون وباليولوجوس، ويعلن أنه رأى المعاهدة، فحسب قوله:" قام البابا مارتن عند الالتماس الخاص بتشارلز أنجو بعزل الامبراطور اليوناني، فأرسل هذا الأخير جون من بروسيدا وبينيديتو زاكاريا من جنوة ومعهما مبلغ من المال لبطرس من أراجون الذي أعدّ أسطولاً، وبالنسبة لاستفسار البابا بشأن وجهة هذا الأسطول، أجاب:" أنه سيقطع لسانه بدلا من أن يفشي هذا السر" وبناءً على ذلك قامت الثورة في باليرمو، والتي أثارتها الجروح المتكبّدة.

ويلي ذلك تفصيل للحقائق فكلمة واحدة فقط هنا ذات معنى غير معروف تستحق الإشارة، وهي أن الثورة جاءت لاستعادة الملك بطرس بناءًا على مناشدة زوجته العاجلة، ولكن من بين كل تلك التفاصيل الدقيقة لا نجد

شيئاً يتعلق بمجيء بروسيدا إلى صقلية، أو بمؤامرة مع البارونات.

ويشير تعبير "استعادة" بلا شك إلى الجميل الذي أظهره بطرس بعد ذلك إلى الثورة، أو إلى بعض التشجيع الغامض المُسرد سابقا. (تولوميو من لوكا، تاريخ المكتبة الكُنسية ٢٤ الباب الثالث والرابع والخامس في موراتوري ار اي اس، المجلد الحادي عشر. ص ١١٨٦، ١١٨٧، والمثل في الحوليات، المرجع نفسه. ص. ١٢٩٣)

(فيريتو فيسينتينو): مؤلف الوقائع التي تتبنى الفترة ما بين(١٢٥٠ و ١٣١٨) وهي الفترة التي من المحتمل أنه عاش فيها، يُسجّل بالمثل ممارسات الإمبراطور اليوناني مع ملك أراجون والتحريضات من قِبل جون من بروسيدا، والمال المُعد والتسليح اللازم كنتيجة، وبعيدا عن ذلك: لم يكن دقيقا للغاية، فهو يقول أن بطرس قد أبحر مباشرة من كاتالونيا إلى ميسينا، وأن النزاع قد تم التفاوض عليه خلال حصار المدينة لتجنيب إراقة الدماء.

ولم يذكر الصقليون أبداً -دون إلقاء اللوم عليهم- ما تجدر ملاحظته هو: أنه يقول أن بطرس قد تم استدعاؤه من قِبل الشخصيات الرائدة في المملكة الذين استولوا على الحكومة دون وجه حق بعد مقتل الفرنسيين، وهذا يجعلنا نستبعد أية فكرة تتعلق بوجود مؤامرات سابقة بينهم وبين الملك. (في موارتوري ار اي اس، المجلد التاسع. ص. ٩٥٢،٩٥٣)

في وقائع نابولي القديمة، (مجموعة وقائع، يوميات وما إلى ذلك، نُشرت في نابولي، ١٧٨٠، بواسطة برناردو بيرجير، المجلد الثاني. ص. ٣٠) نقرأ "١٢٨٢".

لا يذكر جيوردانو في الرسالة الفاتيكانية المزيد عن ثورة

القائمين بالصلاة المسائية أكثر مما تحتوي عليه كلماته (في حوليات رينالد الكُنسية ١٢٨٢، § ١٢).

يروي (باولينو دي بيترو) تاجر فلورنسي معاصر، وحر، بقدر ما يمكن أن نتصوره، من كل شعور حزبي فيما يتعلق بشؤون صقلية الثورة بالكلمات الآتية، والتي نسخناها عن طيب خاطر نظرا لأناقة اللغة وبساطة الأسلوب العتيقة (موراتوري ار اي اس، الإضافة، المجلد السادس والعشرون، ص. ٧٣). هذه الرواية على الرغم من تفاوتها عن الحقيقة، تثبت أن تاريخ الثورة بدأ في فترة مبكرة جدا في إيطاليا ويمكن روايته في أشكال مختلفة، بعضها يخطئ في الحقائق بشكل أكبر في الأسباب، والتي تكون دائما أكثر صعوبة في كشفها، ولكن (باولينو دي بيترو) أخطأ فقط فيما سبق.

ليس ذلك هو حال المؤلف الجليل لحوليات جنوة (جياكومو دو أوريا، أو دوريا) الذي واصل كتابة الحوليات التي بدأ (كافاري) كتابتها منذ عام(١٢٨٠)حتي عام(١٢٩٣) وبما أنه يشغل منصبا متميزا في الجمهورية، عُهد إليه علنا برعاية تأريخ الأحداث التي وقعت في زمنه والتي إمّا أن يكون قد رآها بنفسه، وإمّا أن يكون قد علمها من شهود يستحقون التصديق وسط سكان جنوة التجاريين والبحريين الذين يقومون بتعاملات معتادة مع صقلية ونابولي، وهكذا، جاءت بعض السفن الجنوية مدفوعة الأجر من قِبل الملك تشارلز لمهاجمة ميسينا وكان هناك جنويون آخرون في ميسينا وغيرها من المدن الصقلية أثناء الثورة، وشارك الكثيرين في الحروب المتتالية، إمّا تحت راياتنا أو تحت ألوية العدو، وبالتالي: يمكن للجميع أن يدركوا أن هذه الحوليات تتميز بالدقة والحكم الموضوعي، إنها حتى لترقى إلى نقطة معينة من النزاهة، وبما أن سرد الحقائق لا يبدو وكأنه يميل نحو أي من الجانبين، يمكننا أن نستنتج أن الكاتب تقيد إلى حد ما بواجبه كمؤرخ بدلا من المشاعر الغيبيلينية لعائلته.

الآن يبدأ المؤلف بالقول صراحةً أن سبب الفتنة يمكن العثور عليه في استبداد وقمع الفرنسيين، بالإضافة إلى إهاناتهم المباشرة للنساء، كما أنه لم يذكر مؤامرات بل ذكر تفاصيل الحقائق بدقة بالغة، ويقر صراحة استدعاء بطرس من قِبل الصقليين أثناء وجوده في إفريقيا، حيث لم يكن قد أحرز شيئا ذا أهمية. (موراتوري ار اي اس، المجلد السادس. ص. ٥٧٦، ٥٧٧). وليس هناك داعٍ لذكر المزيد من أجل إثبات قيمة دلائل حوليات جنوةً.

ولا يزال هناك ثقلا كبيرا في وقائع سابا مالاسبينا الذي ينقسم تاريخه إلى قسمين:

الأول: الذي ينحدر إلى عام(١٢٧٥) والذي نشره موراتوري (ار اي اس المجلد الثامن) من بين أشياء أخرى وتكملته التي تصل إلى عام (١٢٨٥) والتي تمثل أهمية كبرى بالنسبة لنا والتي نشرها (دي جريجوريو) (المكتبة الأراجونية المجلد الثاني). فقد ذكر هؤلاء المحررون المثقفون في مقدماتهم الثقة الكبيرة التي يمكن وضعها في هذا المؤرخ، كما ذكروا التميز النادر بالنسبة للفترات التي عاش فيها، وقد كان رومانيا، ("مدني"، كما نجد في نهاية التاريخ في دي جريجوريو، في الموضع نفسه، ص.٤٢٣) "كبير الكهنة" في مالطا وسكرتير البابا مارتن الرابع، وقام بالتأليف في عامي(١٢٨٤ و١٢٨٥) في حين أن الأحداث التي يسجلها كانت لا زالت حاضرة، ويعلن في بداية كتابه أنه يمكنه بسهولة الوفاء بوعده باعتباره مرتبطا بشخص البابا مارتن أثناء الفترة التي كانت روما فيها المركز السياسي للنصرانية بأكملها، وكانت تحكم بسيطرة مطلقة على مملكة نابولي خلال فترة خطر الثورة الصقلية، بل إنه من المحتمل بشكل كبير أن يكون مالاسبينا قد كتب بنفسه العديد من نشرة مارتن وكلماته وتفاوض في أخطر شؤون الدولة، وليس هناك أدنى شك في أنه على أية حال كان على علم تام بها.

وفي الواقع يتفق سرده الذي يعالج -بصورة عابرة- ممارسات البلاط في روما ضد بطرس أراجون تماما مع الوثائق الأصلية، ويتطابق رسمه الطائش لعيوب الحكومة الأنجوية مع القوانين التي حكمت بها، أو مع القوانين المضادة التي أصدرها القائمين بالصلاة المسائية.

كثيرا ما نقرأ عبارات تثبت كونه شاهد عيان، وعلاوة على ذلك: أثناء سرده لملابسات ثورة القائمين بالصلاة المسائية يسجّل تدابير وأسماء وحكايات عامة حُذفت من قِبل مؤرخين وطنيين، فعلى سبيل المثال:" التحالف المباشر بين شعبي كورليونة وباليرمو والمؤكد في كل موطن من مواطن من وثيقة الثالث من إبريل عام(١٢٨٢) مما يجعلها تظهر أن مالاسبينا كان يمتلك ميزة المعلومات مقارنة بأي كاتب آخر في تلك الفترة، فنحن ليس لدينا دافع للتشكيك في دقته باستثناء لومه لبطرس والصقليين، فلم يكن هناك شيء يميل إلى الصفح عنهم أو يكسبهم فخرا، فمالاسبينا كان غوليفياً متعصباً، ويكتب بالاتجاه الغويلفي وبمرارة كبيرة تجاه الصقليين، وبطرس الذي وصمه كأسد وثعبان تتراءى دقته في مد حه للملك تشارلز باستثناء رثائه، بلهجة أسف ودية لإهماله في تقييد حرية تابعيه الذى يتحدث عنهم بمزيد من السخط والذي يرجع –أولا- إلى الاستياء الطبيعي من الاعتدال في الشهادة على مثل تلك الانتهاكات، وثانيا: إلى حزن الغويلفي الذين يعرف أنهم أثاروا عاصفة هائلة من العداء ضد حزبه.

إن الترتيب الذي يروي به مالاسبينا أحداث تلك الفترة هو كالتالي:

أولا: يسجّل ظلم المسؤولين التابعين للملك تشارلز، ثم بعض أحداث التاريخ الإيطالي قبل وفاة نيكولاس الثالث، وهنا يذكر بطرس أراجون لأول مرة، ويروي كيف شجعه جون من بروسيدا وروجر لوريا على القيام بغزو صقلية،

وكيف سلّح نفسه، وما الشكوك التي أثيرت في عقول تشارلز وملك فرنسا وفي بلاد البربر، ثم يستأنف سرد شؤون إيطاليا بعد وفاة نيكولاس، ويواصل سرده ليصف استعدادات تشارلز ضد باليولوجوس والاستياء المتنامي من تابعيه، وسوء حكم القائمين مقام تشارلز في روما.

وبعد مناجاة الملك بشكل مطول يذكّره كيف رفعه إلى عنان السماء في جميع أنحاء إيطاليا وكيف أثنى على حكومته في كل مكان، ولكنه لا يستطيع أن يغفر له خطاياه وهما الجشع والإهمال، ويتعجب قائلا :"ألم تكسب وتنتصر في العديد من المعارك؟ هل من المستحيل قهر هاتين الرذيلتين؟" وبدون تقديم أكثر، يمضي هنا ليروي اندلاع ثورة القائمين بالصلاة المسائية (المكتبة الأراجونية، المجلد الثاني. ص.٣٣١- ٣٥٤)، والتي يرجعها إلى إنتهاك حرمة السيدات، والتي لن يستسلم لها أجدادنا المُتعنّتون بهدوء، فيتتبع تقدم الثورة بطريقة لا تجعل هناك احتمالاً منطقيا بالاشتباه بأنها تطوّر لمؤامرة، بل تثبت بما لا يدع مجالا للشك أنها كانت انتفاضة مفاجئة أغرقت العاصمة بالدماء، وعندما أصبحت لا تُقَاوم، انتشرت في جميع أنحاء الجزيرة، ولم يذكر مالاسبينا كلمة تدل على وجود مؤامرة قبل أو بعد الثورة، أو تدل على وجود أى تفاهم بين بطرس وبين النبلاء أو المدن الصقلية (المرجع نفسه، ص. ٣٥٤ – ٣٦٠). كما لا يوجد أى أثر لذلك في خلال وقائعه بأكملها، ولا يضيف مالاسبينا أي اتهام من هذا القبيل إلى اللوم الذى يقع على عاتق الملك تشارلز في وقت قبوله لتحدي النزاع (المرجع نفسه، ص. ٣٨٨)، كما لا ينسب لبطرس أية خيانة أخرى باستثناء تسليح نفسه مُقدَما، وطلبه المساعدة من البابا مارتن بعد نزوله من على سفنه في إفريقيا، وهو الأمر الذي لا يمكن تلبيته حتى لا تكون ذريعة للتخلي عن الحملة الإفريقية، وتوجيه قواته إلى صقلية حيث استدعاه الشعب، الذي أعلن الجمهورية بالفعل، لاعتلاء العرش، وبالتالي: هذا هو أسوأ ما يمكن أن يتهم نصيراً صادقاً وحسن الإطلاع، ولكنه متعصباً

لبلاط روما، وللملك تشارلز الثورة الصقلية به، ولن يجرؤ أحد على تأكيد أن مالاسبينا كان جاهلا بالمؤامرة، أو أنه على علم بها ولكنه سيتردد في إظهارها للعالم.

دانتي: في ثلاث قصائد، يعطي رسما كاملا للحدث..

سيكون من غير المجدي بالنسبة لي أن أُذكّر القراء الإيطاليين، أو في الواقع قراء أى بلد تمتد إليهم حضارة أوروبا الحاضرة، بالدقة الصارمة للكوميديا الإلهية في كافة شؤون التاريخ الإيطالي، وبقدرة المؤلف على التسلل إلى أسباب الأحداث ووضعها بشكل بارع في إطار حركات قليلة، كتلك التي يستخدمها الرسّام لتتبُع الخطوط العريضة للوحة رائعة ويلبي بها جميع الرغبات، وأخيرا يبرهن بها على تمكّنه كمؤرخ معاصر لثورة القائمين بالصلاة المسائية.

لن أتوقف كي أثبت لمن لا يدركون ذلك بأنفسهم أن مثل هذه الكلمات المنسوبة إلى تشارلز مارتل (١) تلغي على الفور أية فكرة عن وجود مؤامرة مع البارونات، ومع ذلك، يجب أن أبدي ملاحظة أن دانتي هنا لم يرسم السبب فقط، لقد قام حتى برسم واحدة من أبرز ملامح الفتنة وهي الصرخة المتكررة في كثير من الأحيان "الموت للفرنسيين!" وهكذا: ستظل تلك القصائد الثلاث دائما التصوير الأقوى والأدق والأصدق لثورة القائمين بالصلاة المسائية في صقلية، والتي يمكن للعبقرية البشرية إنتاجها.

وفي رأيي، هؤلاء المعلقون على خطأ فالذين يتقيدون بالسرد الذي يعتبر صحيحا حتى الآن هم يؤمنون بأن الأسطر التالية تشير إلى الكلمات الذهبية البيزنطية التي كانت سَتُنقل إلى نيكولاس الثالث من قِبل جون من بروسيدا.

إن الرسم التصويري الذي قدمته في الباب الخامس من بابوية نيكولاس سوف يكون كافيا لإثبات أنه تصرّف

بجرأة ضد تشارلز قبل عام(١٢٨٠) بكثير عندما بناءًاً على وثيقة فيلاني كانت هناك دلائل على فساده.

obeikandl.com

(١) تشارلز مارتل، ملك المجر، الابن الأكبر لتشارلز الثاني. نابولي - ترجمة.

لقد سلبه وقار الكاهن في توسكاني والشيخ في روما، وفحصُه وتأمّله بألف طريقة منذ لحظة تسلمه لمنصب

البابا، انظر... (موراتوري، حوليات إيطاليا، ١٢٧٨) لذا فالمعارضة الجريئة لتشارلز والمُشار إليها هنا يمكن بالأحرى فهمها من خلال هذه الحقائق المؤكدة بدلا من المؤامرة المفترضة والتي- بالتأكيد- لم يشارك فيها نيكولاس، الذي توفي في(١٢٨٠) بشكل فعّال، ينطبق التعبير "المال بطرق غير مشروعة" على نحو أفضل على الاستيلاء المؤكد على الأعشار (زى الزكاة) الكُنسية وعلى المال المفروض ظلماً في الولايات التابعة للكنيسة (انظر فرانك بيبينو، المرجع نفسه، الكتاب الرابع. الباب ٢٠)، بدلا من انطباقها على الفساد الذي اتُهم به (أرسينو) سامي المبادئ، علاوة على ذلك سواء كان البابا شارك أم لا في المؤامرة، فلا يصلح ذلك بأية حال من الأحوال من أجل إثبات أن ثورة القائمين بالصلاة المسائية يرجع سببها لذلك،بل على العكس، وإذا كان دانتي على علم بوجودها ومع ذلك أرجع ثورة القائمين بالصلاة المسائية لسبب آخر، فسيوفر ذلك حجة أقوى لصالح وجهة نظري في هذه المسألة، ولا يجب علينا أن نمر مرور الكرام على صمت الشاعر فيما يتعلق بجون من بروسيدا الذي توفي عام(١٢٩٩) والذي لم يكن دانتي ليغفل وضعه بين الأرواح المباركة اللامعة، أو المدانة باعتباره صاحب الثورة في صقلية، لكنه لم يحكم عليه بما يستحق كي يحصل على مكانته في أيٍ من الفئتين.

وبالانتقال من التقاليد المكتوبة إلى الشهادات، فمن المحتمل أن يكون بلاط روما الذي أثار بطرس شكوكه بالفعل من خلال التسلّح في الموانئ الإسبانية: قد توجّس منه شرا بسبب أنباء الثورة في صقلية، وهكذا: في النشرة البابوية الصادرة في يوم صعود المسيح(١٢٨٢) فبعد سبع وثلاثين يوما من الثورة في باليرمو (رينالد، الحوليات الكُنسية، ١٢٨٢، § § ١٣ - ١٥)، يشكو البابا من أن العديد من الأشخاص الخبثاء ينتوون، نتيجة إصابة الملك تشارلز والكنيسة بذل الجهد من جديد لتأجيج لهيب الفتنة في صقلية ولذلك السبب حثّ جميع

الملوك والتابعين والإقطاعيين والمواطنين وجميع الأشخاص الآخرين أياً كانوا (المرجع نفسه § § ١٦، ١٧) على عدم التحالف مع المجتمعات الثورية والمتمردين في صقلية، وعدم تقديم المشورة أو المساعدة أو الخدمات إليهم، لكن أُشير إلى تلك المؤامرات من قِبل بلاط روما، وتم الحديث عنها بوصفها حاضراً وليس ماضياً، وعند الإشارة إلى بطرس فلا يعني ذلك إلا ما يمكن أن يتم مع الجمهورية الصقلية للحصول على عرض اعتلاء العرش، وليس إلى الأسباب التي أثارت ثورة القائمين بالصلاة المسائية.

ولكن بعدما جاء بطرس إلى صقلية أعلنه البابا في الثامن عشر من نوفمبر(١٢٨٢) صراحة أنه يتحمل العقوبات المنذر بها في هذه النشرة البابوية الأولى (رينالد، الحوليات الكَنسية، ١٢٨٢، § § ١٣- ١٨): وبما أن النزاع كان بحلول ذلك الوقت قد تمت تسويته بين الملكين: سعى لإلهاء تشارلز عن هدفه من خلال العديد من الحجج، والتي من بينها نجد تحذيرات من الأساليب الماكرة لهذا العدو الذي تملّك من صقلية كما ذُكر (رينالد، الحوليات الكَنسية. ١٢٨٣، § ٨). وهكذا كُتب بصفة خاصة لتشارلز، وعلى الرغم من أنها لا تزال غير محددة، كانت الاتهامات التي وجهها لبطرس أكثر قتامة في الدعوى المقامة لحرمانه من مملكة أراجون، والمؤرخة من قِبل أورفيتو في التاسع عشر من مارس(١٢٨٣). (رينالد، الحوليات الكَنسية ١٢٨٣، § § ١٥ - ٢٣ دوتشيسن، مخطوطة التاريخ الفرنسي. المجلد الخامس ص. ٨٧٥- ٨٨٢).

هنا نقرأ أن العاصفة قد هبت ونري أن بطرس انتصر . لأنه بطرح مطالب زوجته، واستخدم الاحتيال والمكر . ثم بتوجيه أسلحته ضد إفريقيا، جاء إلى صقلية وظل يحرض الشعب ضد الكنيسة، وأبرم تحالفات واتفاقيات ومواثيق مع المدن، أو بالأحرى اتحد معهم على المؤامرة والحرب غير العادلة، وبالتالي: اغتصب بالفعل

اللقب الملكي وأكد على ثورة - ليس فقط قاطني باليرمو- ولكن بقية الصقليين، وتحديدا قاطني ميسينا الحائرون فيما يتعلق بالرجوع إلى ولائهم أم لا.

وبتحديد الحقوق المفترضة لبلاط روما في مملكة أراجون لإثبات أن بطرس انتهك بالمثل ولائه الإقطاعي، عاد البابا إلى موضوع البعثة الإفريقية الذي لم يستطع التغلب عليه والذي كما يقول:" أثبتت الأحداث أنه مبتَدع بشكل صريح، "ترجمة لاتينية". وبالتالي بما أن بطرس عزل نفسه -بكل ما تعنيه الكلمة من معان- عن الكنيسة وأصبح معتديا عليها ومن خلال ذلك تولّى عرش أراجون، وأعفي رعاياه من قسمهم بالولاء، واحتفظ به لنفسه ليمنح الملكية إلى آخر،

وهكذا: يجب ألا نغفل عن ذكر أنه في نفس الدعوى قام البابا بالفعل باتهام الإمبراطور (باليولوجوس) المعزول بالفعل من الكنيسة وطرد من "الموالاة" لبطرس "ترجمة لاتينية"، كما ذُكر فيما بعد ليس فقط في التقرير العام ولكنه مقبول من ناحية الترجيح، ومع ذلك لم يتحدث مُطلقا عن وجود مؤامرة بينهما وبين الصقليين، ولم يفعل ذلك أيضا في النشرة البابوية الأخرى الموجّهة إلى الأساقفة الفرنسيين في الخامس من مايو(١٢٨٤)التي تنص على دوافع منح العشور الكنسية للحرب مع أراجون، والتي تتعلق الاتهامات بها بالغزو المختلق لإفريقيا، واحتلال صقلية "ترجمة لاتينية" (أرشيف فرنسا، J، ٧١٤، ٦؛ اقتبسها رينالد ولم ينشرها).

نجد هذه الجملة نفسها في أمر قضائي في التاسع من يناير(١٢٨٤) وذُكرت بالمثل في أمر قضائي من أورفيتو في العاشر من مايو(١٢٨٤).(المنسوخ في وثيقة من الكاردينال جون دي سانتا سيسيليا في فاوجيرارد قرب باريس، السابع من يوليو ١٢٨٤) والذي اتهم البابا مارتن بموجبه الكاردينال بوعظ الناس ضد بطرس، والذي قال بشأنه "ترجمة لاتينية" ما يلي: " (أرشيف فرنسا، J، ٧١٤، ٦). باختصار مارتن

باعتباره البابا ورجل فرنسي على حد سواء، فقد أُعمى بإخلاصه لتشارلز، وأعمى أكثر بكراهيته للثورة الصقلية، وكرّس نفسه لإثبات أن بطرس خطط وتآمر منذ القدم، وأنه عندما بدأ قاطني باليرمو الثورة بجرأة استولى على تلك الفرصة لانتزاع الحكومة من أيدي هؤلاء الذين انتزعوها بالفعل من تشارلز وذلك عن طريق الظهور في إفريقيا على رأس قوة مسلّحة، وحث الصقليين من خلال الرسائل على دعوته إلى العرش في آخر المطاف.

هذا بالضبط وعلى وجه الدقة هو بيان سابا مالاسبينا، حيث اتهم البابا ملك أراجون فقط بالخيانة المتمثلة في غزو صقلية دون إعلان سابق عن العدائية، ولقد أوضح بشكل متعمّد كل أهوال ثورة القائمين بالصلاة المسائية، ولكن دون وصم بطرس بالعار بأى شكل من شأنه أن يضيف إلى الحقيقة، على الرغم من أنه لم يهمل أية فرصة لتوريطه حتى في أبعد الأحداث، بل وحتى من خلال التأكيد العاري عن الصحة بأنه لولا مجيئه لكان قاطني ميسينا قد نفذوا الشروط، أضف إلى ذلك أن نفس الحقيقة المذكورة في جملة دعوى التاسع عشر من مارس(١٢٨٣) هي الأساس الرئيسي للاتهام، وهي أن تحريضات إفريقيا للصقليين للحصول على عرض اعتلاء العرش: من شأنها أن تمحو أية فكرة عن وجود مؤامرة، إذ يتضح أنه إذا كان اعتلاؤه للعرش متفقا عليه منذ فترة طويلة مع الصقليين، فلن تكون هناك حاجة لتأييد ذلك من خلال رسائل ومفاوضات، وعليه: إذا كان أشرس وألد عدو لملك أراجون والصقليين، والذي لم يحجِّم جماحه تردد أو مراعاة لم ينسب هذا السبب صراحة لاندلاع ثورة القائمين بالصلاة المسائية، وذلك في دعوى أُسست على مغالطات مثل ذكريات قديمة وشائعات مفخّمة باسم التقرير العام، ودوافع الاحتمالات، في حين يضاعف بثبات الافتراءات الكاذبة ضد بطرس، أستطيع أن أقول أن افتراضي تدعمه كلمات البابا مارتن نفسه، كما تؤكده -بلا شك- كلمات البابا هونوريوس الذي

يواصل كلماته في المراسيم التي نُشرت في عام(١٢٨٥) من أجل إصلاح حكومة مملكة نابولي (رينالد، الحوليات الكُنسية، ١٢٨٥، § ٣٠)، والتي تعيد إلى الأذهان الاغتصابات التي بدأها الإمبراطور فريدريك، والتي تفاقمت على يد تشارلز، قائلا: "ترجمة لاتينية". وفي الوقت نفسه أرسل خطابا إلى الكاردينال جيراردو بأسلوب مماثل مصدقا على هذه الاضطرابات الرهيبة الناجمة عن ابتزاز وقمع واضطهاد الحكومة الأنجوية (في رينالد، الحوليات الكُنسية، ١٢٨٥، § ١١). ومع ذلك، التزم هونوريوس - بثبات- بسياسة بلاط روما ضد الهيمنة الأراجونية في صقلية.

حتى الملك تشارلز نفسه لا يذكر أي من بطرس أو المؤامرة في رسالته المؤرخة في مايو ١٢٨٢ إلى فيليب الجريء، وفي المفاوضات الخاصة بالنزاع في بوردو يقيد نفسه باتهام غامض ضد بطرس بغزو صقلية "ترجمة لاتينية"، وبعد فشل النزاع عندما كان قلقه مضاعفاً بشأن تشويه سمعة خصمه عاد إلى الشكوى القديمة: أنه قبل احتلال صقلية كانت هناك فكرة بزواج إحدى بناته لأحد أبناء بطرس، وفسَّر كلماته السابقة على أنها تدل على الفساد والغدر والخيانة، ولكن وسط كل ذلك اللوم لم ينطق بكلمة واحدة تتعلق بوجود مؤامرة مع الصقليين (الوثيقة في موراتوري، حوليات، ناقص ٣٩، المجلد الثالث، ص.٦٥٠، إلخ).

كتب تشارلز الأعرج في وثيقة في الثاني والعشرين من يونيو(١٢٨٣) والموجّهة ضد بعض المسؤولين والمستشارين الجنائيين التابعين لوالده الملك قائلا: "ترجمة لاتينية" (بوسكيمي، فيتا دي جيوفاني دي بروسيدا، الوثيقة الخامسة).

وفي وثيقة تشارلز الأول المؤرخة في الخامس من أكتوبر(١٢٨٤) والتي تُعرض فيها أحداث الثورة الصقلية بمهارة بما يرضي تشارلز بالشكل الأمثل، والتي

فيها يغمر اللوم بطرس، وليس هناك أدنى ذكر للمؤامرة، ولكن فقط أن بطرس الذي كان صديقه سابقاً والذى دخل صقلية في الخفاء، ظهر أمامه باعتباره عدواً جديداً وغير متوقع، وبالمثل في وثائق المنح الإقطاعية الموجَّهة لفيرجيليو سكورديا من كاتانيا لم يذكر شيئاً عدا القليل ، وخلال نفس الفترة: نقرأ في وثيقة أخرى في العشرين من يوليو، الوثيقة الصناعية الثالثة عشر (١٣٠١)، والتي تُقدم ضمانات إلى بلدة جيراسي التي كانت تميل إلى معاودة الولاء لتشارلز الثاني، (المحفوظات الملكية في نابولي، المسجّلة والمؤشر عليها ١٢٩٩ - ١٣٠٠، ص.٧١، ٨٢) في تلك الوثيقة الخاصة بتشارلز الثاني.

تثبت جميع الوثائق بوضوح أنه حتى نهاية القرن الثالث عشر، ولم يجرؤ البلاط في روما، ولا بلاط نابولي بالحديث عن مؤامرة وطنية في صقلية، بل على العكس بالرضوخ إلى قوة الأدلة اعترفوا بالمسار الواضح لثورة(١٢٨٢) كما وصفته، ولكن بمرور السنوات: فكّروا في تمثيل الحدث من الجانب المظلم، والوقائع التي بدأت تُنسى أو تُحرف، ومن هنا نرى آثار اثنين من الوثائق: إحداهما للملك روبرت والمؤرخة في الثاني من سبتمبر(١٣١٤)، والأخرى لفريدريك الثاني من صقلية والمؤرخة في الثالث من الشهر نفسه، حينما كان روبرت يواصل حصار ترابانى، وكان فريدريك بدوره يحاصر جيش روبرت.

في ذلك الوقت حدث أن سفينةً من جزر البليار تعمل في مجال التجارة الصقلية تم الاستيلاء عليها من قِبل قرصان من نابولي، وأرسلت مدينة برشلونة إلى روبرت تطلب استعادتها، وفي إجابة مكتوبة إلى بلدية برشلونة سعى لإثبات أن الجائزة قانونية، وزعم من بين أسباب أخرى ما يلي: "ترجمة لاتينية". فتعبير "خوّان" يمكن أن يُفهم على أنه يعني إمّا غادرٌ أو خائنٌ، فنظراً إلى خرق يمين الولاء يمكن أن يكون هذا الأمر خيانة عظمى.

فريدريك مفنداً كل تلك الحجج يتحدث بإسهاب عن العدوان الغاشم لتشارلز ضد الملك مانفريد، والطغيان غير الأخلاقي والذي دفع به شعب المملكة إلى اليأس، تلك المملكة الذي احتلها بطرس فيما بعد، ويواصل قائلا "ترجمة لاتينية". وبالتالي: وأيا كان المعنى: فقد وصف ذلك الاتهام بالخيانة مما يظهر على حد سواء أنه لا توجد مؤامرة، وأن هناك ما يبرر تخلّص صقلية من الارتباط بالغاصب، ولا نجد أن روبرت أعطى أي رد.

وفيما يتعلق بكيف كان ذلك الاتهام غير محدد، وكيف كانت الإجابة دقيقة وإيجابية، يمكننا أن نستنتج أنه بعد اثنين وثلاثين عاما من الحدث، عندما أصبحت الثورة بالتأكيد معروفة تماما للجميع، حتى ولو تظاهر بلاط نابولي بالاعتقاد في وجود مؤامرة، لم ترغب الأسباب في دحض وإنكار ذلك.

ولكن وفقا للآخرين: سلمت التراث الشعبي شهرة بروسيدا حتى إلى عصرنا هذا، وبالنسبة للمؤامرة والحدث الوطني الذي يتمتع بمثل تلك الأهمية: فلا يمكن للتراث أن يخطئ.

ويمكنني الإجابة في هذه النقطة بأن كل ذلك في جميع الأوقات مغالط ومخادع وبلا وزن حينما يوضع في مقابل سلطة تاريخية أخطر، وعلاوة على ذلك: فالتراث الشفهي أفسدته النزوة والجهل بين الأمم البربرية، وأفسده الهوى والجهل، والتاريخ المكتوب بين الأمم المتحضرة يمتد هذا حتى إلى أقل فئة، وكلّما انتشر بسرعة أكبر كلّما ازداد غرابة وعجب ، فالناس والكتّاب ينافسون بعضهم البعض في تشويه الحقائق، فالتراث يُنشئ التاريخ المكتوب، والتاريخ في كثير من الأحيان يُنشئ التراث، وبالرجوع إلى سردنا الشعبي لثورة القائمين بالصلاة المسائية: نجد أن قتل جميع الفرنسيين

في الجزيرة قد تم في يوم واحد وأن جون من بروسيدا تظاهر بالجنون، وأخذ يتحرك في جميع أنحاء صقلية ببوق هامس، فكان يهمس في أذن كل من يلتقى به – إلى الحمقى الفرنسيين المختلين وإلى الصقليين – بسر المؤامرة، وخلط بهذه الخرافات السخيفة بعض الحقائق التي تتمتع بمظهر الحقيقة كالمحاكمة بالنطق، وذلك لتمييز الفرنسيين من الصقليين في المجزرة، ورفض الإسبيرلينغا.

كان القتل المتزامن لا يزيد ولا يقل عن السرد الرائع للفرنسي فرانسيسكو بيبينو لوقائع أستي، وما إلى ذلك والذي اخترق آذان الناس إمّا عن طريق سجلات مكتوبة، أو الثرثرة التقليدية حينما بدأ التراث الوطني الحقيقي في الضعف بمرور الوقت، ولذلك فنقل التقرير الشعبي في مقابل شهادة المؤرخين الأجلاء أو وثائق الدولة أمر عديم الجدوى.

علاوة على ذلك: إذا نظرنا إلى الطبيعة السياسية لثورة باليرمو والأحداث التي نتجت عن ذلك، فسيكون افتراض وجود مؤامرة غير وارد – يمكنني حتى قول أنه سخيف- وفقا لفيلاني والمؤرخين الآخرين الذين يشاركونه آرائه، فإن جون بروسيدا، وهو رجل من سلالة نبيلة وممن يحظون بثقة الملك أراجون المطلقة، والذي حرّكه حبه لبلده وكرهه لتشارلز، أو الإخلاص لبطرس، فقد تآمر للحصول على عرش صقلية من أجل هذا الأخير. تفاوض مع نيكولاس وباليولوجوس وبارونات صقلية، والآن مع تنحية التحالفات مع الحكّام الأجانب جانباً، والتي يمكن أن تميل فقط إلى الإضافة إلى قوة ونفوذ بطرس، وستكون دائما مفيدة سواء كانت هناك مؤامرة أم لا، ويجب أن تحتوي مفاوضات بروسيدا مع نبلاء صقلية على نقطتين

أولاهما: ترحيل الفرنسيين وتوجيه الدعوة إلى ملك أراجون، ومن ناحية أخرى يجب أن يكون البارونات قد طلبوا أن يكونوا على يقين قبل ملاقاة الموت بأن يكون بطرس جاهزا للقتال، وعلى استعداد لمساعدتهم في الهجوم الأول، أو على الأقل عند أول خطر، وبعد انتهاء الحدث يجب أن يكونوا قد أعلنوه ملكا، أو على أية حال أصبحت الحكومة تحت سيطرتهم.

ولكن من خلال كلمات المؤرخين الذين رووا المؤامرة- ناهيك عن الآخرين- نصل إلى أن ما حدث هو عكس ذلك كله، فبدأت الثورة الصقلية في باليرمو في الحادي والثلاثين من مارس، واكتملت في ميسينا في الثامن والعشرين من إبريل، بينما واصل بطرس من أراجون بناء السفن وإدراج القوات في كاتالونيا حتى الثالث من يونيو، وهناك شرح مستفيض لإتجاهه إلى جزر البليار، وبقائه هناك لمدة اسبوعين ثم الإبحار مرة أخرى وهبوطه في الثامن والعشرين من يونيو إلى إفريقيا، وبقائه هناك من أجل خوض الحرب مع الملحدين والتي استمرت إلى ما بعد منتصف شهر أغسطس.

على الجانب الآخر واصل الملك تشارلز، الذي كانت قواته على استعداد للحملة اليونانية بقوة حصاره لميسينا، والذي كان متوقعا لصقلية بشكل أسرع مما حدث في الواقع، وبالتالي: إذا احتاج بطرس إلى شهرين آخرين لتجهيز أسطوله وجيشه، فلا يمكن الإيمان بأن المتآمرين حددوا عيد الفصح لبدء تنفيذ مؤامرتهم كما روى ماليسبيني وفيلاني بشكل صريح.

وحتى لو كان نفاد الصبر أو الخطر قد سارع بتحركاتهم، وحتى إذا سلّمنا بأن بطرس -من أجل الإبقاء

على قناعه لوقت أطول قليلا- قد خاطر بنجاح المغامرة بأكملها بتأجيل مجيئه، لا يمكن أن ننكر أن مؤسسي الثورة الصقلية كان ينبغي أن يمسكوا بأنفسهم بزمام صلاحيات الدولة، ولكن المشكلة لا تكمن -فقط - في أننا لا نستطيع رؤية أية آثار لتورط جون من بروسيدا في الثورة، أو العثور على أية أسماء سُجِّلت من قِبل ماليسبيني وفيلاني، والمؤرخ المجهول للمؤامرة من بين قادة الشعب في اللحظة الأولى، ولكن أيضا أننا لا يمكننا العثور على أسماء أيٍ من الإقطاعيين الصقليين الكبار، أو أيٍ من العائلات التي كانت الأقوى والأكثر تميزا في ذلك الوقت.

في بعض الأماكن كان قادة الشعب رجالاً من الطبقة الدنيا والذين كانوا لا يحملون أية ألقاب أيا كانت، وفي أماكن أخرى كانوا رجالاً بأجر قليل، ربما يكونوا من ذوى الممتلكات الصغيرة، أو كانوا مجرّد جنود مدججين بالسلاح أو فرساناً، وهو تمييز وظيفي وليس سياسي بكل ما تعنيه الكلمة من معان، وقد تم اختيارهم بُناءاً على خبرتهم بالأسلحة، أو أية خاصية أخرى مميزة، وهكذا، نجد في باليرمو (روجر ماستراجيلو) ومعه اثنان من الفرسان، ورجل من الشعب في كورليونة وبونيفيس وآخرين في أماكن أخرى.

هكذا كان الحال أيضا مع المستشارين والذين نجد من بينهم العديد من المحامين، أى رجال من الطبقة الدنيا، والذين كان الشعب - أثناء الثورات- يرغب بشدة في تفويض السلطة إليهم، ويعتبرهم من نفس سلالته، ولكن مع مزيد من الثقافة، علاوة على ذلك: نرى الثورة تنشر نفسها في جميع أنحاء الجزيرة وفقاً للإتجاه الذي يتبعه سكان باليرمو، وليست على شكل حركات منعزلة والتي

يمكن نسبها إلى الإقطاعيين: نرى العديد من عامة الشعب يقطعون رؤوس الفرنسيين، ومع ذلك يترددون في الإعلان عن أنفسهم كثوريين، أي يتركون أنفسهم فريسة لدافع الغضب والانتقام دون أي هدف نهائي.

نرى اندلاع الثورة في ميسينا يبدأه العامة ويعارضه بعض النبلاء، وفي كل مكان نجد الحكومة المحلية المعلنة تحت حماية الكنيسة والتي كانت فعلياً على وشك استبعاد بطرس والإقطاعيين الذين ليس لديهم دور في الحكومة المحلية، وقد اجتمع كبار الموظفين الإداريين بالمدن والمقاطعات وتباحثوا في الشؤون العامة، واتفقت الفئات العامة للشعب على الروابط المتبادلة للاتحاد.

أمسكت باليرمو وميسينا بزمام المبادرة، وأجريت مداولاتهم من قِبل الجمعية العامة للشعب، فأين كان"البارونات" حينئذ؟ إذا كانت مذبحة الحادي والثلاثين من مارس والثورة اللاحقة نتيجة للمؤامرة إذا كان الانتصار تابعا للنبلاء المتآمرين: فيجب أن يكونوا قد توصّلوا إلى هدفهم ولم يخضعوا لحكومة الكنيسة أو حكومة الجمهورية، كما لم يعانوا من تشكُّل هذه الأخيرة في شكل ديمقراطي، ومن أعضاء ينتمون لصفوف الشعب ومن طبقة النبلاء الأقل، أو من مدن تتمتع بالحكم الذاتي، أضف إلى ذلك أن سيادة الكنيسة كانت عقبة أكبر في مسار ملك أراجون والذي كان عليه انتزاع المملكة- ليس من الغاصب الفرنسي- ولكن من الأسقف الأعظم، وبالتالى: لا يمكن إقناعي بأن مثل ذلك الإجراء قد تم تبنيه من قِبل إمّا بطرس أو أى حليف له، وعلاوة على ذلك: أضعفت تلك المؤسسات من قوة الثورة وحرمتها من شهرة الملك ومظهر السلطة الشرعية والقوة المركزية لزيادة نفوذها، وحملت معها الخجول والجريء

والأناني والكريم، وعلاوة على ذلك: كان إعلان الجمهورية في بلدة قريبة للغاية من جمهوريات إيطاليا، حيث يمكن للمؤسسات الشعبية أن تترسخ بسهولة، إجراءاً خطيراً، فالطبيعة البشرية والضرورة الاجتماعية تجعل من المستحيل أن يتخلى أمير طموح مُظفّر ومؤيد من قبل بارونات القرن الثالث عشر عن زمام الحكومة في مثل تلك المرحلة، وسيكون ذلك وحده كافياً لدحض بيان جميع مؤرخي تلك الفترة، حتى حينما اتفقوا في وصف ثورة القائمين بالصلاة المسائية على أنها التأثير المباشر للمؤامرة.

وتلخيصا لنتائج ما تم التصريح به: نجد أن ثورة القائمين بالصلاة المسائية تم وصفها على أنها تأثير فورى للمؤامرة من قِبل عدد قليل من المؤرخين الفرنسيين الذين لا يتمتعون بتأثير الكبير، بالإضافة إلى التابعين الغويلفيين لماليسبيني الذي يحاكي بدوره فيلاني الغويلفي بشكل أكبر ووقائع صقلية والتي ينتابنا الشك حول مؤلفها وتاريخها على حد سواء والتي أضُيفت إليها خرافات لا يمكن تصديقها بواسطة وقائع أستي، وبوكاتشيو الذي عاش لمدة نصف قرن بعدها، في حين أن نفس السرد رواه بشكٍ المؤرخ الرومانسي (فرا بيبينو).

جميعهم أصبحوا عُرضةً للشك من خلال روح الحزب، وبُعد الزمان والمكان وأخطاء أخرى غير معدودة، ولا يجب تسليط المزيد من الضوء على التراث الذي لازال موجودا في صقلية والذي أتلفه الوقت وأخطاء المؤلفين من ناحية أخرى، عندما نُنحي سبيسيال ونيوكاسترو والمؤرخ المجهول من صقلية وموتانير وايسكلوت والكتّاب المعاصرين غير المؤثرين من كاتالانيا: نجد

ثورة باليرمو تُنسب لحادثة، وللسخط الشعبي من جانب كاتب فرنسي، وأجزاء مختلفة من إيطاليا والتي من بينها أوريا وسابا مالاسبينا ودانتي وجميعهم لديهم أقوى المطالبات بالإيمان، وبصفة خاصة سابا مالاسبينا، بمن كان خادما للبابا.

إن وثائق تلك الفترة - بالمثل- لم تُشر إلى أية مؤامرة بين بطرس والصقليين، ولا إلى ثورة القائمين بالصلاة المسائية كنتيجة لهذه المؤامرة، ولكنها تنص فقط على أن ملك أراجون كان يُعد خططاً تتعلق بالجزيرة منذ فترة طويلة، وحينما حدثت الثورة: بذل أقصى جهده من خلال التآمر والتحريض، وأن العرش الشاغر ممنوح إليه.

تثبت المؤسسات المُنشأة والرجال التي عَهدت إليهم الثورة بالسلطة: أن القصة التي رواها المؤرخون الغويلفيون يستحيل حدوثها، ولكن يمكن جمع خطط بطرس السابقة بسهولة من نيوكاسترو ومونتانير وسابا مالاسبينا ومذكرات بوديستا من ريجيو وتعاملاته مع باليولوجوس من تولوميو دا لوكا وفريتو فيسينتينو ومن وثائق وخطابات البابا وتشارلز من أنجو على حد سواء، ويبدو كما لو كان السؤال قد حدده تولوميو وفريتو وسابا مالاسبينا لأنه -وفقا لمونتانير ونيوكاسترو- بعد الإشارة إلى خطط بطرس بشأن صقلية: يروي هؤلاء المؤرخون الثلاثة اندلاع ثورة القائمين بالصلاة المسائية، حتى أنهم يشيرون إلى أسبابها ولكن بدون أن يربطوا بين الاثنين بأى شكل من الأشكال، والآن: إذا كانوا على علم بتعامله مع باليولوجوس لكانوا بالمثل على علم ببقية المؤامرة وكانوا سيسجلونها إذا كان لها أى أساس في الواقع.

وهكذا وسط ارتباك القوى التاريخية يمكننا تمييز المسيرة الحقيقية للأحداث.

أصبح الحكم الأجنبي القاسي بغيضا للغاية في صقلية، فلم يكن هناك أحد، سواءً كان من النبلاء أو الفلاحين لم يشتاق للحرية، فالمُلاك العظام والذين كانوا دائما أكثر حذراً، وربما كانوا يستمعون إلى حُجج ملك أراجون الذي كان معتاداً على مشاركة استشاراته مع العديد من قادة مناف الحزب الشوابي، والذين من بينهم اعتمد بشكل رئيسي على جون من بروسيدا، ولم يعتمد على وطنيين، ولكن على وسائل الأمير الأجنبي الجريئة الحاذقة والحادة البصر ضد الطاغية والذي يتعرض مسقط رأسه للظلم على يده.

قام بطرس بمساعدة باليولوجوس -والتي كانت اهتماماتهما متطابقة- وتواطؤ البابا نيكولاس بإعداد أسطول وجيش صغير، والتي كانت قوته تبدو كما لو أنه يعتزم في الأساس مهاجمة صقلية، وذلك بمساعدة البارونات لأنه إذا كان قد عقد النية على القيام بالهجوم المزعوم على إفريقيا منذ(١٢٨١) لكان نفس الرياء قد حثّه على إبلاغ ذلك إلى فرنسا و إلى تشارلز والبابا بدلا من تعزيز شكوكهم بصمته، وبينما كان بطرس يتسلّح والنبلاء يترددون، (وربما، سنعترف بذلك، يثيرون غضب الصقليين) ولكنهم لم يفعلوا شيئا، إذ أنهم ربما لم يفعلوا أى شيء على الإطلاق لتحقيق رغباتهم في الواقع، قام شعب باليرمو بالضربة الأولى، وهم يشعرون بالمرارة من تفاقم معاناتهم في ظل حكم جون سانت ريمي، وغاضبون من الإهانات الموجّهة إلى النساء، ويغمرهم الدافع للصراع الذي أعقب ذلك.

لقد كانوا ذلك الشعب الذي ذبح الفرنسيين، وأنشأ بعد ذلك حكومة وفقاً لمنهجهم لأنهم احرزوا النصر وحدهم، وعند هذه النقطة نُذكّر القارئ بأن السلطة الإقطاعية في صقلية، سواءً في إطار الحكم النورمندى والشوابى لم تجتز الحدود المعتدلة للغاية على الإطلاق، وأن نظام المدن ذات النطاق الملكي كان مشهورا هنا، كما هو الحال في ألمانيا وبروفنس وكاتالونيا وإنجلترا، وأن المدن الإقطاعية تمتعت بلوائح محلية مستقلة عن مواليهم، وأن ذكرى الجمهورية عام(١٢٥٤)كانت لا تزال عالقة في الأذهان، وأن مثال المدن الإيطالية في متناول اليد، وأخيراً: أن جماعة البارونات بعد أن قام تشارلز بإحيائها إلى حد كبير، أصبحت مكروهة بالضرورة من خلال إدخال رجال جدد، وانتهاكات جديدة.

ومن هنا ظهر أن الجمهورية قد أُعلنت من قِبل شعب باليرمو، وأنهم نتيجة اجتيازهم الجزيرة بالأسلحة والقوة وما شابه، بالإضافة إلى تأثير الأسباب نفسها: استطاعوا - بسرعة- إقناع الجزيرة بأكملها بوجهة النظر الجمهورية، وفي صقلية كان هناك نبلاء وكذلك الناس وكان من المحتمل جدا ألا ترحب المؤسسات الديمقراطية بما سبق، ولكنها التزمت الصمت أمام قوة وحماسة الثورة، وسمحت للأمور بأن تسير في طريقها، وفي الوقت نفسه كانت عاجزة عن تأسيس حكم الأقلية وغير مستعدة للخضوع إلى جمهورية ديمقراطية، فواصلت مؤامراتها مع بطرس بتعصب مضاعف، ومن خلال تأثير الملكية وشهرة الأصل والتميّز الشخصي نجحت في آخر المطاف في كسب الهيمنة على مستشارى الأمة، والذين، على الرغم من اهتزازهم مؤخرا من خلال تحرّك شعبي كانوا قد اعتادوا منذ فترة طويلة على قوة أرستقراطية في نمط محدود.

أمّا بطرس الذي لم يتمكن من التقدم على الفور لمهاجمة الجزيرة لأن ذلك من شأنه أن يعني إعلان الحرب ضد الكنيسة والجمهورية، وليس ضد الغاصب، فدبّر البعثة الإفريقية حتى يُظهر نفسه جاهزاً بالأسلحة وفي متناول اليد، فقدّم نفوذ النبلاء على البرلمان له عرض اعتلاء العرش: وهكذاعلى الرغم من أن النطاق الواسع الذى يمكن أن نسمح للمؤامرة الأرستقراطية بالتمدد بداخله، ينبغي أن نصل إلى الاستنتاج بأنه بعيدا عن متابعة تخطيطها الأصلي من خلال ثورة القائمين بالصلاة المسائية، فإنها مع ذلك تحققت بعد خمسة أشهر في البرلمان الصقلي من خلال ممارسة للسلطة المدنية.

ولكن سرد ثورة القائمين بالصلاة المسائية وارتقاء بطرس للعرش، وخططه وتعامله مع باليولوجوس والصقليين يتواصل لفترة طويلة لينتشر في جميع أنحاء إيطاليا ووراء جبال الألب بدون مساعدة الطباعة أو سهولة أو تكرار التواصل، وبُناءاً على ذلك، تشوّه ذلك السرد بروح الحزب أو بالجهل المستعد دائما لإعطاء المزيد من المصداقية للباطل بدلا من الحقيقة والتي تعتبر وجبة بسيطة لا تسد جوعه.

في فرنسا وإيطاليا الغويلفية لا يَسلم السرد الذي يتلّون بالرأي العام من الخضوع لمزيد من التعديلات من أولئك المتآمرين مع بطرس، وضع بعضهم و- المستفيدين- من الغموض الطبيعي للاتفاقية لتمجيد أنفسهم وأصدقائهم في بياناتهم الحقيقة والكذب على حد سواء، واللذين تم تصديقهما باستعداد متساو، وبالتالي: تم ربط المؤامرة وثورة القائمين بالصلاة المسائية، ومجيء بطرس تدريجيا مع بعضهم البعض، ومع ذلك في

تلك الأيام الأولى كانت الحقيقة معروفة لمن هم أكثر دقة واستنارة، ولكن في غضون سنوات قليلة أصبح التراث الشفهي محرّفا، فلم تُقرأ الوقائع أو المُصدّقة فقط والتي تتناول المعجزات، فقد كان من المعروف أن قوة تشارلز كانت كبيرة للغاية، وأن ثورة صقلية كانت يُنظر إليها بأنها "تكاد تكون رائعة ومستحيلة" (جيو. فيلاني، باب ٥٦) وأنها "بواسطة الرب أو الشيطان" (باولينو دي بيترو، الموضع نفسه) وفي النهاية انتهى الأمر بالانتساب إلى سبب لا يقل روعة: مؤامرة بين ثلاثة ملوك والبارونات الرئيسية في صقلية، أمّا أنصار البلاط في نابولي الذين يفكرون أكثر في مصلحة هذا الأخير بضياع الجزيرة من قِبل مؤامرة ملعونة أكثر من قِبل تمرد عام، فقدّموا مساعداتهم لإشاعة ذلك.

كان الصراع في سانتو سبيريتو مخططا مع بدء المؤامرة الأيام الثمانية والعشرين التي استغرقها لإتمام الثورة في جميع أنحاء الجزيرة تم تقليصها إلى ساعتين، فكان صوت الجرس للصلاة المسائية بمثابة الإشارة المتفق عليها مسبقا، وكانت الأمة الصقلية بأكملها وكأنها تتآمر مع بعضها البعض لمدة ثلاث سنوات.

بهذا الشكل سُلمت الحقائق إلى مُجمعي تاريخ القرون المتتابعة، وإمّا بسبب الصدفة وإمّا سحر اللغة والأسلوب كانت وقائع ماليسبيني وفيلاني تلك التي حصلت على أوسع تداول، وبالتالي: ناهيك عن العديد من الآخرين.

ذكر أنجيلو دي كوستانزو مؤلف من القرن السادس عشر- دون الاقتباس من أي من القوى المعاصرة، والتقيد بخرافة لم يرويها حتى المؤرخيّن الفلورنسيين- المذبحة التي وقعت في جميع أنحاء الجزيرة في ساعتين (تاريخ ديل ريجنو من نابولي، الكتاب الثاني)؛ وما

يصعب تصديقه: دينينا (ريفول من إيطاليا، الكتاب الثالث عشر البابين ٣، ٤) يشير إليه وجيانون. (التاريخ المدني ديل ريجنو من نابولي، الكتاب العشرون، الباب الخامس) يتبنى هذا السرد الرائع، ويعتمد بشكل أكبر على بيان كوستانزو غير المُرجّح أكثر من ماليسبيني وفيلاني وغيرهما ممن يقتبس كلماتهم. كابيسيلاترو (تاريخ نابولي، الجزء الرابع، الكتاب الأول) يقع في نفس الخطأ حتى بعد اقتباس التاريخ باللهجة الصقلية التي تمنح المؤامرة أهمية، ولكن ليست أهمية المذبحة المتزامنة ولا يؤيد الأخير أى مؤرخ مشهورسومونت (تاريخ نابولي، الكتاب الثالث) يتبع فيلاني ضمناً وهكذا زوريتا (حوليات أراجون، الكتاب الرابع، الباب ١٧)، الذي كان مؤرخاً دقيقاً على الأكثر.

من بين الكتّاب الصقليين أعطى موروليكو (الكتاب الرابع، عام ١٢٨٢) وفازيلو (ناقص الثاني، الكتاب الثامن، الباب الرابع) تفسيراً الثورة، أي المؤامرة والكراهية المثارة بسبب سوء الحكم وظهور استفزاز درو، ويجمع موجنوز (راجواجلي ديل الصلاة المسائية في صقلية) دون تمييز المؤامرة والظلم والغضب من درو، والذي يمثله على أنه موجّةً ضد ابنة روجر ماسترانجييلو، أحد المتآمرين الرئيسيين، ويسجّل، في سلسلة من التلفيقات المخططة جيدا الحوادث التي أدت إلى ثورة كل مدينة أخرى في الجزيرة بالأسماء والتواريخ وكافة التفاصيل، كالعادة لا يقتبس أي قوة معاصرة، وسيكون من غير المجدي دحض تصريحات كاتب متفاخر من أصلٍ إسباني من القرن السابع عشر، وبصفة عامة يروي بوريجني:" رجل فرنسي ولكنه مؤرخ صقلي رئيسي والذي يحصل على تقدير أقل مما يستحق، المؤامرة ومغامرة درو، وعلى الرغم من إعطاء

المزيد من المصداقية للكتّاب الأكثر حداثة، وحتى لموجنوس يتوصل بوريجني إلى الاستنتاج الصحيح وهو أن المذبحة كانت عرضية (تاريخ صقلية، الجزء الثاني، الكتاب الأول، الباب الثاني). يسير كاروسو وانفيجيس وأبرييل وجالو وبونفيجليو وعدد لا يُحصى من المؤرخين الآخرين الذين يثقلون مكتباتنا على خطى هؤلاء المذكورين أعلاه، ويقترب دي بلاسي البسيط المجتهد من الهدف عندما يخلص قائلا :"أن المؤامرة المخططة سابقا، والتي كانت ستبدأ في يوم واحد في جميع أنحاء الجزيرة، كانت منتظرة من خلال حادثة لم تكن في الحسبان"، وبالتالي: اعتبر نفسه متصالحاً مع التفسيرات المختلفة والمتناقضة.

ولكن من بين المؤرخين الأجانب فأكثرهم شهرة إمّا يتبع وجهة نظري في هذه المسألة، أو يقترب جدا منها، فيواصل موراتوري الرزين (حوليات إيطاليا،١٢٨٢)، بعد سرد المؤامرة، وفقاً لتصريحات ماليسبيني و فيلاني، قائلا: "الآن، حدث أنه في الثلاثين أو- وفقا لآخرين الحادي والثلاثين من مارس- قام سكان باليرمو بعد حمل الأسلحة" ويواصل سرد الحدث دون أن يربطه أيضا بالمؤامرة.

ومن نفس المصادر يستنتج (سيسموندي) الأوسع خيالاً أن بروسيدا تسبب في ثورة صقلية - ليس عن طريق التآمر، ولكن من خلال إثارة مشاعر الشعب، وأيضا عن طريق إرسال النبلاء والجنود إلى باليرمو، وبالتالي: يفسّر رقباء (جياتشيتو ماليسبيني) لتولي توجيه الحركة، وهو متأكد تماماً أن الحادثة لن تتأخر طويلا، ومع ذلك يُرجع الثورة إلى انتهاك الحرمات، ولا يذكر المزيد عن شركاء بروسيدا، ويروي المذبحة المتدرجة في أرجاء

الجزيرة (تاريخ جمهورية إيطاليا في العصور الوسطى، الباب ٢٢).

وقبل سيسموندي صمم (بريكوجني) وهو مؤرخ من ذوي أكثر البحوث تدقيقا والذي اعتاد على إخضاع نصوصه إلى هذا التحقيق الدقيق، والذي لن يقبل شيئاً غير موثوق فيه في بضع صفحات أحداث ثورة القائمين بالصلاة المسائية على النحو المستمد من وثائق الدولة، وتوصّل منها إلى النتيجة التي مفادها:" أنه كان من الواضح أن الثورة الصقلية لم تكن نتيجة للمؤامرة، وأنه لا توجد مؤامرة." (المجلة الموسوعية، المجلد الثاني. باريس، العام الثالث، ١٧٩٥، ص. ٥٠٠ – ٥١٢).

وقد تبنّى (م. كوتش) نفس الرأي (مشاهد ثورات أوروبا، المجلد الأول، باريس،(١٨٢٣، ص. ١٧٥)، ويضيف أنه يعتبر أن "المؤامرة مع بطرس أراجون، والتي ترتب عليها قيام سكان باليرمو برفع راية الكنيسة بهدف الخضوع للبابا :" واردة على قدم المساواة مع المذبحة المتزامنة في جميع أنحاء الجزيرة" ولا يتبنّى شويل (مسار تاريخ الدول الأوروبية، باريس، برلين، المجلد السادس، ص. ٤٩) رأياً آخر وللاختتام بأسماء المفكريّن البارزين في القرن الثامن عشر: سأغلق قائمتي بفولتير وجيبون.

الأول: في تصويره السريع لتقلبات المجتمعات البشرية توقّف – للحظة - أمام ثورة القائمين بالصلاة المسائية، واستطاع تمييز المؤامرة من الحدث، وقال :"أن جون بروسيدا أعدّ عقول الشعب، ولكن انتهاك حرمة امرأة كان ذلك هو سبّب وقوع المذبحة" (مقالة عن عقل وآداب الأمم، الباب ٦١). وربما بعد فحص أدق للحقائق، يشكك

مؤلف انحدار وسقوط الامبراطورية الرومانية (الباب ٦٢) في أصل الحقائق التي يرويها بتفصيل، وبأقصى دقة تاريخية، حيث يقول:" يمكن التشكيك فيما إذا كان اندلاع الثورة في باليرمو هو نتيجة لحادث، أو لتخطيط!" ولكن ما يساوره الشك بشأنه في هذا الصدد أن هذا هو الخطأ(أي وجود بطرس المفترض على الساحل الإفريقي في فترة ثورة القائمين بالصلاة المسائية) وبالتالي يلقي باللوم على سبيسيال الوطني في :إنكار كافة المراسلات السابقة مع بطرس أراجون (البيان الفارغ) الذي تصادف وجوده مع أسطول وجيش على الساحل الإفريقي " ، ولوقارن المؤرخ الإنجليزي بين التواريخ لجنَّب سبيسيال هذا التهكم، ولأبعد عن نفسه كل الشك في أصل الثورة.

ففي الحادي والثلاثين من مارس قام سكان باليرمو بثورة ضد الفرنسيين، وفي التاسع والعشرين من إبريل لم تكن هناك مدينة في الجزيرة لم تنضم إليهم، ولم ينته ذلك حتى شهر يونيو عندما تم تأييد قضيته في مجالس صقلية، وربما عندما وصلته بالفعل رسالة عامة من الصقليين" بأن بطرس ترك إسبانيا متجها لإفريقيا".

لن أتحدث عن المؤرخين الجدد الذين تناولوا تلك الفترة، فالاختلاف في الرأي ليس دليلاً على الرغبة في الاحترام، ولا أرى أنه من الضروري دحض بياناتهم بشكل قاطع، واعتبر التفسيرات المُقدمة كافية للغاية لإثبات الطبيعة الخاطئة لوجهات النظر التي دُفعوا دفعا لاعتمادها.

الوثائق

يحتوي هذا المجلد على مجموعة مختارة من الخطابات الأصلية للقرن الثالث عشر، فوردت للأسلوب الرسائلي في تلك الأيام بعد العديد من الرسائل من كاردينال توماس

من كابوا وبطرس من فينيا وغيرها، فنجد –باستمرار- ثلاث وثائق تتعلق بثورة القائمين بالصلاة المسائية في صقلية.

الأولى: عبارة عن خطاب من سكان باليرمو إلى سكان ميسينا، (الوثيقة الأولى في العمل الحالي) والتي نُشرت كثيرا، وتتبعها مباشرة نشرة مارتن الرابع البابوية "ترجمة لاتينية" - نشرها رينالد- وما إلى ذلك، وتأتي بعد ذلك الوثيقة المذكورة كونها رداً على التنويهات الواردة في هذا الشأن من قِبل البابا، ولدينا كل سبب لنعتقد أنها أصلية مثل كافة الخطابات الأخرى دون استثناء، والواردة في المجلد، وعلاوة على ذلك يبدو الأمر وكأن الاهتمام في نسخهم يتبع الترتيب الزمني، لقد أبقيت بالفعل في النص (المجلد الأول، الباب الثامن) أن هذا الاعتراض الجريء كُتب بلا شك في صقلية وفي تلك الفترة تكفي قراءته حتى تقتنع بذلك، ومع ذلك لا يمكنني تأكيد ما إذا كانت تلك الخطابات مرسلة حقاً إلى البلاط الملكي في روما باسم الشعب الصقلي أم لا صراحة وجرأة اللغة، والتي لا تستخدم غالبا في المراسلات الرسمية، تجعل الأمر مشكوكا فيه، وفي الوقت ذاته من المحتمل جدا أنه بالنظر إلى الموقف الذي تبناه البابا والتخلي عن كل أمل في تأهدئة خصومته، فحكومة صقلية الجمهورية، أو حتى بعض المواطنين العاديين، قد يرغبون في انتقاده بشأن جميع الأخطاء التي ارتكبها بنفس الشجاعة الثابتة التي تحدّت بها ميسينا في تلك الفترة أسلحة تشارلز من أنجو، ويبدو أن الاحتجاج سُجل عام(١٢٨٢) وبالتأكيد قبل اعتلاء بطرس أراجون للعرش.

إن قواعد ضبط تهجئة هذه المخطوطة من شأنها أن تؤدي بنا إلى الاستنتاج بأنه ينبغي قراءتها وفقاً للغة الإيطالية بدلا من النطق الفرنسي.

"دون فريدريك من صقلية".

"لا تدع رجلا يضطرب بسبب الحرب، كما لا ينبغي لي أن أشكو من أصدقائي حينما أرى أقاربي يأتون لمساعدتي، ورعيتي تجاهد وتبذل ما في وسعها على شرفي حتى يمكن لاسمي أن يكون ممجَداً في جميع أنحاء العالم، وإذا كان ينبغي على فرد ما التخلي عني، فلا ألومه إذا انتقص علنا من اسم وشرف سلالتي، ولكن إنه أنا من يمكنه أن يجعل أفعال الكاتالونيين والأراجونيين يتردد صداها في ألمانيا، وأن يكمل العمل الذي بدأه أبي.

أؤمن أن المملكة هي حقي، ولكن إذا سعي أيٌ من أقاربي وفقاً لذلك الاعتبار أن يُنزل بي ضرراً، على أمل زيادة الشرف والرخاء، فله مطلق الحرية في الإضرار بي علناً، وعلى هذا الأساس، لن يغمض لي جفن، وسأكون دائما يقظا، وليكن معروفاً لأيما يسمع أن سلطاني على الشعب اللاتيني تسعدني، وبدون شك سيكونون لي وسأكون لهم، ولكن بالنسبة لأقاربي، ينتابني بعض الشك.

"إجابة كونت / نبيل أمبيورياس"

"أيها النبيل بطرس، اذهب واخبر الملك فريدريك الثالث

المبجّل أن فقدان الشجاعة ليس من النبل، ولكن دعه يصدقني، وألا يعتقد أنه يتعين عليه قبول أي عون من الأقرباء والأصدقاء الذي ينتظره من إسبانيا، ففي الصيف يمكنه الاعتماد على الحصول على هذا العون، واجعله يبقى عينيه مفتوحتين، وأن يعلم كيف يتلقى هذا العون في السر والعلن، كما لا تدعه يعتقد أن أقاربه يتمنون أن يخسر كل ما يمكنه خسارته من أجل الاحتفاظ بسيادة المملكة، أو أنهم يرغبون في الانقاص من قدره بهدف إثراء قد الفرنسيين، فالفرنسيين سيتركون السهول والجبال، يا ليت الله يُنزل بهم الحيرة ويُذل من غطرستهم! ولكن دعه يحصل على الشرف من جرّاء الصراع بين الملك والصقليين الذين دافعوا ببسالة عن المدن والدولة المفتوحة.

إنني سعيد بالملك الشاب الذي لا يترك نفسه فريسة لحيرة الكلمات، شريطة أن يتمكن فقط من الحفاظ على الفتح الشرعي غير المشكوك فيه للبلاد والذي قام به والده، وإذا استطاع ذلك: سنعتبره بالتأكيد من ذوي الخبرة".

إن هاتين القصيدتين الموجّهتين لفريدريك الثاني ملك أراجون والنبيل الكونت (أوجون كونت أمبيورياس) معروفتين منذ فترة طويلة، وقد اقتبسهما (كريسيمبيني وكوادريو) ووجدتُ أجزاء منهما في مجموعات من الشعر البروفانسي، وخاصة في مجموعات (راينوارد)، المجلد الخامس، ص. ١١٣، ١٥٤.) ولم يقم أحد حتى اليوم بنشر القصيدتين بالكامل، وذلك لأن تفسير بعض من الأشعار أصبح ميئوساً منه، وبالنسبة إلى الترجمة المرفقة فإني مدين لكرم السيد فاوريل المثقف

والموهوب، وهو خريج الأكاديمية الفرنسية للآداب وعلم دراسة النقوش.

لقد احترمت تلك الرسالتين المكتوبتين بالشعر، واللتين على الرغم من كل شيء مزينتين بقليل من الزخارف الشعرية، أو التشبيهات مما يجعلهما تستحقان مكاناً بين الوثائق التاريخية، وذلك لأنهما ساعدتا في تأكيد وإلقاء المزيد من الضوء على ما نعلمه بالفعل عن وضع فريدريك عندما اعتلى عرش صقلية لأول مرة، فهو نفسه يفسر ذلك في الرسالة الأولى، وفي الثانية أضيفت بعض التفاصيل من قِبل كونت سكويلاسي الذي كان من بين الفرسان الإسبانيين الأوائل الذين انضموا إلى حزب فريدريك، وربما أوعزوا إليه حب المغامرة.

خدمه بإخلاص كمستشار في الجيش، وأنقذه بعد معركة (كابو أورلاندو) بعد هزيمة الصقليين، وأصبح الملك في حالة من عدم الإدراك، تم اقتراح تسليم سيفه إلى العدو.

شخصية فريدريك- كما تم تجميعها من أكثر البحوث التاريخية الدقيقة- تتفق تماما مع لهجة أشعاره، فهو يتعامل مع الحرب على أنها رياضة، لا يحمل حقدا لأعدائه المعلنين، ويعي أنه في نطاق مغامرة شاقة ولكنها مجيدة، ويثق في حماسة الصقليين، ويشكو -بمرح -من شقيقه ولكن دون أن يذكر اسمه، ويخلص -بسعادة- بالتعبير عن ثبات غايته، فهويؤمِّن أحد رجال حاشيته، أو هو بالأحرى صديقه، إيمانا راسخا بشجاعة فريدريك، ولكنه لا يبدو واثقا تمام الثقة من قدرته، يأمل في ألا يسعى جيمس إلى تدمير أخيه بشكل مطلق، ويثق كفريدريك في مساعدة المغامرين الإسبانيين الآخريين والتي، على الرغم من ذلك لا يتوقع أن تكون عاجلة.

تتفق التفاصيل تماما مع ما رويته في ابابين الرابع عشر والثامن عشر، وليس هناك داعٍ لأية تعليقات أخرى.

فقط سأضيف أن العلاقات التي توقع فريدريك قدومها إليه من إسبانيا تعني بشكل واضح أمراء العائلة الملكية لأراجون ومايوركا وكاستيل والذين لم تكن هناك حاجة إليهم، وربما كان يأمل أن يقف شقيقه بطرس إلى جانبه، والذي لقي حتفه بعد فترة قصيرة في الحرب ضد كاستيل، والذي اعتبره دانتي أنه يرث الصفات العظيمة بالإضافة إلى اسم والده.

يبدو أن الكونت بطرس الذي فوضه أوجون من إمبيوريس للتحدث باسمه إلى فريدريك، هو بطرس لانسيا والذي نُصّب كونت كالتانيسيتل يوم تتويجه، وهو نجل كونراد لانسيا الذي كان متحيزا للملك، وبالنسبة للنجدة القادمة من إسبانيا، مع التذكير بأن فرسان كاتالونيا وأراجون كان لديهم الحق في حمل السلاح أي من يحلو له، وفريدريك لم يكن فقط يتفق مع البارونات والمدن الخاضعة لشقيقه، ولكنه كان يأمل في السيطرة على الأمة حتى يمنع جيمس من إعلان الحرب على صقلية.

وفي النهاية: أعتقد أن تاريخ تلك الأشعار قد يكون متفقا مع الدقة المقبولة نوعا ما، فهي لم تُكتب قبل يناير(١٢٩٦)لأن فريدريك الذي يُلقّب هنا بالملك لم يُنتخب ملكاً لصقلية حتى الثاني عشر من ديسمبر لعام(١٢٩٥) ولم تُكتب بعد صيف (١٢٩٦) لأن جيمس كان حينئذ قد أعلن معارضته لأخيه، ولا يمكن أن تكون قد كُتبت في ذلك التاريخ، أو قبله بوقت قصير للغاية حيث أن أوجون من إيبوريس حينما يخبر الملك بألا يتوقع نجدة عاجلة

من إسبانيا، يعطيه أملاً بحدوث ذلك في الصيف، وبالتالي: فيجب أن تكون تلك الأشعار قد كُتبت في وقت مبكر من عام(١٢٩٦) وإذ لم يكن "الكونت بطرس" هو حقيقة بطرس لانسيا، لأننا لا نعلم كونتاً آخر يُدعى بطرس في بلاط فريدريك في تلك الفترة، فهذا سوف يثير التساؤل في نطاق أضيق، فالتتويج قد تم في نهاية شهر مارس من عام(١٢٩٦) حينما حصل لانسيا على لقب الكونت، وهي الفترة التي يجب إذن أن نُرجع الرسالتين إليها.

كتب بطرس أراجون الأشعار باللغة البروفانسية، كما كانت عادة البلاطات الملكية الفرنسية الجنوبية والمدن الإسبانية المسيحية، كانت كونستانس ابنة مانفريد وهو شاعر ومثقف، وبالتالي: لا يمكن أن يكون نجله قد تعلم، كما لا يمكن تجاهله، فلقد أكمل تعليمه في صقلية في وقت كانت فيه الثورة قد أعطت دافعاً للتعلم والنبوغ، ومن هنا لا يوجد ما هو أكثر احتمالاً من قيام شاب في الخامسة والعشرين من عمره - كبر في بيئة تحوطها الآداب، ومسرورا باعتلاء عرش مكتسب حديثا، ومحاطا بالمجد والخطر- بتنظيم تلك الأشعار، والتي لو لم تكن تمنحه أية مكانة كبيرة جدا كشاعر، تعلن صحة تثقيف عقله وسمو روحه.

النهاية

.